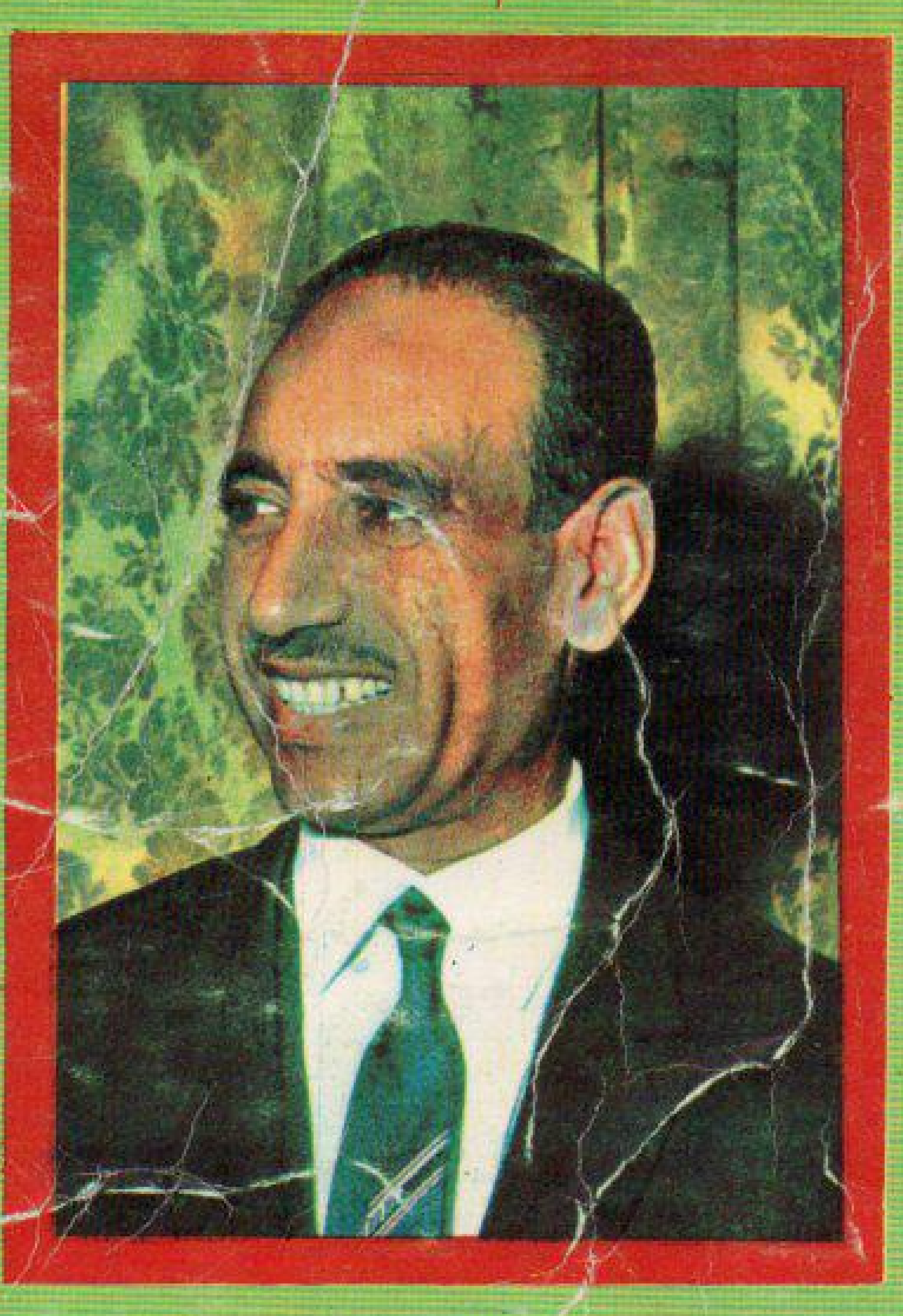
عبد السلام محمد عارف



سيرته .. محاكمته .. مصرعه

احمد فوزي

عبد السلام محمد عارف

أحمد فوزي



الطبعة الاولى

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

تصميم الغلاف: الفنان سعد يوسف

نُضد الكتاب الكترونيا بالليزر
بمطابع الدار العربية - بغداد
وطبع بمطبعة الديواني

مقدمة

رؤية .. بعد ربع قرن

في الساعة السابعة والدقيقة العاشرة من مساء يوم الاربعاء الثالث عشر من شهر نيسان عام ١٩٦٦ الموافق الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٣٨٥ للهجرة ـ اي قبل مايقرب من ربع قرن ـ سقطت الطائرة العمودية (الهليكوبتر) التي كانت تقل رئيس الجمهورية العراقية المشير الركن عبدالسلام محمد عارف ومرافقيه من الوزراء وبعض كبار رجال الدولة. عند زيارتهم وتفقدهم جنوب العراق، لتحترق في منطقة قريبة من قرية (النشوة) في الجهة الشرقية من شط العرب، فتقضي على كل من فيها من ركاب وملاحين..!

بقيت جثثهم متناثرة على ارض (النشوة) بالقرب من مدينة (القرنة) حتى عُثر عليها في الساعة الخامسة والدقيقة العشرين ـ عندما انقشع الظلام عن تلك المنطقة، وبدات خيوط الضياء تنتشر فيها، من صباح اليوم التالي، الخميس الرابع عشر من شهر نيسان ١٩٦٦.

لقد هزّ مصرع عبدالسلام محمد عارف ، اول رئيس للجمهورية العراقية، ووزرائه ومرافقية، مشاعر الناس في كل مكان!

وانطلقت التساؤلات تتردد في كل جنبات قطرنا العزيز، ووطننا العربي الكبير، والعالم اجمع:

* هل كانت هناك مؤامرة، اودت بحياة رئيس الجمهورية العراقية..؟!
* هل كانت هناك جهة او فئة وراء تلك الكارثة..؟!
* هل كانت العاصفة الترابية، السبب في اسقاط طائرة الهليكوبتر، التي كانت تقل رئيس الجمهورية ووزرائه ومرافقيه..؟!
* هل خطط القدر ورسم ونفذ تلك الفاجعة ، هكذا بدقة..؟!

وبقيت تلك التساؤلات تتردد طيلة ثلاثة وعشرين عاما من الزمن مضى ـ على السنة الكثيرين من الناس..

وظلت الاجابات، تتناقض في روايتها.. وكل اجابة تؤكد صحة مبرراتها..!

لقد كانت شخصية عبدالسلام محمد عارف، حديث كل المجالس، في حياته، وبعد مماته..!

فقد ادى دورا بارزا مميزا في تاريخ العراق الحديث.. وثبت بصماته بعمق في تاريخ قطرنا العزيز..

لقد كان العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف ـ قد خطط مع الزعيم الركن عبدالكريم قاسم وصحبهما ـ لثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨.

وقاد ـ بحزم وجراة ـ قطعات من الجيش العراقي الباسل، ليزيلوا (الملكية) وليقيموا (الجمهورية) في ذلك الصباح القائظ، الشديد الحرارة!

لقد كان على راس تلك القطعات يخترق بغداد، ويحتل الاذاعة العراقية في الصالحية بجانب الكرخ، ويذيع بصوته الجهوري ونبراته القوية البيانات الاولى للثورة.

وبعده ـ وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف من ذلك الصباح الدموي يصل الزعيم الركن عبدالكريم قاسم ـ دار الاذاعة ، ليتسلم رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع ومنصب القائد العام للقوات المسلحة، بعد ان كان كل شيء قد انتهى : قتل الملك فيصل الثاني والامير عبدالاله ولي العهد.. ومن كان معهما في قصر الرحاب من العائلة المالكة الهاشمية.

واعلن العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف في احد بياناته التي اذاعها انه اصبح معاونا للقائد العام للقوات المسلحة ونائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية!

لقد صفقت له الجماهير الواسعة، وهتفت مدوية باسمه، لانها رات فيه قائدا جريئا مقداما، ازال عهدا كان يعتبر اسود ظالما، وانبثق عهد فيه الامل والرجاء!

ولكن ـ وبعد مضي اسابيع قليلة ـ ظهرت على تصرفات هذا (الرجل) امور غريبة، لاتتفق مع طبيعة المرحلة الجديدة!

وبدا، الخلاف بين قطبي الثورة، يظهر للعيان، بشكل واضح وسافر، ويستفحل يوما بعد يوم..!

فقد تمكن الزعيم عبدالكريم قاسم من ازاحة زميله العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف من مناصبه الخطيرة، واصدر اوامره بابعاده الى خارج العراق سفيرا!

وعندما عاد عبدالسلام محمد عارف، بعد ثلاثة اسابيع ، الى العراق، متحديا امر عبدالكريم قاسم دبر اعوان قاسم خطة جديدة لابعاده نهائيا عن اي منصب، فاتهموه بانه حاول اغتيال (الزعيم) في غرفته في وزارة الدفاع ـ قبيل سفره الى خارج العراق ـ فاحيل على المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة المهداوي) ليقف في قفص الاتهام، مدافعا عن نفسه.

وكانت المقولة الشهيرة: «الثورة تاكل ابناءها» قد ترددت في كل مكان ، وعلى كل لسان، في تلك الايام العصيبة!

وبدا على اعداء الثورة ـ التشفى، والاغتباط..!

بينما حزّ ذلك في نفوس الوطنيين الاصلاء!

اما الذين اعجبوا بالزعيم عبدالكريم قاسم، من الوهلة الاولى، فقد انطلقوا وراءه بكل عواطفهم، مؤيدين اجراءاته هاتفين بحياته، منادين به «زعيما اوحد»..!

واما الذين كانوا ينادون بالوحدة العربية، وتستهويهم شعاراتها، فقد غاظهم ابعاد عبدالسلام محمد عارف، كل الاغاظة، وبدأوا من تلك اللحظات يخططون لاعادته..!

وعندما اصدرت (محكمة المهداوي) قرارها القاضي (باعدام العقيد الركن عبدالسلام عارف) لمحاولته اغتيال (سيادة الزعيم الاوحد اللواء الركن عبدالكريم قاسم) اودع السجن الانفرادي، انتظارا لتنفيذ حكم الاعدام به!

وعندما قام العقيد الركن عبدالوهاب الشواف بثورته في الموصل ، كان عبدالسلام

محمد عارف في غياهب السجن، يؤيدها في قرارة نفسه، متمنيا لها التوفيق والنجاح، لازاحة الحكم الشعوبي الذي اجتاح البلاد!

وظل عبدالسلام محمد عارف قابعا في السجن مايقرب من ثلاث سنوات منتظرا ساعة ، تنفيذ حكم الاعدام.

ولكن عبدالكريم قاسم لم ينفذ الحكم به ، بل زاره في زنزانته طلبا لمصالحته ونسيان الماضي والسير في ركاب الثورة تحت زعامته.. وابدل بعدئذٍ عقوبه الاعدام بالسجن المؤبد ثم اخلى سبيله.

وظل المناهضون لسياسة عبدالكريم قاسم من الضباط والفئات القومية تتفاعل في نفوسهم فكرة ازاحة هذا النظام والاطاحة بقائده.

جرى الاتصال مع عبدالسلام محمد عارف واحيط علما بالامر المبُيت.. ولكنهم لم يخبروه بساعة الصفر، ساعة التنفيذ!

وفي صبيحة يوم الجمعة ١٤ رمضان ١٣٨٢ الموافق ٨ شباط ١٩٦٣ جاء الى عبدالسلام في مسكنه في الاعظمية من يخبره بان يكون جاهزا لامر مهم..!

وكان عبدالسلام محمد عارف في الساعات الاولى لاعلان الثورة على نظام عبدالكريم قاسم، متواجدا في دار الاذاعة العراقية في الصالحية بالكرخ، مع اخوانه قادة ومنفذي الثورة.

انتخب عبدالسلام محمد عارف رئيسا للجمهورية وقائدا عاما للقوات المسلحة.

وبذلك اصبح عبدالسلام محمد عارف اول رئيس للجمهورية العراقية في التاريخ..

* *

ان المتتبع شريط حياة عبدالسلام محمد عارف، منذ صباه حتى ساعة مصرعه في الطائرة .. يجد شخصية هذا (الرجل) تتسم بالجراة التي اعترف بها حتى خصومه واعدائه، ولكنهم اعتبروها نوعا من التهور..!!

كان شخصا متدينا، متسمكا باهداب الدين الحنيف، منذ نعومة اظفاره..

وكان شخصا لم تغره المادة، ولم يعرف عنه انه ميال الى اكتناز الذهب والفضة.

وكان شخصا يمزج الجد بالهزل، واذا (حبكت) النكتة لديه ، في اية مناسبة، لايدعها تفلت من شفتيه!!

ولكنه الى جانب تلك الخصال - التي كان يعتبرها انصاره حميدة.. كان يبدو عليه احيانا - لاسيما في ايامه الاخيرة - انه من محبي الجاه وفخفخة السلطان!

وبدت تظهر عليه «الغطرسة» و «الجبروت»، فابتعد عنه الكثير من انصاره ومحبيه.

ثم استطاب الحكم ، فابتعد عن «المباديء» التي كان قد نادى بها وعشقها في وقت مبكر من حياته..!!

ثم اخذ يتنكر لدعاة الوحدة..!

فانتفض عليه عارف عبدالرزاق، رئيس وزرائه وقائد القوات الجوية، وحاول الاطاحة به من كرسي الرئاسة ، عندما كان خارج العراق.

وانطلقت بعد ذلك الكثير من التساؤلات، حول تلك الاحداث:

* لماذا قام رئيس الوزراء عارف عبدالرزاق بمحاولة الاطاحة برئيس الجمهورية عبدالسلام محمد عارف، ولماذا خاب هذا الانقلاب؟
* هل تاكد لعارف عبدالرزاق ان عبدالسلام محمد عارف قد ابتعد عن المباديء المتفق عليها، وابتعد عن الخط الوحدوي، فقام بانقلابه الذي قدر له الفشل في لحظاته الاولى؟!
* هل صحيح ان عبدالسلام محمد عارف ـ المنادي بالوحدة والتحمس لها، قد اغراه كرسي الحكم. واستطاب السلطان، فاخذ يبتعد في تصرفاته واعماله عن «الوحدة»..؟!

اننا من خلال دراسة ومتابعة مسيرة عبدالسلام محمد عارف.. سيتضح لنا مدى صحة الاجابة على هذه التساؤلات وغيرها مما شابهها..!

* *

لقد كنت قريباً.. واحياناً قريباً جداً، من عبدالسلام محمد عارف...
فقد عرفته في منتصف الخمسينات، بعد تخرجه في كلية الاركان.
وكان يحضر بعض الاوقات الى نادي المحامين، ليشاركنا نحن شباب حزب الاستقلال ـ جلسات المساء..
وجدناه، شابا متدفقا بالحيوية، مؤمنا بوحدة امته، ومناهضاً للسياسة التي كانت تسود العهد الملكي، ومعارضا بشدة الاوضاع القائمة انذاك!
كنا نرى فيه النموذج الحي للضابط الحر الوطني المقدام، ونامل فيه وفي امثاله من الضباط الاحرار كل الخير لتبديل الاوضاع، بعد ان استهوتنا وشدتنا اليها الثورة العربية في مصر التي قادها وفجرها (المقدم) البكباشي اركان حرب جمال عبدالناصر، والذي اصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية المصرية، ثم رئيسا للجمهورية العربية المتحدة ـ بعد وحدة سورية بمصر.
وكنت قريباً منه جدا صبيحة يوم الثورة ـ ١٤ تموز ١٩٥٨.
فقد اوفدني عندما كنت متواجدا في الساعات الاولى للثورة في دار الاذاعة بالصالحية الى دار الشيخ محمد مهدي كبه.. رئيس حزب الاستقلال، الذي عينته الثورة عضوا في مجلس السيادة، لاخباره، ومن كان حينذاك معه ـ الى وجوب الالتحاق بمراكز اعمالهم ، لان الثورة ـ على حد تعبيره ، قد نجحت «وكل شيء قد انتهى».
هكذا كان يتصرف ، منذ اللحظات الاولى للثورة، ببساطة وعفوية، دون الاخذ بالاعتبارات..!
ومثل هذه الامور وغيرها، تسببت في امتعاض «الاخرين» ، فوصفوه بـ (السذاجة)!
وعندما قامت ثورة الرابع عشر من رمضان (٨ شباط ١٩٦٣)، واطيح بعبدالكريم قاسم ونظام حكمه، كان عبدالسلام محمد عارف قد تسلم سلطاته رئيسا للجمهورية..

اخذ منذ الساعات الاولى لتسلمه سلطاته، يتصرف بمعزل عن الاخرين، الذين جاءوا به ونصبوه في هذا المنصب الرفيع!
ثم بدا رويداً رويداً يجمع حوله مناصريه ومؤيديه ليستقطب الحكم كله بين يديه! واخذ يضرب هذا بذاك.. ويفرقّ بين (زيد) و (عمر)!

وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ تمكن من معارضيه، وكل من وقف امامه متحديا. ومرة اخرى ، تجمعت بين يديه كل مقاليد السلطة. وانفسح الطريق عريضا امامه!!
وهنا ـ في هذه الفترة من حياته، شعر دعاة الوحدة في تصرفاته الشخصية ابتعاده عن (الوحدة) والتنكيل بالوحدويين. الذين جاءوا به ونصبوه على دست الحكم وسلموّه صولجانه.
فتزعم الاطاحة به رئيس وزرائه عارف عبدالرزاق..
ولكن المحاولة رافقها الفشل والخيبة منذ ساعاتها الاولى!

وفي القاهرة، عندما جاء عبدالسلام محمد عارف لحضور مؤتمر القمة العربي الاول في شهر كانون الثاني ١٩٦٤.
وفي الاسكندرية ـ عندما جاء لحضور مؤتمر القمة العربي الثاني في شهر ايلول ١٩٦٤..
كنت قريبا منه في المدينتين.. فشاهدت في تصرفاته (الازدواجية).. فكان يظهر مالايبطن، ويتفوه بمالا يعتقد!
يظهر امام (الوحدويين) من الزعماء العرب، انه وحدوي اصيل، وان لامناص للعرب ولاحياة لهم من غير الوحدة، وان الوحدة هي قدر الامة!
ويظهر امام (الاقليميين) ويعلن ان (الوحدة) غير ممكنة ، وانها صعبة التحقيق والمنال.
وهكذا بدات تطفو (الاقليمية) على افكاره وتصرفاته في هذه المرحلة من حياته بكل وضوح.
فانطلقت التساؤلات تتردد في كل مكان:
* هل ابتعد فعلا الرئيس عبدالسلام محمد عارف عن (الوحدة)؟!
* لماذا اخذ يتفوه دائما مع (مقربيه) و (ضعيفي العقيدة) و (الاقليميين) بان الوحدة صعبة التحقيق؟!
* لماذا اخذ يتقول على الرئيس جمال عبدالناصر في كل مناسبة سانحة، ويبتعد عنه وعن الجمهورية العربية المتحدة؟
مثل هذه التساؤلات ـ كانت تتردد بكثرة في المحافل والاوساط العربية.. وكانت الاجابة عليها تختلف حسب الامزجة والاهواء..!

سالني صديق، قبل مصرع عبدالسلام محمد عارف بايام ، وكنت آنذاك في موقع امامي في الاعلام، في وكالة الانباء العراقية:
ـ هل بَدَر من الرئيس عارف من خلال توجيهاته الاعلامية، مايفيد ابتعاده عن الجمهورية

العربية المتحدة والرئيس جمال عبدالناصر؟

فلم اجبه في حينه..!

ولكن، في اليوم التالي لذلك السؤال ، اتصل بي عبدالله مجيد الامين العام لرئاسة الجمهورية - ومن اقرب المقربين للرئيس عبدالسلام محمد عارف - هاتفيا قائلا:

- هل قرات جريدة (الاهرام) القاهرية الصادرة يوم امس؟!

قلت: كلا..!

قال بامتعاض: لقد نشروا خبرا عن السيد رئيس الجمهورية في الصفحة الخامسة فيها، وبعنوان صغير.. وانتم تنشرون اخبارا عن جمال عبدالناصر في عناوين بارزة وفي الصفحات الاولى!

ثم اردف قائلا بكثير من الامتعاض: الرئيس يقول لك - انت بالذات - ان اي خبر عن جمال عبدالناصر ينشر في الصحف بعناوين بارزة ستتحمل مسؤولية ذلك..

وكرر تلك الجملة الاخيرة مرة اخرى، بنبرة يشوبها التهديد!

واخبرته: ان ذلك يجب ان يوجه الى السيد وزير الثقافة والارشاد بوصفه الرئيس الاعلى لهذه الدائرة وليس لي.

فاغلق الهاتف بعصبية ظاهرة!

وبعد مصرع الرئيس عبدالسلام محمد عارف قال لي نفس الصديق:

- لقد كنت واثقا. انه لو طال العمر بالرئيس عبدالسلام محمد عارف لابتعد كثيرا عن الرئيس جمال عبدالناصر..!

* *

تناولت في صفحات هذا الكتاب (سيرة) عبد السلام محمد عارف ، منذ ولادته حتى مصرعه، و(مسيرة) ايامه، منذ تحركه على رأس قطعات من الجيش العراقي ليزيح الملكية، حتى لحظة سقوط الطائرة به في ارض النشوة بجنوب العراق.

كما تناولت محاكمته - عندما وقف في قفص الاتهام في (محكمة المهداوي) ومطالعة المدعي العام، ولخصت شهادات الشهود، وثبت الحوار والمناقشة - بعد افادته الكاملة - مع رئيس المحكمة والادعاء العام. ثم الدفاع الذي القاه وكيله المحامي محمد العبطة -

ومع علمي ان وقائع المحاكمة قد نشرت في الجزء الخامس من كتاب (محكمة الشعب) وهو العدد الخاص بالجلسات السرية - الذي اصدرته هيئة التنسيق في المحكمة العسكرية الخاصة.. واذيعت من دار الاذاعة - بعد فترة من الوقت... غير ان حرصي على ان يطلع ابناء هذا الجيل - او الجيل الذي سبقه ممن لم تسنح له الفرصة ان يطلع على مجريات تلك المحاكمة دفعني الى تدوينها في هذا الكتاب بكل دقة وامانة.

وتناولت في الفصل الاخير، تفاصيل مصرع عبدالسلام محمد عارف وصحبه بعد تحطم الطائرة بهم وانفجارها.. والايام الاخيرة في حياته. وركزت على الساعات التي

سبقت مصرعه.. كما تناولت في هذا الفصل كذلك التكهنات التي دارت في اذهان المحللين والمراقبين السياسيين، واذهان الناس، وهي تحلل الحادث، وتستنبط الادلة والقرائن، لعلها تصل الى الاصابع التي كانت وراء الحادث، اولعلها تتعرف على «الفاعل الاصلي» لهذا الحادث المفجع.

انني من خلال سطور هذا الكتاب، اردت ـ بعيدا عن الهوى ـ ان اعطي صورة شاملة لما جرى في ذلك العهد ـ عهد عبدالسلام محمد عارف من زاوية التمحيص، وعلى ضوء المعلومات التي حاولت وجاهدت ان تكون فيها اكبر نسبة من الحقيقة، ليس لانه لايمكن ان تكون المعلومات او الوقائع مجسدة للحقيقة كلها، بل لان (الحقائق) نفسها تتعرض

كثيرا الى التحوير والتبديل، وان اي عرض موضوعي امين مهما كان يضم او ينطوي على وقائع قد يرى البعض اخفاءها، وقد يكون هذا البعض: حاكما او غير حاكم او معارضا، فانها حتما تخدم الجميع، لانها تضعهم في الصورة، ليروها من زاوية غير جانبية، ومن غير ظلال ولا رتوش!!

لقد وضعت نصب عيني ـ وانا اسطر صفحات هذا الكتاب ـ مقولة رائعة للسيد الرئيس القائد صدام حسين «حفظه الله»: «التاريخ هو الذي ينصف، والشعب هو الحكم العادل، لتاريخ كل واحد مرَّ في الحياة السياسية العراقية».

ان بحثي هذا ــ ليس بحثا اكاديميا (جامعيا) ، وليس ريبورتاجا (تقريرا) صحفيا، بل هو جمع معلومات من مصادر عديدة مختلفة ومتباينة، كتبت باسلوب اقرب الى التاريخ، او السرد التاريخي منه الى الكتابة الصحفية ، او هو الاثنان معا.

فقد تجتمع في المؤرخ والصحفي ـ كما قلت ذلك مرارا ـ اكثر من صفة يستطيع بها مريدها ان يصل الى الحقيقة المختفية او المستورة وراء الواقع وبين السطور، ويكشف البراقع والحجب عنها، ويسلط الاضواء عليها باسلوب سهل ممتنع، موثق .

* *

يجيب الكاتب الانكليزي الشهير «ليدل هارت» في كتابه «التاريخ فكرا استراتيجيا» ردا على سؤال: « ما الغاية التي يتوخاها التاريخ؟» فيقول:

«اجيب على هذا السؤال بكلمة واحدة بسيطة واضحة هي «الحقيقة» ويبدو ان هذه الكلمة او الفكرة قد اصبحت سلعة بائرة، وتجارة خاسرة في الحياة المعاصرة، ولكن الاعتقاد باستحالة الوصول الى الحقيقة، تترتب عليه، وتنجم عنه نتائج اسوا بكثير من

تلك التي تنشا من الاعتقاد بامكانية الوصول الى الحقيقة او تترتب عليه وتنجم عنه. ويمكن القول بتحفظ وحذر: ان غاية التاريخ هي معرفة ماحدث بالفعل في سياق محاولة معرفة لماذا حدث، ماحدث، كما حدث، او بعبارة اخرى: انها السعي الى اكتشاف وادراك الروابط العلية والعلاقات السببية بين الوقائع والاحداث التي يتالف منها، ويقوم عليها التاريخ».

والله من وراء القصد.

بغداد في ١ حزيران ١٩٨٩

احمد فوزي



عبدالسلام محمد عارف

سيرته..

محاكمته..

مصرعه!

سيرته.. و مسيرته

عندما كانت الشمس صبيحة يوم الاثنين ٢١ مارس ١٩٢١ الموافق ١٢ رجب ١٣٣٩ للهجرة ـ ترسل شعاعها الاول ، كانت السيدة «سته» بنت جاسم الرجب قد وضعت طفلا جديدا، في بيت متواضع في محلة «سوق حمادة» بجانب الكرخ.

كان البيت الذي ولد فيه هذا الوليد ـ الذي اطلق عليه اسم «عبدالسلام» يحمل رقم ٢/٥٠٧ ويقع في دربونة (زقاق) غير نافذ!

وينتمي والد الطفل «عبدالسلام» ـ الحاج محمد عارف بن ياس بن خضر، الى عشيرة «الجميلة» التي تقطن «عانة» بمحافظة الانبار (لواءالرمادي سابقا)، ومن مواليد عام ١٨٨٩م.

والحاج محمد عارف ـ اسمه مركب على طريقة تسمية الاتراك ـ كان بزازا في سوق «الشيخ صندل» بجانب الكرخ، وقد ورث هذه المهنة عن ابيه. وكانت امه تدعى «ياس» تكريتية من بيت «شنداح».

وتزوج محمد عارف من «سته» بنت جاسم الرجب (من الرمادي)، وهو شاب يافع، ايام الحرب العالمية الاولى، وكان تقيا ورعا متمسكاً بأهداب الدين وبأصوله، وقد بدأ حياته بدراسة العلوم الدينية لدى عباس حلمي القصاب، والحاج نجم الدين الواعظ. وعندما توفي والده حل محله في ادارة الدكان.

وكان للحاج محمد عارف بيتان في نفس ذلك الزقاق، احدهما في مدخله، والثاني في نهايته.

وقد رزق الحاج محمد عارف باربعة ذكور واربعة اناث. كان تسلسلهم كالاتي:

اكبرهم «عبدالسميع». وقد ولد في نفس البيت عام ١٩١٥ وتزوج من ابنة عمه شهاب احمد واسمها «جميلة». واصبح ضابطا في الجيش ثم احيل على التقاعد بعد حركة رشيد عالي التحررية.

وثانيهم «عبدالرحمن». وقد ولد في نفس البيت كذلك عام ١٩١٦ وتزوج من ابنة عبدالمجيد فارس، واسمها «فائقة» واصبح ضابطا في الجيش ثم رئيسا للجمهورية بعد مصرع شقيقه.

وتلته «سعدية» وقد تزوجت من رشيد آل حويش ـ مدير المزارع الملكية.

وكان رابعهم «عبدالسلام» وقد تزوج من ابنة خسين فريد الريِّس واسمها «ناهدة».

وتلته «نظيمة»، وقد تزوجت من ابن خالتها عبداللطيف نعمان (معلم).

ثم تلتها «فضيلة». وقد تزوجت من ابن خالتها طالب نعمان (معاون شرطة).

ثم تلتها «صبيحة» وقد تزوجت من عبدالكريم الجادر (قاض).

وكان اخر المواليد «صباح» الذي تزوج من ابنة ابراهيم جميل واسمها «مديحة».

ويروي عبدالسلام محمد عارف قائلا عن نشأته وطفولته:

«فتحت عيني على الحياة في محلة سوق حمادة، وهي منطقة متواضعة في صوب الكرخ ببغداد.

ولقد كان لعائلتي جهادها في ماضيها وحاضرها، فقد غدر الانكليز بعمي السيد عباس وقتلوه في الرمادي وانتقم الانكليز لمقتل (لجمن) البريطاني من خالي الشيخ ضاري شر انتقام وذهب شهيدا لوطنه في جنات الخلد.

منذ ان وعيت الحياة درست الكثير، وكافحت بشرف منذ ان كنت تلميذا صغيرا فلم اكن سليل عائلة عريقة الثراء. لكنني كنت فرداً في اسرة كبيرة يرعاها والدي الحاج محمد عارف بجهده وعرقه.

وكان والدي مثلي الاعلى.. لقد علمني والدي الكثير في حياتي.. علمني الصبر، وعلمني ايمانه بالله ووضع في قلبي بذور الشجاعة.

لم يكن الحاج محمد عارف، مجرد والد لي، فقد كنت اعتبره ابا ومعلما ورائدا. ان منزلته في قلبي تأتي بعد منزلة الله سبحانه وتعالى، فله ادين بكل ما احرزته في حياتي].

وكل خميس كان ابوه يلتقي باصدقائه في بيتهم يتبادلون احاديث الدين، وقصائد الشعر، واخبار الدنيا، وكانت هذه الندوات مدرسة له. ومن بين الرجال الذين كانوا يترددون عليها شاعر عزيز النفس موفور الكرامة كان يأبى ان يؤجر على شعره او يثاب، ويأنف ان يأكل على مائدة غير مائدته. وكان يحمل دائما تحت ابطه لفة من الورق بداخلها كفنه ويقول:

«انني اكل لقمة عيشي يوما بيوم بعرق جبيني من اي عمل شريف حر. ولا اتطفل على مائدة احد ولذلك احمل كفني دائما تحت ابطي».

وتعلم (عبدالسلام) الكثير من الاسس الصالحة للحياة الطيبة في بيتهم الصغير.. تعلم الاعتماد على النفس من نصيحة كان يرددها ابوه امامه دائما: «ثق بنفسك، ثم استعن بالله، فانه يعين من يعين نفسه».

يقول عبدالسلام محمد عارف في حديث له لاحد الصحفيين العرب:

- لقد تعلمت القناعة والصبر من ابي - معلمي الاول. فقد كنت - انا طفل صغير - أحب الفاكهة، وكنت قبل ان انام احتفظ بكمية منها لليوم التالي. وفي الصباح اكتشف انها تلفت، فاحزن، واضطر - مرغما - ان ارميها ولاحظ ذلك ابي، وفي يوم جاءني وانا جالس حزين امام الفاكهة المعطوبة وقال لي:

- عبد السلام.. أتريد فاكهتك ان تبقى طيبة حتى الصباح؟!

● نعم.. ماذا افعل؟!

- أنتق واحدة او اثنتين، فقط من الفاكهة، واقنع بها، لان طمعك فيها كلها يجعلك لاتميز بين السليمة وغير السليمة فتخلطها، فتفسد الفاكهة السليمة، وتضيع عليك كلها.

ونفذت نصيحة أبي - واكتشفت ان هذا صحيح. وكان اول وآخر درس اتلقاه في القناعة!

اما الصبر فقد تعلمته وتعودته من نصيحة اخرى لابي، فقد كان يهوى صيد السمك، ويقول لي جرب هذه الهواية واقبلت على صيد السمك، وانا لا اعرف السر. فانا لم اتعود مخالفة ابي او مناقشته في امر مصدّره لي. نفذت النصيحة على انها مجرد طاعة واكتشفت انني اكتسبت صفة من أنبل صفات البشر.. صفة الصبر].

وتنبه عبدالسلام محمد عارف يوما الى ان الندوات التي تعقد في بيت ابيه قد انقلبت الى ندوات وطنية . وانقلبت الاحاديث الدينية وقصائد الشعر، فاصبحت حماسية وطنية تحض على كراهية الانكليز ومناهضة احتلالهم للعراق الذين حولوها الى قاعدة عسكرية تؤمن طريق مواصلاتهم الى الهند.

وذات صباح استيقظ عبدالسلام من نومه مبكرا - وكالمعتاد - صلى الصبح، وكان الذي يؤمه للصلاة هو ابوه . وبدأ يرتدي ملابسه فاستوقفه الاب ليدور بينهما الحوار التالي:

- الى اين ذاهب ياعبدالسلام؟!
● الى المدرسة..
- لن تذهب اليوم الى المدرسة!
● لماذا ياأبي؟
- اليوم .. لاتخرج من البيت.
● لماذا..؟!
- ستعرف فيما بعد..
● ولماذ لااعرف الان؟!

وتدخلت الام وقالت:

- اسكت ياعبدالسلام.. لاتزعج والدك!

وقال الاب:

- اسكتي انت.. دعي الولد يسأل كما يشاء، فمن حقه ان يسألني. ومن واجبي ان ارد عليه.

وتشجع عبدالسلام وعاد يسأل:

● لماذا لااخرج من البيت اليوم ياأبي؟!
- ستعرف الجواب بنفسك.. إصبر، ولنفطر اولا..

وأعدت الام طعام الافطار، واكل الاب بسرعة، ثم قام الى عباءته وارتداها واختار من مجموعة العصي التي يحتفظ بها واحدة متينة وانصرف مسرعا بعد ان همس في اذن زوجته بشيء. ورأى (عبدالسلام) الدموع تنحدر من عيني امه، فسالت دموعه على خده رغما عنه.

وبعد لحظات كانت هناك خارج البيت هتافات تدوي وتشق عنان السماء، واستطاع (عبدالسلام) من خلال هذا الهدير الخارجي ان يلتقط باذنيه كلمات مثل «الثورة.. تسقط المعاهدة.. يسقط الانكليز...».

وبدأ الفتى الصغير يستفسر من امه عن معنى هذه الكلمات، وفسرتها له.. وفجأة دوى صوت طلقات الرصاص وفزع وارتمى على صدر امه فاحاطته بذراعيها.

ومر وقت طويل حتى هدأت الهتافات وبدأ صوت الرصاص يسمع خافتا من على بعد.. وقامت الام ودخلت الى المطبخ لتعد الغذاء وكان (عبدالسلام) قد بدأ يشعر بالقلق على ابيه، فانتهز فرصة غياب الام في المطبخ، وتسلل خارجا من البيت ووصل الى السوق . وجد انه بمفرده هناك وسط الحجارة والحصى والعصي المكسورة وطلقات الرصاص الفارغة.. انها اثار معركة.

ولم يكن هناك ـ في ذلك الوقت ـ سبيل لامداد المتظاهرين بالسلاح والرصاص، ولذلك كانوا يقاتلون باسلحة بدائية، لكن بروح متدفقة قوية.

وكانت ام عبدالسلام قد جن جنونها عندما اكتشفت انه خرج من البيت، ولم يهدأ بالها الا عندما رأت شرطي يطرق بابها وفي يده (عبدالسلام)، وبعد ان شكرت الشرطي قامت بقفل الباب من الداخل بالقفل والمزلاج حتى لايخرج من البيت مرة ثانية.

ومع الغروب كان الاب يعود الى بيته مغبر الوجه والثياب، وارتمى (عبدالسلام) في احضانه بينما ارتفع صوت الام: «الحمد لله على سلامتك».

وبدأ الاب يتحدث عن مظاهرات الشعب ضد الاستعمار. وكانت المرة الأولى التي تدخل رأس عبدالسلام فكرة عن الاستعمار الانكليزي والاحتلال الانكليزي لوطنه العراق. وعرف ان الشعب العراقي يطالب بالغاء المعاهدة.

ولم يطل بقاء ابيه في البيت. فما هي الافترة قصيرة حتى خرج وفي يده عصاه الصلبة المتينة.

واستسلم (عبدالسلام) للنوم، واستيقظ في الصباح الباكر ليصلي الصبح كعادته، وحمد الله ان رأى والده بالقرب منه، فقد عاد في ساعة متأخرة من الليل، وسأله عبدالسلام:

● هل اذهب معك اليوم يأبي؟!

ـ لا .. ليس اليوم ايضا ياعبد السلام.. ساخرج وحدى كالامس!

● اريد ان اخرج معك اليوم..

ـ لاتتعجل يابني.. سيجيء اليوم الذي تخرج فيه وحدك..].

ويستطرد عبدالسلام محمد عارف قائلا:

ـ كنت معجبا دائما بالشرطي، وكنت اراه يغدو ويروح في الطريق مختالاً ببدلته العسكرية الانيقة، ذات الازرار الصفراء اللامعة التي كنت احسبها ـ في ذلك الوقت ـ من الذهب وكانت تجذبني اليه عصاه الصغيرة (الدونكي) التي يقلبها في يده ويديرها باصابعه اثناء سيره وكنت اتوهم انا واصدقائي الصغار ان هذه العصا سحرية ومسمومة تذيق الموت للمجرمين واللصوص والحرامية. وكم بهرني نفوذ هذا الشرطي. كنت ارى الناس تقف له احتراما. وكنت اراه يفض المشاجرات في لمح البصر. وكان الجميع يستمعون لكلمته وتمنيت ان اكون شرطيا، مثل هذا الشرطي، أليس هو الذي قادني الى البيت سالما..؟!

الى ان كان يوم قادتني قدماي انا وصحبي الصغار الى معسكر للجنود. فقد سرنا خلف كتيبة منهم تتقدمهم فرقة الموسيقى، حتى دخلوا ساحة المعسكر، ثم اصطفوا واخذوا يقومون بالتدريبات العسكرية. ووقفنا نرقبهم باعجاب شديد ولاحظت ان صاحب الكلمة الاولى بين الجنود شخص يرتدي ملابس اجمل من ملابس الشرطي، ويحمل في يده سيفا براقا، بدلا من العصا، وتمنيت لحظتها ان اصبح مثل هذا الشخص.

لكن من يكون هذا؟

عندما عدت الى البيت قالت امي انه: «ضابط جيش».

وعندما بدأنا اللعب ـ عصر ذلك اليوم ـ أنا وصحابي الصغار، اعددت لكل واحد منهم عصا بدلا من البندقية التي كان يحملها الجنود، واعددت لنفسي سيفا صنعته من الصفيح، واخذنا

نقلد الجنود في تدريباتهم العسكرية وخطواتهم على دقات الطبول وكانت الطبلة صفيحة (تنكه) فارغة!

وكان من بين الاولاد الذين يلعبون معي غلام جسور مكابر، لم يلبث ان تمرد علي وعصى اوامري وتحداني، وانقسمنا الى فريقين، او جيشين!

ودارت معركة بالعصي والحجارة والايدي، وانتصر الجيش الذي كنت اقوده وتصادف ان وصل ابي في تلك اللحظة وسأل عما نفعل، فحكيت له الامر كله، فاقتادني انا وغريمي المكابر الى البيت وقال لي:

- هات كتاب الحساب وورقا ابيض وقلمين.

ونفذت الامر..

وامسك ابي بالكتاب. واعطى كلا منا ورقة وقلما وقال:

- اكتبوا...

واملى علينا ثلاث مسائل، وطلب منا ان نحلها.

وبدأنا نحل المسائل، واخذ ابي الورقتين ليصحح الحل، ثم التفت الى خصمي وقال له:

- انت غلبت عبدالسلام في الحساب.. سأعطيك مكافأة.

واخرج من جيبه قطعة حلوى واعطاها له. واغتظت، وكادت دموعي تنزل من عيني عندما صاح ابي:

- عبدالسلام سمِّع لي اية الكرسي..

وفرحت فانا احفظها عن ظهر قلب، واسمعته الآية الكريمة بوضوح وبلا تلعثم، فشجعني ابي بكلمة طيبة ثم طلب من خصمي ان يسمعه الآية، فال انه لايحفظها، وقال ابي:

- لقد غلبته ياعبدالسلام.. ساعطيك مكافأة. واعطاني قطعة حلوى!

وجلس ابي بيننا وقال لنا:

- هذا هو القتال النافع المجدي، وهذا هو السلاح الذي ينبغي ان تتقاتلا به.. سلاح القلم.

وافترقت انا وخصمي صديقين].

وكان والده قبل ان يدخله المدرسة الابتدائية. قد اودعه لدى ملا عواد الجبوري، الذي كان يدرس الصغار في الجامع القريب من مسكنه - الحروف الهجائية وقصار السور، ورسم الخط، فتعلم الصغير عبدالسلام بعض سور القرآن الكريم وحفظها على غيبه، ثم ادخله بعد ذلك لدى الملا داود علي العاني، ليزيده علما ومعرفة.

وعندما بلغ السن السادسة من عمره - ادخله والده «مدرسة دار السلام» الابتدائية في الكرخ.. ثم انتقل الى «مدرسة الرمادي الابتدائية».

وبعد تخرجه في الابتدائية، دخل مدرسة الكرخ المتوسطة، فالمدرسة الاعدادية المركزية بالرصافة.

وفي نهاية عام ١٩٣٧ اعلنت وزارة الدفاع انها ستقبل طلابا لم يتخرجوا بعد من الدراسة الاعدادية - اي لم يجتازوا الامتحان الوزاري (البكالوريا)- في الكلية العسكرية..

تقدم عبدالسلام محمد عارف - الذي لايزال طالبا في السنة الاخيرة في الاعدادية - بطلب

لقبوله في الكلية العسكرية. وبعد اجراء الفحص الطبي عليه، قُبِلَ في ١٩ شباط ١٩٣٨ طالبا في الكلية العسكرية.

ويتحدث عبدالسلام محمد عارف عن هذه الفترة من حياته، قبيل دخوله الكلية العسكرية قائلا: «لقد اجتزت مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والاعدادية بتفوق، فقد كنت متفرغا للدراسة تفرغا كاملا. وكنت قليل الاختلاط بالطلبة لان بعضهم - كما تبين لي - غير مستقيم، وانا اخشى الله، واخشى من بعده والدي. وكنت شغوفاً بالقراءة. كنت اقرأ اي كتاب. وأية ورقة حتى الاعلانات في الجرائد او الملصقات على الجدران او لافتات المحلات في الشوارع، وكنت اجد في كل ما اقرأ الفائدة والمتعة. ان قصاصة من قصاصات ذلك العهد البعيد مازالت عندي. كانت ورقة ملفوفا فيها «الدستور الحربي الياباني القديم»- وهو الدستور الذي كان يحمله كل ضابط وكل جندي ياباني في جيبه، ولست ادري ان كانوا يحملونه حتى اليوم ام لا؟ ان هذا الدستور عبارة عن سؤال وجواب، ومن هذه الاسئلة الاتي:

س - ماهو مظهر الروح الحربي؟

ج - الطاعة وتضحية النفس.

س - فيما تنحصر البسالة الحربية؟

ج - في المتقدم من الامام بالرغم من جميع الموانع.

س - ماهو الشيء الاكثر اهانة للجندي؟

ج - الهزيمة.

س - لاي شيء ترمز الدائرة الحمراء التي تتوسط العلم الياباني؟

ج - دم الجندي الياباني الذي استشهد في ساحة الوغى.

س - ان هذا الجندي قد مات، فما الذي بقي بعده حيا؟

ج - المجد.

وقررت ان احتفظ بهذه القصاصة منذ عثرت عليها، الى ان اصبحت مثل الضابط صاحب الملابس الجميلة الذي رأيته - ذات يوم - انا وصحبي الصغار في المعسكر].

وعندما التحق بالكلية العسكرية تحقق لعبدالسلام محمد عارف حلم الصبا، حلم البدلة العسكرية الجميلة، ذات الازرار اللامعة، ومعها السيف البراق.

وبدأت الدراسة في الكلية العسكرية وعاش ايامها الرتيبة، ملتزما جادة الدرس والتدريب السوية ليحقق الحلم الكبير. وتفتحت عيناه اكثر واكثر على مهازل ومآسي الحكم في البلاد، وتلاعب الطغمة الحاكمة بأقدار البلد ومصائره!

وكان عبدالسلام خلال دراسته بالكلية العسكرية بدأ يتململ من قيود النظام العسكري الذي يحرم حق المشاركة في المظاهرات بالهتاف والنداء، كما كانوا يفعلون في مرحلة الدراسة الثانوية. ومر بفترة حزن وكمد. ووصل به الضيق الى حد ان فكر في هجر الدراسة العسكرية فورا، والانطلاق - كما كان يقول - في رحاب بلاده مع ابناء الشعب يدعون للثورة وينادون للجهاد.

ولكنه لم يلبث ان ارتد الى نفسه وسيطر عليها، فكظم غيظه واعتصم بالصبر. وجاهد لاحكام سد غطاء مرجل الغليان الذي يضطرم داخل نفسه، وهو واثق بانه سيجيء اليوم الذي لايقوى فيه على منع الانفجار.

وفي ٧ ايار ١٩٣٩ تخرج عبدالسلام محمد عارف في الكلية العسكرية، وكان عمره لايتعدى العشرين عاما.

تخرج لينضم الى صنوف الجيش العامل برتبة ملازم ثاني.

وعندما اصبح ضابطا يحمل على كتفيه (نجمة) واحدة، رأى عبدالسلام نفسه مع عشرة من زملائه، التقوا معه في وحدة الشعور والهدف، يجتمعون في ظلام الليل في ركن بعيد من المعسكر الذي يضمهم ويقسمون اليمين على تحرير العراق من الاستعمار وعملائه واطلقوا على جماعتهم اسم «العشرة المبشرة» ولم يضعوا لانفسهم خطة او ترتيباً للعمل، بل تركوا الامر للظروف وللزمن.

كانت روح التذمر تسوده هو وفريق من اخوانه الضباط. وكانوا يجتمعوا بصفة سرية اذا ما اجتمعوا في معسكر الرشيد، ومرة في معسكر الوشاش. وكان لهذه الاجتماعات والتكتلات صداها واثرها في بعض الاحيان، بحيث كانت تؤتي ثمرتها في علاج الفساد. وكانت تشتد في احيان اخرى، لدرجة ان تسقط الوزارات، وكان الضباط الذين يقومون بها يعتبرون عصاة ويحاكمون ويحاولون على التقاعد. ومنهم في هذه الاثناء «صلاح الدين الصباغ» واصحابه الضباط.

وكان التفاهم بين الضباط الشباب من رتبة عقيد فما دون، لان الضباط الكبار احيلوا تدريجيا على التقاعد. وكانت سياسة نوري السعيد معهم ان يعطف على حركاتهم مرة، وينكل بهم مرات!!

وعندما قامت حركة رشيد عالي الكيلاني التحررية ضد الطغيان الاستعماري البغيض في مايس ١٩٤١ ساهم عبدالسلام محمد عارف فيها ، وكان يشغل آمر رعيل مدرعات.

ثم عُينَّ الملازم الثاني عبدالسلام محمد عارف مدة قصيرة من الزمن في بغداد مسؤولا عن حراسة سجن معسكر الرشيد، الذي اعتقل فيه عدد من الضباط والجنود الوطنيين في اعقاب فشل حركة رشيد عالي الكيلاني التحررية

ولما كان عبدالسلام يرى في اولئك الضباط السجناء ابطالا وطنيين وقفوا بكل بسالتهم ضد القوات البريطانية المحتلة، فانه كان يساعدهم، واصبح همزة وصل بينهم وبين عوائلهم ينقل اليهم رسائلهم وطلباتهم مما كان سببا في نقله الى وظيفة اخرى في البصرة.

ويروي لنا المؤرخ العسكري المعروف اللواء الركن محمود شيت خطاب ، انه اول تعرفه بعبدالسلام محمد عارف كان في ذلك المعتقل، الذي لمس فيه تعاطفه مع المعتقلين، ووطنيته الصادقة.

وفي البصرة التقى عبدالسلام محمد عارف في العام ١٩٤٢ بعبدالكريم قاسم..

ويبدو انهما ظلا مدة سنتين يبحثان الوضع الداخلي في العراق. وكان كل منهما يبدي تذمره من الاوضاع المتردية منحيا اللائمة على السلطات المسؤولة.

وحينما بلغت اوار الحرب العالمية الثانية اوجها، ودخلت القوات البريطانية الاستعمارية العراق لتحتله مرة ثانية، وزعت الوطنيين الاحرار في المعتقلات والسجون، وضيقت الخناق على انفاس المواطنين، وعطلت الحريات، ركد نشاط الضباط الوطنيين وتعطلت اجتماعاتهم.

ويقول عبدالسلام محمد عارف عن هذه الحقبة من حياته: «وفي هذه الفترة بلغ قيد الحريات مداه، كانت البلاد تعيش في ظل حكم ارهابي، واحكام عرفية متواصلة، حتى اذا ماجاءت الحرب العالمية الثانية، وجد الشعب العراقي نفسه يقاد رغم ارادته للاشتراك في حرب لامصلحة له فيها..

وفي هذا الوقت. كان نوري السعيد على رأس الحكم. وكانت اول مهامه وضع الجيش العراقي تحت تصرف بريطانيا، والاستسلام لكل رغباتها الاقتصادية والسياسة، وبدأ باعلان الاحكام العرفية، ثم فتح باب الامتيازات لبريطانيا لاعادة احتلال العراق احتلالاً عسكرياً وفقاً لاتفاقية ١٩٣٠.

ووافق نوري السعيد على ان تتحرك قوة من الجيش العراقي الى البلقان لمنع الجيوش الاجنبية من الاقتراب من المستعمرات البريطانية واحتلالها.

كنا في ذلك الوقت نتصيد الاخبار.. ونبحث عما يدور خلف الجدران.. فقد كنا نحس ان ثورة كبيرة على وشك الوقوع.

وذات ليلة جاءني - الكلام لايزال لعبدالسلام - احد زملائي يحمل لي اخباراً جديدة.

لقد جمع نوري السعيد مجلس الدفاع الاعلى وطلب منه الموافقة على ارسال قوات الجيش العراقي لتحارب مع القوات البريطانية خارج العراق.. وطلب نوري السعيد من المجلس اية مبررات يستطيع ان يواجه بها الموقف..

وكانت الازمة..

فلم يكن في قيادة الجيش مغرور تبلغ به الخيانة حد تبرير هذه المؤامرة.

وكان رد نوري السعيد، تجميد مجلس الدفاع الاعلى.. وكانت ثورة عارمة تغلي في صدورنا نحن الضباط.. فقد استهان نوري السعيد بكل شيء.. وكان لابد من ان يحدث شيء مايوقف جنون هذا الرجل الارعن.

وجاءت نهاية شهر نيسان ١٩٤١ تحمل هذا الشيء.

حمل الجيش سلاحه ليثأر لكرامته وكرامة وطنه وشعبه قبل ان يسحقه الخونة.

وقبل الثورة بايام قليلة كانت هناك همسات خافتة تدور حول عمل ماسيقوم به الجيش لاسترداد كرامته.. وكان علينا ان ندعم هذا العمل.. وفي يوم الثورة كان لي شرف الاشتراك في جانب منها - طبقا لتعليمات تلقيتها - وكنت آنذاك امرا لرعيل المدرعات في القوة الألية.. وكانت مهمتي محاصرة القصور الملكية.

ولم تنجح الثورة..».

ثم يعود عبدالسلام محمد عارف ليقول: «كنا نحن الضباط الشبان نقف بعد الثورة نتساءل: ماهو المصير؟..

كان السؤال يلح علينا وتفرضه ظروف عصيبة مرت على بغداد، مصدر الثورة والانتفاضة.

وشهدت بغداد خلال هذه الفترة احلك ايامها.. اقيمت المشانق للثوار، واستقبلت السجون والمعتقلات المئات من الاحرار.. وتسلم المستعمرون زمام الامور، واصبح الامر والنهي بايدي «بيلي.. وهملي.. والجنرال سميث»؟!

وتشرد العشرات والمئات من الضباط على ايدي الطغمة الحاكمة. . وخرجت قوائم تشريد الضباط من وزارة الدفاع الى الشمال، وبعضهم الى الجنوب ، والبعض الى المعتقلات.].

وفي عام ١٩٤٤ اتهم الملازم الاول عبدالسلام محمد عارف باشتراكه في منظمة سرية للضباط تهدف الى تبديل الاوضاع. وجرت محاكمته على يد اللواء الركن بهاء الدين نوري، وبعد ان لم يظهر مايثبت ذلك عليه، فقد صدر أمر بنقله الى الناصرية.

وفي عام ١٩٤٦ نقل الملازم الاول عبدالسلام محمد عارف الى الكلية العسكرية. . ومن المآخذ التي اخذت عليه انه عندما كان امراً للفصيل الثالث في الكلية العسكرية في دورتها (٢٤) ، كان مكلفا من قبل ادارة الكلية بالمراقبة على امتحانات الطلبة، فقد أستبدل دفتر امتحان الطالب عرفان وجدي، الذي كان متفوقاً على زملائه الطلاب، ومن فصيل آخر غير فصيل عبدالسلام ـ بدفتر امتحان الطالب نجدت قاسم مقصود ـ الذي ينتسب الى الفصيل الثالث ـ فصيل الملازم الاول عبدالسلام ـ احدهما بالاخر، فوضع الرقم الامتحاني لدفتر الطالب عرفان وجدي على دفتر نجدت قاسم مقصود!

وبعد ان كشفت هذه (العملية) وهذا (التصرف) طلب آمر الكلية العسكرية العقيد الركن امين خاكي ـ برقيا الى وزارة الدفاع نقل الملازم الاول عبدالسلام محمد عارف من الكلية العسكرية، فتم نقله الى فوج في شمال العراق!!

ثم جاءت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وارسل الملازم الاول عبدالسلام محمد عارف وكيل مساعد الفوج الثاني لواء الرابع الى منطقة جنين. .

ولما وصل الى مقر الفوج كانت معنويات الفوج متدهورة لنكسة فجائية ، اصابته في قتاله مع اليهود. وكان بالطبع يعرف كضابط انه لاشيء يرفع هذه المعنويات، ويعيد الى الضباط والجنود روحهم العالية الا (النصر) يكسبونه في معركة جديدة.

وقرر ان يرد اليهم روحهم ويعيد اليهم معنوياتهم ، ولكن بعد تمهيد.

وبدأ بأن قام بتفتيش للقطاع الذي يحارب فيه الفوج ، وتبين انه قطاع واسع جدا ولم يكن هدفه التفتيش، بقدر ما كان بث الروح المعنوية العالية بين الضباط والجنود وتحريضهم على القتال الذي يحقق لهم النصر. وكانت زياراته ايضا استكشافا للقطاع واستطلاعاً للخطة الدفاعية، واستكمالا لما يجده فيها من نقص.

ونجح في مهمته. . وبدأ على الفور المرحلة الثانية، ومرحلة محاولة استرجاع بعض المناطق الحيوية المحتلة من قبل اليهود قبل التحاقه بالفوج، وعلى الرغم من وجود رجال الهدنة، فقد نجح في القيام بحركة هجوم ليلي مباغت استرجع بها منطقة مهمة فيها «بياره» كان الفوج يستقي منها الماء، والتي كانوا بدونها مهددين بالموت عطشا، او بشرب المياه الآسنة.

وكان انتصارهم على اليهود في هذه المعركة انتصارا خاطفا رد للرجال المحاربين معه في الفوج معنوياتهم واذكى حماسهم والهب شجاعتهم للقتال.

وسبقت الحركة مفاوضات بينه وبين اليهود لاسترجاع «البياره» عن طريق لجنة الهدنة، وواجه قائدهم وجها لوجه الذي وجد في نفسه التبجح الكافي لان يقول له معترضا طلبه استرجاع البيارة»:

- ان منطقة البيارة تعود الينا.. انها تخصنا...

فرد عليه عبدالسلام محمد عارف:

- ان هذه الارض كلها لايخصكم منها شبر واحد.. انها ارض عربية ونحن امناء عليها حتى نردها لاهلها عرب فلسطين.

وهزّ القائد اليهودي عضو عصابة (بن كوريون) و (موشي ديان) وشركائهما رأسه، ومضى يقول له في تبجحه:

- ان هذه البيارة تعود الينا.. انها تخصنا.

وكان جوابه ان لوحّ في وجهه بعصاه مهددا ومنذرا وصاح فيه:

- سوف ترى لمن تكون البيارة، بعد ايام..!!

وبعد ايام قام عبدالسلام بحركته. وكان خلال الهجوم يسيطر على السرايا المهاجمة، وحتى وصل الى السرايا الامامية واحتل الهدف، وعادت اليه البيارة، وبقيت في ايديه يشرب من مائها العذب هو وفوجه، حتى سلموها ضمن قطاع الفوج الى (الجيش العربي) حينما امروا من القيادة بترك القطاع والعودة الى العراق!

ومن بلايا فلسطين التي يذكرها عبدالسلام محمد عارف انه اثناء قتالهم في معركة «كيشر»، كان الجيش السوري يقاتل شمالهم في منطقة «سبخ» جنوب «طبرية» ولم يكن في استطاعتهم التعاون معهم حتى في المدفعية لانهم بعيدين عنهم، وبينهم نهر اليرموك» و«نهر الشريعة»، وهذا طبعا من فساد الخطة العامة للمعركة، اذ كان ينبغي ان تكون الجيوش متقاربة متساندة ويمكنها ان تبادل المعونة في يُسر وسهولة وكان هذا يحز في نفس عبدالسلام ويؤلمه اشد الألم!

ويوم صدر لهم الامر بالانسحاب من «كيشر» يوم ١٩ مايس ١٩٤٨ كتبوا برقية للقيادة يردون بها على هذا الامر بانه غير مصيب وانه يجب ان يترك لهم امر التحشد والاستطلاع ووضع خطط واضحة ممكن تطبيقها للوصول الى النصر.

وجاءهم الرد: «الحالة ستتحسن، وستصلكم الاوامر لتنفيذ خطط واضحة، نفذوا اوامر الانسحاب طبقا للخطة المرسلة فورا»!

وانسحبوا الى جهة «المثلث العربي» - جبهة نابلس.. ووقع في ايديهم بعد ذلك تقرير من تقارير الجيش الاسرائيلي فقرأوا فيها وصفا لانسحابهم هذا يقولون فيه:

«ان العراقيين قد هاجموا كيشر كالمجانين وانسحبوا منها كالمجانين»!!

وفي «نابلس» اخذوا يصطدمون مع اليهود في معارك صغيرة في اول الامر، ثم تطورت الى قتال عنيف عندما هاجم اليهود «جنين» في يوم ٤ حزيران ١٩٤٨. وكانت الخطة المثلى امامهم، ان يهجموا على مدينة «نتانيا» و «كفربونه» في غرب «طولكرم» بقصد شطر اسرائيل الى شطرين، ولكنهم فوجئوا باوامر القيادة بان يستنجدوا بالجحفل الرابع لانقاذهم، بدلا من تطبيق خطتهم..!!

واستمر القتال بعد ذلك دفاعيا من جانبهم حتى نهاية عام ١٩٤٨، عندما علموا بامر الهدنة التي لم يشترك العراق في مفاوضاتها مع اسرائيل. ووصل اليهم نبأ بأن اليهود سيهاجمون الجيش العراقي لاجباره على الانسحاب عنوة. وفعلا لم يلبثوا ان هاجموا مواقعهم في «مليس» و «قلقيلية» وانتزعوا بعض مراكز المناضلين الفلسطينيين. وبعد الاستطلاع نظموا مع آمر الموقع

خطة هجوم حاشدة للمدفعية والمشاة واستطاعوا في ظرف عشرين دقيقة ان يردوا بهذه الخطة المهاجمين اليهود - وان يسترجعوا المراكز التي انتزعوها ويحكموها في نفس الليلة.

وانسحبوا بعد ذلك بالرغم منهم وفي القلوب حسرة واسى، بعد تسليمهم مواقعهم للجيش الاردني، ونزلوا في «معسكر الزرقا» على مقربة من عمان، وبقوا فيه شهرا حتى سنحت الظروف، وتهيأت لهم وسائل النقل، فعادوا الى العراق عن طريق المفرق، على مراحل، في ظرف ثلاثة ايام.

ويقول عبدالسلام محمد عارف عن تلك الايام: «كانت فترة عصيبة تلك التي قضيناها على سفوح وهضاب فلسطين.. لقد كنا نقاتل بكل قوتنا واوكار الخيانة ترسم الموقف كما يحلو للمستعمرين».

وكان لدى عبدالسلام رغبة ملحة في الانتساب الى كلية الاركان، على ان شرطا واحدا من شروط القبول لم يتوافر لديه.. وهو ان يكون قد حصل على شهادة الدراسة الاعدادية (الثانوية).. اذ سبق ان دخل الكلية العسكرية، ولم يكن قد حصل بعد على الشهادة الاعدادية.

فتقدم بطلب الامتحان الخارجي الى وزارة المعارف للدراسة الاعدادية، وفعلا ادى الامتحان في الدور الثاني في ثانوية الرمادي ونجح، واصبح مؤهلا لقبوله في كلية الاركان ببغداد.

وفي ٣١ آذار ١٩٤٩ قُبل في كلية الاركان، وتخرج فيها في ٢٣ نيسان ١٩٥١، وكان موضوع (اطروحة) تخرجه بعنوان «ثورة الزنج» التي ساعده فيها كل من الدكتور عبدالعزيز الدوري. ورؤوف الواعظ.

وفي عام ١٩٥٢ تردد ان هناك نواة لتنظيم سري في الجيش الا ان السلطات استطاعت ان تضع يدها على ضباط قالت انهم اعضاء التنظيم.

ويتحدث عبدالسلام محمد عارف في مذكراته عن هذه الايام قائلا:

وبينما بغداد ترسف في اغلال العبودية يحكمها الطامعون والرجعية واذيالها، اذا بصوت الثورة يأتي من القاهرة. وقد كنا نتابع كل التفاصيل يوما بيوم..

وفي اعقاب الايام الاولى للثورة المصرية احسسنا ان نشاطا زائدا يدور في بغداد..، وان مزيدا من الاعتقالات يتم داخل صفوف الجيش والمواطنين، كان ذلك رد فعل مباشر للخوف الذي انتاب الخونة، خوفهم من ان ينهاروا، كما انهار قصر فاروق الطاغية.

لقد عانى الجيش من طغيان نوري السعيد واستبداده، لم يبق بين صفوف الجيش ممن لم يصبه الاضطهاد والتنكيل.

وكان الاحساس الذي يسري داخل صفوف الجيش ان ابناء الجيش هم من الشعب وعليهم دور طليعي لابد ان يؤدوه.

وكان التساؤل الذي يدور في اوساط الجيش: كيف سينزل الجيش ضربته بالطغمة الظالمة؟!

ويتردد هذا السؤال في الوقت الذي احكمت فيه عناصر الخيانة قبضتها، وفي الوقت الذي كان الاستعمار لن يتردد في توجيه قواته للقضاء على كل مقاومة او ثورة.

ووسط هذا الجو المتشائم دبَّ نشاط واسع بين صفوف الضباط.

كانت كل محاولاتنا حتى ذلك الوقت محاولات فردية تسعى الى تنظيم القوى ، وتنشد تجميع صفوف الاحرار في الجيش.

ورغم ان الفعل لم يكن دقيقا بالدرجة التي تؤهلنا للاسراع بالمهمة المطلوبة منا . . الا ان هذه الفترة ادت الى خلق قاعدة مترابطة مؤمنة بدورها في انقاذ البلاد].

وفي ٣٠ ايلول ١٩٥٤ عين المقدم الركن عبدالسلام محمد عارف آمرا للفوج الثالث لواء التاسع عشر الذي سمي بعدئذ بالفوج الثالث للواء العشرين.

ثم يأتي عام ١٩٥٦ فيتحرك عبدالسلام مع فوجه الى منطقة (المفرق) في الاردن عندما هدد اليهود بالهجوم على الاردن. وفي هذا العام بالذات تتأكد النوايا الاستعمارية الخبيثة فيحدث العدوان الثلاثي: البريطاني - الفرنسي - الاسرائيلي على الشقيقة الكبرى مصر.

وتحسس الضباط الاحرار، ومن بينهم عبدالسلام بعمق المأساة التي يعيشها شعبنا الشجاع.

وفي هذا العام ايضا اوفد عبدالسلام محمد عارف مع عدد من الضباط للالتحاق بالقطعات البريطانية في المانيا الغربية لمدة شهرين.

وخلال اعوام مابين ١٩٥٤ - ١٩٥٨ عمل عبدالسلام محمد عارف وعبدالكريم قاسم معا، واسسا وحدة من الضباط الاحرار مستقلة عن الهيئة العليا للضباط في بغداد. وكانت عرى الصداقة قد توثقت بينهما الى درجة اصر معها عبدالكريم قاسم، بعد ان انضم الى الهيئة العليا في بغداد على اشراك عبدالسلام محمد عارف في تلك المنظمة. *

وفي الاول من شهر اذار ١٩٥٨ انيطت بالعقيد الركن عبدالسلام محمد عارف آمرية لواء العشرين وكالة.

ويتحدث عبدالسلام محمد عارف عن الايام التي سبقت يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ قائلا: «عندما تأكد لنا بشكل واضح ان اللواء العشرين الذي كنت اعمل به سوف يتحرك الى الاردن مارا ببغداد. . حملت هذه الاخبار الى بغداد. . وعقدت عدة اجتماعات سريعة مع زملائي اعضاء الهيئة العليا. . واتفقنا على ان يكون ذلك هو موعد تنفيذ الحركة. وان يتوقف اللواء العشرين في بغداد للتنفيذ بدلا من الاتجاه الى الاردن.

وبدأت بعد ذلك الاتصال بالضباط الذين سيقومون بالتنفيذ. . وشهد يوم الخميس ١٠ تموز ١٩٥٨ نشاطا واسعا. . فقد كان عليّ ان امر على جميع الضباط المكلفين بتنفيذ العملية لاشرح لهم تفاصيل الخطة وتحركاتهم. . وكان واجبي ان اسيطر على اللواء العشرين واعزل مقر قيادته واستلم القيادة . . كان عليّ ان اقوم بذلك وانا مازلت آمرا للفوج الثالث من اللواء.

كان اللواء لايملك عتادا عدا فوجي الذي دبرت له السلاح من قبل.

وفي نفس الوقت كانت قطعات التنفيذ في معسكر الرشيد في بغداد لاتملك العتاد ايضا. .

وكان الاتفاق بيننا ان ارسل لهم العتاد، على ان يكون ذلك اشارة الى بدء العملية فورا.

بعد ان اطمأنت الى كل ذلك ، وبعد ان كتبت تفاصيل الخطة في مفكرة صغيرة في جيبي اخذت اراجعها للمرة الاخيرة. .

مهمتي في الخطة ان اتحرك باللواء تحركا طبيعيا، وعلى ان اتحمل مسؤولية التنفيذ في بغداد بكل تفاصيلها، واكون على رأس القوات التي تحتل جانب الكرخ، وفيه الاذاعة والتلفزيون وقصر الرحاب ، وقصر نوري السعيد].

ثم يستطرد العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف في سرد تفاصيل ماحدث في تلك الليلة الحاسمة في تاريخ العراق الحديث قائلا:

«استيقظت من نومي مع خيوط الشمس الاولى، وكلي حيوية ونشاط ووجهي مشرق بالامل هكذا رأيته في مرآتي الصغيرة في غرفة نومي بمعسكر (جلولاء)، وانا واقف امامها لأحلق ذقني، ورأيت شفتي تنفرجان وحدهما عن ابتسامة الرضا واكملت حلاقة ذقني في اسرع وقت حلقتها فيه طيلة حياتها معي. ثم توضأت وصليت فريضة الصبح . وبعد ان ختمت الصلاة رفعت عيني ويدي بالدعاء لصاحب الفريضة مرددا بصوت خافت ولكنه عميق بحيث خيل لي ان له صدى عميقا قويا. يتردد جنبات صدري ويهز كياني كله، قلت:

«يارب.. انني لا اجد في هذه اللحظة دعاء اتجه به اليك سبحانك وتعاليت خيرا من دعاء والدي دائما، ان توفقني يارب وتعمي عني ابصار الظالمين..»

ثم خفضت رأسي واغمضت عيني لحظات، وكانما انتظر وصول دعائي الى عتبات السماء ثم مددت يدي الى المصحف على المائدة الصغيرة القريبة مني، وفتحت صفحاته دون تحديد او تعيين، فاذا بي عند بداية (سورة الانبياء) وقرأت بصوت خافت: «بسم الله الرحمن الرحيم.. اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون، لاهية قلوبهم، واسروا النجوى الذين ظلموا . هل هذا الا بشر مثلكم، أفتأتون السحر وانتم تبصرون؟ قال ربي يعلم القول في السماء والارض، وهو السميع العليم» وأقفلت المصحف وهتفت بصوت مسموع «صدق الله العظيم».

ثم يردف العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف فيقول:

«كان علينا ان نتحرك بقواتنا من جلولاء لنصل الى بغداد قبل بزوغ فجر ١٤تموز.. ولكن عندما بدأت عمليات التحرك، وقعت حادثة كادت ان تؤخر موعد تنفيذ الثورة فبعد ان عزلت قيادة اللواء العشرين قمت انا بقيادة اللواء اعترض احد الضباط وهو العقيد الركن ياسين محمد رؤوف، وكان يشغل منصب آمر الفوج الثاني.. وكان رفضه يعني بالنسبة لنا التأخر في التنفيذ.. وقد حاولت اقناعه بالتراجع. لكنه اصر على موقفه، فأمرت باعتقاله فورا.. وقام الضباط باعتقاله وعزله رغم مقاومته.. وتسلم ضابط اخر قيادة الفوج الثاني.

وقد استمرت هذه العملية حوالي ساعة مما ادى الى ان بعض ضباط الحركة كادوا يعودون الى اماكنهم ـ لولا اصراري على المضي في التنفيذ، وقد تقبلوا الاوامر بوطنية صادقة واخلاص كان له اثره في تعويض الوقت الذي ضاع.

كنت حريصا على ان تتم العملية بشكل طبيعي حتى لايشك في تحرك اللواء، ولذلك لم يكن احد من جنودي يعرف شيئا عن مهمة اللواء في بغداد، اللهم الا اولئك الضباط المكلفون بواجبات معينة.

ومع خيوط الصباح الاولى ، كانت قواتنا قد وصلت منطقة بغداد الجديدة على مشارف بغداد ، وهناك جمعت الضباط والجنود وكشفت لهم عن مهمتنا، وقلت لهم من يريد ان يبقى معنا ليساهم في هذا الشرف الوطني فليبق، ومن لايريد فلينسحب من الان.. ولم يتركنا جندي واحد.. تحرك الجميع في حماس لم أكن اقدر انه سيصل هذا المستوى..

وبدأت القطعات تتحرك كل الى المكان الذي رسمته له الخطة..
ودخلت مع قواتي الى مبنى الاذاعة حيث اذعت على الشعب البيان الاول للثورة].
ثم يقول العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف: لقد عمت الثورة افراد الشعب، وتلقت الاذاعة الالاف من البرقيات سواء من وحدات الجيش او من افراد الشعب، وخرجت المظاهرات ثائرة في مدن العراق وقراه وسيطرت وحدات الجيش، دون اية تعليمات على منشآت النفط في البصرة وكركوك والموصل خشية تخريب المخربين].

ويروي لنا شقيقه عبدالسميع محمد عارف انه تسلم من عبدالسلام ليلة دخوله بغداد على رأس القطعات وصيتين كتبهما بخط يده، احدهما موجهة اليه، والاخرى لوالدهما، يوصيهما بالاولاد ويطلب فيهما ان يكونا قريري العين وانه اذا لقي ربه فسيكون مسرورا ومن الشهداء.
ويوضح عبدالسميع محمد عارف، بان شقيقه لم يخبره بساعة الصفر، وانه عندما سأله ابن ستعسكرون عند مروركم في بغداد؟ اجابه ضاحكا: «بالقرب من الاذاعة والتلفزيون»!

واذاع العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف بعد ذلك عدة بيانات كان احدها تعيينه نائبا لرئيس الوزراء، ووكيلا لوزير الداخلية ومعاونا للقائد العام للقوات المسلحة.

وفي صباح يوم ١٨ تموز ١٩٥٨ غادر العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف نائب رئيس الوزراء والوفد المرافق له بغداد متوجها الى دمشق فوصل اليها في الساعة التاسعة صباحا حيث نزل في استراحة المشير عبدالحكيم عامر.
وفي الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم التقى جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة الذي كان قد وصل الى دمشق قادما من موسكو.. وبدأ الحديث عن الاوضاع في بغداد، والتهديدات التي توجه للثورة خاصة انزال القوات الامريكية وانزال القوات البريطانية، وتحدثا كذلك عن عدم اعتراف بعض الدولة بالثورة حتى تلك اللحظة.
ودار حديث طويل حول الوحدة، وكان الرئيس جمال عبدالناصر يرى ان على الثورة ان تدعم نفسها اولا وان تقضي على اعدائها.

ويروي محمد حسنين هيكل في كتابه «سنوات الغليان» احداث الايام التي كان فيها العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف في دمشق - بعد اربع ايام من قيام النظام الجمهوري في العراق والتقائه اول مرة بالرئيس جمال عبدالناصر فيقول:

كان العشاء مع الوفد العراقي مناسبة عامرة بالحماسة ومشاعر الزهو بانتصار كبير على المستوى القومي. وبعد ان فرغ العشاء كان «جمال عبدالناصر» على موعد مع الاستاذ «صديق شنشل» الذي كان صديقاً قديما لـ «جمال عبدالناصر»، بحكم انشغاله الطويل بالعمل العربي القومي. وقد روعى ان لايتم هذا اللقاء في قصر الضيافة حتى لايسبب حساسية للاخرين من اعضاء الوفد. وعندما تم هذا اللقاء بدأ «جمال عبدالناصر» بان قال لـ «صديق شنشل» ان «ماحدث في بغداد كان بالنسبة له اشبه مايكون بالاحلام مستحيلة التحقيق». وفوجيء «جمال

عبدالناصر، بالاستاذ «صديق شنشل» يقول له : «على المستوى القومي نعم ياسيادة الرئيس، لكنه على مستوى الوطن العراقي يمكن ان يتحول الى كابوس ثقيل». وبدت الدهشة على وجه، «جمال عبدالناصر»، فرغم كل ماسمعه من «عبدالحميد السراج» فان مايقوله «صديق شنشل» الان يبدو له اسوأ مما تصور. ومضى «صديق شنشل» يقول: «ان على رأس الثورة العراقية الان رجلين، اولهما نصف مجنون، والثاني نصف عاقل»!

كان نصف المجنون في تقدير «صديق شنشل» هو اللواء «عبدالكريم قاسم» رئيس مجلس قيادة الثورة، وكان نصف العاقل في تقديره ايضا هو العقيد «عبد السلام عارف». وراح «صديق شنشل» يروي لـ«جمال عبدالناصر» تفاصيل التفاصيل عن الظروف التي قامت فيها الثورة وكيف انه كانت هناك مجموعات تتسابق الى القيام بها منذ جرى تأسيس دولة الوحدة بين مصر وسوريا في شهر فبراير. ثم كيف ان «عبدالكريم قاسم» و «عبدالسلام عارف» انفردا بالعمل في الايام الاخيرة، وان ذلك احدث خلافات كبيرة داخل المجموعات. ومن خلال هذه التفاصيل بدأ «جمال عبدالناصر» يدرك انه على حق في الاراء التي ابداها في اثناء مناقشته مع الاستاذ «ميشيل عفلق» قبل ساعات قليلة. وحتى قرب الفجر كان «جمال عبدالناصر» يسمع ويسمع وتزداد مخاوفه لحظة بعد لحظة على الثورة العراقية خصوصا وقد شعر من خلال ماسمعه من الاستاذ «صديق شنشل» ان التوتر قائم حتى في العلاقات بين «عبد الكريم قاسم» و «عبدالسلام عارف» نفسيهما. وقبل ان يفترق الرجلان مع مطلع الفجر قال «جمال عبدالناصر» لـ«صديق شنشل»: «إنني قبلت بالوحدة مع سوريا لظروف تعرفها، ولقد تصورت اننا نستطيع ان نقوم بخطوة كبيرة الى الامام ثم ندعم الخطوط ونسد الثغرات على مهل. ولكن ذلك لم يحدث فلا تزال خطوطنا طويلة ومكشوفة حتى الان، ثم ان الثغرات مازالت مفتوحة ومعرضة، وبرغم كل محاولاتي فلابد ان اعترف لك اننا لم ننجح بالقدر الذي تصورته او تمنيته، وانا لا اريد ان احمل تجربة الوحدة بين مصر وسورية بتبعات كل هذه المتناقضات القائمة في بغداد الان. ولهذا فسوف تجدني على استعداد لان اقوم بكل عمل من شأنه تدعيم ثورة العراق، ومن شأنه فتح آفاق التعاون الممكن بين البلدين، ولكنني ارجوكم ان لاتطالبوني باي خطوة وحدوية الان». وقال الاستاذ «صديق شنشل» ان «هذا رأيه بالفعل، وانه جاء الى دمشق عازما على ان يصارح «جمال عبدالناصر» به من منطلق قومي، وانه لو كان قد وجد لديه اتجاها اخر لنصحه بعكسه لان الوحدة بين مصر وسوريا معرضة للغرق في الموج الخضم الذي يغمر بغداد الان - رغم ايمانه الكامل بحقيقة الوحدة العربية».

وفي الصباح الباكر كان «عبدالسلام عارف» على مائدة الافطار مع «جمال عبدالناصر» وكان حديثهما صريحا، وقد وجد فيه «جمال عبدالناصر» مايؤيد مخاوفه - فإن «عبدالسلام عارف» قضى اكثر من ربع ساعة يشكو من «عبدالكريم قاسم» وكيف انه حاول بعد نجاح الثورة ان يفرض نفسه قائدا اوحد لها، ويحجب الاخرين مستغلا في ذلك مجموعة من الضباط الذين بهرهم وجود اسمه رئيسا لمجلس قيادة الثورة، في حين ان ذلك كان في رأي «عبدالسلام عارف» ترتيبا شكليا ضمن قيادة جماعية كان ضروريا ان يتفق عليها لتحمل مسؤوليات قيادة الثورة العراقية - ولكن «عبدالكريم قاسم» انتهز فرصة النجاح الاولى لقوات الثورة، وبدأ ينسب كل شيء الى شخصه. وكان رأي «عبدالسلام عارف» ان التركيبة الوطنية للعراق بوجود السنة والشيعة

والاكراد، تسبب وضعاً يستحيل معه انفراد «عبدالكريم قاسم» بقيادة الثورة والحكم.
وانضم بقية اعضاء الوفد العراقي الى «جمال عبدالناصر» و «عبدالسلام عارف» ومنذ اللحظة الاولى قال لهم «جمال عبدالناصر» انه على استعداد لتوقيع اي اتفاق مع النظام الثوري في العراق لكنه ليس متحمسا لاي عمل وحدوي في هذه الظروف.
كان بالفعل يشعر ان الخطوط طالت، وان الثغرات مفتوحة، وان امن الحركة القومية العربية يحتاج الى التدعيم والتركيز اكثر مما يحتاج الى الاتساع والانتشار].

وحصل الخلاف بين قطبي الثورة، بعد ذلك..!!
وبدأ يستفحل يوما بعد يوم..
ففي يوم ١١ ايلول ١٩٥٨ اصدر الزعيم الركن عبدالكريم قاسم القائد العام للقوات المسلحة ورئيس الوزراء ووزير الدفاع، قرارا يقضي بعزل العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف من منصبه كنائب للقائد العام للقوات المسلحة.
ويذكر الدكتور محمد حسين الزبيدي في رسالته الجامعية بعنوان «ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق» قائلا: كنت يوم عزل عبدالسلام عن منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة طالبا في الصف الرابع في كلية التربية ببغداد، وكنت اسمع من افواه الشيوعيين ان عبدالسلام سوف (يطير) ونحن نسترق السمع لما كان يدور بينهم، والغريب في الامر انني سمعت من احد الطلاب، انه سمع من زوجة رشيد مطلق، الالمانية الجنسية، ان عبدالسلام عارف سوف يجرد من مناصبه ويبعد الى بون. وقد حسبته يومها من تهويشات المغرضين، فلم اصدقه، ولم تمض ايام قليلة حتى صح هذا الخبر، فوقعت في حيرة من امري.
وعندما اذيع خبر اقالة عبدالسلام من دار الاذاعة كنت يومها سائرا في شارع ابي نؤاس مساء، فارتفع التصفيق والهتاف الى عنان السماء ابتهاجا (بسقوط الخونة والمتآمرين) من قبل الشيوعين الموجودين في مقاهي ابي نؤاس، وكانت خيبتنا نحن القوميين بهذا الحدث كبيرة.
وبعد ايام على احالة عبدالسلام عارف علمت انه جليس الدار، فحاولت زيارته فاتصلت بالاخ شعبان جاسم وهو (ابن خال عبدالسلام) وأعلمته بهذه الرغبة، وبعد ايام جاءني وقال لي: ان عبدالسلام عارف يقيم في دار ابيه في منطقة الصليخ ويمكن زيارته اذا اردت، فكونت وفدا من اربع طلاب، وهم من اعضاء الاتحاد الجمهوري السري في كلية التربية وهم: الطالب فاروق صالح والطالبة صفية العمري، والطالبة وداد العمري وانا، وذهبنا صباح أحد الايام الى دار والده في الصليخ، فوجدنا الاخ شعبان في انتظارنا في باب الدار فأدخلنا اليها وجلسنا في (الهول) حيث كان عبدالسلام مجتمعا مع احد السفراء الاجانب، واعتقد انه كان سفير المانيا، وعندما خرج السفير دخلنا غرفة الاستقبال التي كان فيها عبدالسلام، وقد استقبلنا بوجه باش ضاحك واجلسنا، والذي اذكره انه كان يحمل مسدسا. وبعد حديث المجاملة والتعارف بيننا، سألته وقلت له: كيف تم ابعادك بهذه الطريقة التي لاترضي احدا. قال عبدالسلام: لاادري.
فقلت له: كيف لاتدري ونحن نعلم بانك سوف تقال من مناصبك، وكنا نسمع ذلك منذ فترة ليست بالقصيرة، وان الشارع كان يتحدث في ذلك ولكثرة ماكان يردده الشارع كنا نظن ذلك نوعا من حرب الاعصاب.

فقال عبدالسلام: كنت في ذلك اليوم في اجتماع مع عبدالكريم قاسم في وزارة الدفاع، وعند انتهاء الاجتماع غادرت غرفته ذاهباً الى البيت، وعندما جئت لاركب سيارتي، واذا بالسائق يخبرني بان بيانا اذيع من دار الاذاعة باعفائي من منصبي نائب القائد العام للقوات المسلحة، فرجعت الى عبدالكريم قاسم مستفسرا ومستفهما عن صحة ما اذيع بخصوص اعفائي من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة فاخذ يعتذر ويقبلني في وجهي ويقول: «اني واقع تحت ضغط قادة الفرق، وان قادة الفرق يريدون ذلك» واخذ يبكي!!

فقلت له: ان موضوع ابعادك كان حديث الشارع، وان زوجة رشيد مطلق صاحب بار (شريف وحداد) الالمانية الجنسية كانت تعلم بذلك، واسرت لبعض الاشخاص الذين اوصلوا الخبر الينا.

فقال عبدالسلام تعليقا على قولي هذا: انظر الى الامور كيف وصلت الى درجة التدهور، حتى ان اسرار الدولة تعرفها النساء وتتحدث بها، وخاصة مثل زوجة ابو البار رشيد مطلق].

وفي يوم ٣٠ ايلول اصدر الزعيم الركن عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء قرارا اخر يقضي بتنحية العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف كنائب لرئيس الوزراء ووكيل لوزير الداخلية وذلك بناءً على ما تقتضيه المصلحة العامة» وتقرر ايضا ارساله سفيرا للعراق في جمهورية المانيا الاتحادية.

غير ان عبدالسلام رفض هذا المنصب.. وفي اليوم التالي قدم استقالته رسميا الى (الزعيم) في رسالة بعث بها اليه، واعلن انه «يؤثر البقاء في الوطن بلا وظيفة على ان يبتعد عن البلاد».

وفي يوم ١١ تشرين الاول دعا عبدالكريم قاسم. عبدالسلام محمد عارف الى مكتبه، وبعد مناقشة وجدال طويل. سحب عبدالسلام مسدسه محاولا الانتحار، بينما ادعى عبدالكريم انه حاول قتله في غرفته، واعترت عبدالسلام نوبة هستيرية أخذ معها يصرخ محتجا على ابعاده من البلاد، وتدخل بعض الضباط الكبار للمصالحة وتقريب وجهات النظر.

استمرت المداولات من الساعة الحادية عشرة صباحا حتى العاشرة مساءً، قبل بعدها عبدالسلام الذهاب الى «بون» ووعده عبدالكريم قاسم باستدعائه الى العراق بعد ثلاثة أسابيع!

وفي اليوم التالي توجه عبدالسلام محمد عارف بالطائرة الى «بون» يرافقه السفير علي حيدر سليمان الذي سيخلفه عبدالسلام في منصبه.

وفي اليوم الرابع من كانون الاول ١٩٥٨ عاد عبدالسلام من بون بالطائرة الى بغداد بصورة فجائية، وذهب الى بيته عن طريق فرعي!

اصدر عبدالكريم قاسم، عندما علم بعودة عبدالسلام محمد عارف من دون علمه وموافقته امرا الى مدير الشرطة العام العقيد طاهر يحيى بالتوجه فورا الى منزل عبدالسلام واحضاره الى مكتبه. وحاول «الزعيم» ان يوضح لعبد السلام ان الاوضاع التي كانت سائدة، والتي اقتضت مغادرته العراق لاتزال قائمة، وانه ينبغي له قبول منصب سفير في اي بلد يختاره، ولكن عبدالسلام أبى، وقال أنه على استعداد لان يقبل اية وظيفة اخرى، ولو كانت وظيفة جندي شريطة ان يظل في البلاد.

ولم يتفقا على شيء . . وغادر عبدالسلام مكتب (الزعيم) وتوجه الى بيته مدعياً انه سيفكر في الامر.

في اليوم التالي القي القبض على عبدالسلام محمد عارف وزج في التوقيف تمهيداً لمحاكمته وظل قيد التوقيف اكثر من شهر.

وفي ٢٧ كانون الاول ١٩٥٨ عقدت المحكمة العسكرية العليا الخاصة برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي جلستها السرية الاولى للنظر في التهمة الموجهة الى عبدالسلام محمد عارف، [ويجد القاريء الكريم تفاصيل هذه المحاكمة التاريخية في فصل افرد لها في هذا الكتاب].

وفي الخامس من شهر شباط ١٩٥٩ اصدرت المحكمة قرارها «باعدام المجرم عبدالسلام محمد عارف، وبتجريده من رتبته العسكرية، وطرده من الجيش».

احتفظ (الزعيم) بحكم الاعدام في درج مكتبه، ويبدو انه كان ينوي ان يبقي الحكم سيفا مسلطا فوق رأس عبدالسلام وانصاره اذا ما حاول احدهم القيام بحركة او ثورة ضده.

ويروي عبدالسلام محمد عارف ذكرياته عن ايام سجنه فيقول: «في احد الايام جاءني ضابط صغير من ضباط السجن وبكل وقاحته اخذ يسبني ويتهمني بانني انا الذي حرضت الشواف على الثورة.

وفي كل امسية كانوا يأخذونني معهم لارى العذاب الوحشي الذي يتعرض له المعتقل. كان شيئا فظيعاً يفوق الوصف. الاجساد تسيل منها الدماء، العيون لاتقوى على الحركة، الافواه فاغرة بشكل هستيري..

واعود الى زنزانتي. اشباح الاحرار تلتف حولي اكاد افقد عقلي. واهرب الى كتاب الله.

وفي احدى الامسيات، اطل عبدالكريم قاسم برأسه، وانا داخل زنزانتي. نظرت اليه بعينين ثابتتين، فاذا به يحوّل وجهه، فلم ابادله حرفا واحدا، واتجهت الى النافذة التي تقع في اعلى الزنزانة والمصحف في يدي.

ووقف عبدالكريم قاسم على باب الزنزانة وهو يسألني:

- هل تريد ابلاغ شيء لاهلك.. هل لك توصية لهم..؟!

قلت له: ليس منك التوصية.. الله عز وجل يرعاهم.

فالتفت عبدالكريم قاسم بعصبية الى الحراس وقال لهم.

- احلقوا له شعره.. الاعدام غدا.

ويصف عبدالسلام محمد عارف نفسه عندما قرر الزعيم عبدالكريم قاسم الافراج عنه في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦١.

«واخيرا قرر الافراج عني والاجتماع بي، وحاول بكل الوسائل ان اويده او اسير معه، ولكنني قلت له بصراحة، انني لن اتعاون معه، وانني لا اوافقه على كثير من القضايا الطلابية والشعبية والنقابات، وقلت له انني لن اقابلك بعد الان، خاصة وانه حاول استغلال مقابلاتي معه.. ثم سمح لي عبدالكريم قاسم بالسفر الى مكة لقضاء فريضة الحج، ظناً منه انني سأهرب

من المعركة واترك العراق له ولن اعود اليها. . فاذا به يذهل بعودتي بعد انتهاء فريضة الحج مباشرة.

وقد قلت رأيي في هذا الموضوع لكثيرين شعروا بنوع من الغرابة عند عودتي وقتها: لقد كنت استطيع ان اعيش كريما عزيزا بين اخوة لي في مصر ـ وداخل قصر عظيم على النيل. . ولكنني آثرت العودة الى ارض المعركة، لان الكفاح الحقيقي هو الذي يجري على نفس الارض وبين الشعب الذي من اجله نقود الجهاد].

ومن الجدير بالذكر، ان عبدالسلام محمد عارف، قد ارسل عدداًمن الرسائل. وهو في سجنه يستعطف الزعيم عبدالكريم قاسم «بحق الاخوة التي جمعتهما في الماضي ان لايصدق الوشايات والاقاويل التي تحاك ضده، وان يطلق سراحه، لان اولاده بحاجة ماسة اليه». وان هذه الرسائل وجدها المقدم الركن محمد يوسف طه عندما احتل وزارة الدفاع، ودخل مكتب عبدالكريم في التاسع من شباط ١٩٦٣، في احد ادراج المكتب، وقد سلمت هذه الرسائل بعدئذ الى الرئيس عبدالسلام محمد عارف، ويقال انه اتلفها.

وفي صبيحة يوم الجمعة الرابع عشر من رمضان ١٣٨٢ الموافق ٨ شباط ١٩٦٣، كان عبدالسلام محمد عارف قد أُخبر من قبل عدنان القصاب ـ احد اقطاب حزب البعث العربي الاشتراكي ان يكون مستعداً لامر مهم. .

ويروي لنا عبدالسميع محمد عارف ـ الشقيق الاكبر لعبد السلام ـ انه توجه صبيحة ذلك اليوم الى مسكن شقيقه في الاعظمية ـ بالقرب من المقبرة الملكية، فرآه مرتدياً ملابسه المدنية الشتوية وواقفا في حديقة مسكنه، وتتطلع عيناه في السماء.

وعندما شاهد عبدالسلام الطائرات تنقض على مقر «الزعيم» عبدالكريم قاسم بوزارة الدفاع قال لشقيقه: هاي هيَّ. . صارت!

ويروي لنا المهندس عدنان القصاب قصة تبليغ عبدالسلام محمد عارف ساعة الصفر لثورة الرابع عشر من رمضان قائلا:

ـ وقع عليَّ الاختيار من قبل قيادة فرع حزب البعث العربي في بغداد بتبليغ عبدالسلام محمد عارف. . وكان من رأي طالب شبيب ان يتم تبليغ عبدالسلام في الساعة الثامنة صباحا، بينما كان رأي حازم جواد ان يتم تبليغه في الساعة التاسعة صباح يوم الثورة.

وضع عدد من افراد الحرس القومي على مسكن عبدالسلام في الاعظمية وطلب اليهم عدم السماح له بالتحرك والخروج من الدار قبل اعلان ساعة الصفر، التي حددت بقيام الطائرات الحربية بقصف مقر عبدالكريم قاسم بوزارة الدفاع.

وصلت الدار ـ التي تقع بالقرب من المقبرة الملكية في تمام الساعة التاسعة صباحا. وضربت جرس الباب ـ غير ان الكهرباء كان مقطوعا كاملا عن الاعظمية في ذلك الصباح لعطب اصاب اسلاك الكهرباء. . وكنت قبل ذلك بقليل قد اتصلت هاتفيا من مسكن الحاج احمد كمال عبدالوهاب ـ والد زوجتي ـ الذي يقع خلف ثانوية الاعظمية، وقلت له: بعد قليل؟ صل داركم، فارجو ان تفتح الباب لي، لان الكهرباء مقطوع.

فتسأل عبدالسلام: من الذي يتكلم؟!
قلت له: بعد شويه راح تعرفني..
وجدته - عند وصولي مسكنه يتمش في الممر الامامي، وبلَّغته بكلمة السر، فقال لي
- لماذا لم يأتِ حازم جواد او عبدالستار عبداللطيف؟
فقلت له محتجا: ليش آني مو بعينك؟!
فضحك وقال: لا مو قصدي هذا.. تفضل.
وكان عبدالسلام يحمل في يده راديو ترانسستور، وبعد ان تكلمنا قليلا سمعنا قصف الطائرات لوزارة الدفاع. وبدأت اذاعة الثورة تذيع البيانات. وقلت له: بعد قليل ستأتي اليك سيارة عسكرية، او انا اتي اليك..
ورحت - ولايزال الكلام لعدنان القصاب - لاتمام بعض المهمات الحزبية، وبعد ان اوصلت لفيفاً من ضباط الثورة الى مقراتهم - عدت الى مسكن عبدالسلام محمد عارف في حوالي الساعة العاشرة ودار بيننا الحوار التالي:
عبدالسلام: ماذا ألبس؟!
عدنان: في رأيي ان تلبس بدلة عسكرية..
عبدالسلام: أي رتبة اشد؟ (يعني الرتبة التي يحملها).
عدنان: سأجلب لك بدلة عسكرية مع رتبة من عند عديلي المقدم طارق ابراهيم العمر.. لان جسمه يشابه جسمك..
عبدالسلام: واذا ما جاءت على قياسي؟!
عدنان: ابقَ بهذه البدلة المدنية..
عبدالسلام: ليس لديَّ سلاح..!
وهنا ناوله شقيقه عبدالسميع مسدسه، فأخذه وركب بجانبي سيارة معطاة لنا من امانة العاصمة، اذ كنت مهندسا في امانة العاصمة في تلك الايام، رقمها (٣٢ هـ بغداد) من نوع شيفورليت - وكنا نسميها العگرگة (الضفدعة) - ولونها اخضر. وسرنا في الطريق الى بغداد ثم عبرنا جسر الصرافية الحديدي.
وفي الطريق اخذ عبدالسلام يشرح لي نوعية القذائف الموجهة من وزارة الدفاع على الطائرات، والقذائف الموجهة من جانب الكرخ نحو وزارة الدفاع مقر عبدالكريم قاسم.
وقد جابهتنا - ونحن في طريقنا الى (ابو غريب) جماهير معادية للثورة تهتف للزعيم عبدالكريم قاسم، فحاول عبدالسلام ان يُحييها، ظاناً ان تلك الجماهير تؤيد الثورة.
اخبرته بانها جماهير معادية، وان عليه ان يخفي شخصيته لانه شخص معروف.
وانزلنا واقية الشمس، لتحجب الرؤية عنا.
وعند مدخل الطريق المؤدي الى (ابو غريب) شاهدنا السيدة هناء العمري (زوجة علي صالح السعدي - بعدئذ) فتقدمت نحو السيارة وصافحت عبدالسلام - وكانت اول من صافحه، وهتفت بأسمه!
وعند وصولنا الى (ابو غريب) شاهدنا احمد حسن البكر وعبدالستار عبداللطيف على ناقلة جنود.

ابتدرنا احمد حسن البكر قائلا: لماذا تأخرتم..؟!

وقبل ان نجيب على هذا التساؤل، حمل عبدالستار عبداللطيف، عبدالسلام محمد عارف واركبه الناقلة، وهو يهتف: يعيش ابو الثوار..

وتركتهم - متوجهين - الثلاثة الى محطة الاذاعة في الصالحية] - انتهى حديث القصاب.

كان عبدالسلام محمد عارف على علم مسبق بالثورة على نظام عبدالكريم قاسم - كما تبين لنا ذلك - ولكنه كان لايعلم بساعة الصفر!!

فقد سهر ليلتها مستمعاً الى الحفل الغنائي للمطربة الكبيرة (ام كلثوم) المنقولة على الهواء من اذاعتي القاهرة وصوت العرب. ونام في ساعة متأخرة من تلك الليلة عند الفجر،

ولو كان يدري بساعة الصفر - كما كان يصرح بعد ذلك في مناسبات عديدة - لهيأ ملابسه العسكرية ولنال قسطا من الراحة استعدادا لهذا الحدث العظيم..

ثم لم يكن يدري قطعا بأنه قد تقرر ان يكون رئيساً للجمهورية..

فقد كان الاتفاق قبل قيام الثورة - في قيادة حزب البعث، على ان يولى هذا المنصب دون علمه!

فقد اكد لنا علي صالح السعدي - عند قدومه على رأس الوفد العراقي الى القاهرة ومقابلته الرئيس جمال عبدالناصر في قصر الطاهرة، بعد اسبوعين من قيام الثورة ان قيادة الحزب كان رأيها ان منصب «رئيس الجمهورية» هذا لايمنح عبدالسلام محمد عارف امتيازا عن باقي الاعضاء، حيث يشارك في مناقشة قرارات مجلس قيادة الثورة كبقية الاعضاء.. فبحكم القيادة الجماعية للمجلس الوطني لقيادة الثورة يبقى رئيس الجمهورية، جهة منفذة فقط، والجهة التشريعية، للمجلس الوطني لقيادة الثورة».

ويضيف علي صالح السعدي قائلا: والامر الثاني الذي ادى لانتخاب عبدالسلام محمد عارف رئيسا للجمهورية ان الظروف الانية التي مرت بها الثورة خلال قيامها ومحاولة قيادة الحزب لف العناصر القومية حولها ولاعتبارات منها ان عبدالسلام محمد عارف كان معروفا على الصعيد العربي والشعبي، اكثر من بقية القياديين للحزب باعتباره احد أبرز قادة ١٤ تموز وقد تعرض للسجن والاعتقال من قبل عبدالكريم قاسم.

فاعلان عبدالسلام محمد عارف رئيسا للجمهورية افاد حزب البعث لانه برهن ان ثورته هي ثورة كل القوى القومية».

ويبن لنا صبحي عبدالحميد - احد كبار اعضاء التنظيم العسكري القومي - انهم كانوا قد قرروا سابقا عند الاطاحة بعبدالكريم قاسم ونظام حكمه الفردي، ان يبقوا على مجلس السيادة كرأس للدولة خلال فترة انتقال، ولم يكن في تفكيرهم وخططهم المجيء بعبدالسلام محمد عارف رئيسا للجمهورية».

وفي ٣ تموز ١٩٦٣ تمرد بعض ضباط الصف من الشيوعيين في معسكر الرشيد، فتوجه اليهم رئيس الجمهورية عبدالسلام محمد عارف مع بعض مرافقيه وسحق ذلك التمرد.

وفي ٢١ آب ١٩٦٣ زار الرئيس عبدالسلام محمد عارف الجمهورية العربية المتحدة بدعوة من الرئيس جمال عبدالناصر، وأجرى في القاهرة مباحثات تناولت الشؤون العربية.

وفي ٢ ايلول ١٩٦٣ زار الجمهورية العربية السورية بدعوة من الرئيس امين الحافظ واجرى خلالها في دمشق مباحثات استهدفت تنسيق الجهود في تسوية الصف العربي وازالة الشوائب التي كانت مخيمة على العلاقات بين الدول العربية.

وفي ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ اعلن مقدم الجو منذر توفيق الونداوي وجماعته الثورة على الرئيس عبدالسلام محمد عارف، بعد ان سُفّر علي صالح السعدي الى خارج العراق. فقام بالاغارة بطائرة من نوع «انتيوف ١٦» انطلقت من قاعدة الحبانية على القصر الجمهوري الذي كان الرئيس عبدالسلام فيه في تلك اللحظات وامطره بوابل من الصواريخ.

وقد اصاب صاروخ مكتب الرئيس عبدالسلام اصابة مباشرة، ونجا عبدالسلام الذي كان جالسا خلف مكتبه باعجوبة!

وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ اغتنم الرئيس عبدالسلام محمد عارف فرصة الصراع بين جناحي حزب البعث العربي الاشتراكي، «واستغلت الاخطاء التي وقع فيها الحزب اثناء الحكم» فسارع الى حشد العسكريين وضمهم الى جانبه وقضى على معارضيه، واستتب الحكم بين يديه.

وكان عبدالسلام محمد عارف قد اختلف مع غالبية قياديي البعث ـ كما يقول علي حسن المجيد في كتابه «التراث النضالي لحزب البعث العربي الاشتراكي : «فاستغل استياء الجيش من تصرفات الحرس القومي، وأستطاع ان يستقطب الجماعة المعادية للحزب والتي كان لها مراكز حساسة في الجيش.. كما استقطب الضباط البعثيين على اساس ان الحركة ليست موجهة ضد الحزب، وانما ضد الحرس القومي.. وفي ١٨ تشرين الثاني اصدر عبدالسلام عارف مرسوماً باسم مجلس قيادة الثورة يمنحه نفس الصلاحيات التي يمنحها عادة في حالات الطوارىء وقام عارف بحل الحرس القومي وشكل حكومة جديدة، حيث اصبح اللواء طاهر يحيى رئيس اركان الجيش رئيسا للوزراء والفريق حردان التكريتي قائد القوة الجوية وزيرا للدفاع، في حين تسنم البكر منصب نائب رئيس الوزراء. وكان هؤلاء الثلاثة اعضاء في حزب البعث، وسبق لهم في الاشهر التسعة الماضية تسنم مناصب عالية في السلطة].

وفي ١٢ كانون الثاني ١٩٦٤ توجه الرئيس عبدالسلام محمد عارف الى القاهرة لحضور مؤتمر القمة للرؤساء والملوك العرب الذي انعقد هناك على رأس وفد عراقي كبير. وقد ترأس هذا المؤتمر واسهم مع اخوانه في تنقية الجو العربي.

وفي ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٤ زار الرئيس عبدالسلام السد العالي في جنوب مصر واطلع على المرحلة الاخيرة لانشائه.

وفي ٢١ كانون الثاني عاد الى بغداد. وصدر بيان مشترك عن المحادثات بين الرئيسين عبدالسلام محمد عارف وجمال عبدالناصر. وجاء في البيان انه تقرر تأليف لجان مشتركة لتنسيق الشؤون الاقتصادية والثقافية والتخطيط ووسائل الاعلام.

وفي يوم ٢٠ اذار ١٩٦٤ توجه الرئيس عبدالسلام محمد عارف والوفد المرافق له الى كراجي في الباكستان. وكان في استقباله المشير ايوب خان رئيس الجمهورية الباكستانية.

وفي ٢٣ اذار شارك الرئيس عبدالسلام والوفد المرافق له الرئيس ايوب خان والشعب الباكستاني الاحتفالات الكبرى التي جرت في «راولبندي» هذا اليوم بمناسبة عيد باكستان الوطني. ثم قام بزيارة لمتحف تاكسيلا ومدينة (اسلام اباد) الذي يجري انشاؤها لتكون عاصمة للباكستان.

وفي ٢٤ اذار زار مدينة «لاهور» وتوجه فور وصوله الى ضريح العلامة (اقبال) فوضع اكليلا من الزهور على الضريح، ثم زار «مسجد بادي شاهي» هناك. وبعد ذلك حضر احتفالا كبيرا في «جامعة بنجاب» منحت الجامعة خلاله له درجة دكتوراه فخرية في القانون. ثم غادر «لاهور» متوجها الى «دكا» في ختام رحلة الى الباكستان.

وفي ٢٥ اذار قام الرئيس عبدالسلام والوفد المرافق له بزيارة مدينة «جيسور» وقد رافقه في هذه الزيارة السيد عبدالمنعم خان حاكم باكستان الشرقية. واعلن هناك انه تبرع بمبلغ ٥٥ الف روبية للفقراء.

وفي ٢٦ اذار ١٩٦٤ اختتمت الزيارة لجمهورية باكستان، وغادر مدينة «دكا» عاصمة باكستان الشرقية بطائرة خاصة الى «نيودلهي» في الهند.

وصل الى «نيودلهي» وكان في استقباله الرئيس الهندي «رادها كرشنان» وكبار رجال الدولة وبعد ذلك توجه الى «راج كارت» حيث وضع اكليلا من الزهور على ضريح المهاتما غاندي.

وفي ٢٧ آذار قام الرئيس عبدالسلام محمد عارف بزيارة مختبرات الفيزياء الوطنية.

ثم توجه بعد ذلك الى معهد الابحاث الزراعية. ثم ادى صلاة الجمعة في الجامع الاكبر في نيودلهي.

وفي ٣٠ آذار قام بزيارة لمدينة «بنغلور» قادما من «حيدر اباد».

وفي ٣١ آذار غادر مدينة «بنغلور» قاصدا «بونا» التي زار فيها اكاديمية الدفاع الوطنية. وبعد الظهر غادر مدينة «بونا» قاصدا «بومباي» في المرحلة الاخيرة من زيارته الرسمية.

وفي الاول من نيسان ١٩٦٤ عاد الرئيس عبدالسلام محمد عارف الى ارض الوطن، بعد ان استغرقت زيارته للباكستان والهند ١٢ يوما.

وفي ١٣ مايس ١٩٦٤ توجه الرئيس عبدالسلام الى مدينة «اسوان» بجنوب مصر للمشاركة في احتفالات انتهاء المرحلة الاولى من السد العالي، وهناك التقى جمال عبدالناصر واحمد بن بيللا رئيس الجمهورية الجزائرية والمستر خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي.

واجتمع الرئيس عبدالسلام محمد عارف بالزعيم السوفيتي خروشوف في يوم ١٨ مايس ١٩٦٤ في قصر القبة بالقاهرة وقد استمر مدة ساعتين.

وفي يوم ٢٦ مايس ١٩٦٤ وقع الرئيس عبدالسلام محمد عارف اتفاقية مع الرئيس جمال عبدالناصر، انبثق عنها مجلس الرئاسة المشترك بين القطرين، ثم انشاء القيادة السياسية الموحدة بينهما، وامانة عامة للمجلس المشترك، وقد عهد الى هذا المجلس بدراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لاقامة الوحدة بين البلدين في الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفي مجالات الاعلام وتنسيق التنظيم الشعبي.

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢٢ حزيران ١٩٦٤ تسلم الرئيس عبدالسلام محمد عارف اوراق اعتماد السيد مهدي بيراسته، سفير المملكة الايرانية لدى الجمهورية العراقية بحضور وزير خارجية العراق صبحي عبدالحميد.

نقل السفير الايراني اثناء المقابلة للرئيس عبدالسلام طلب شاه ايران بوجوب الاهتمام بالعتبات المقدسة و(رعاية) الشيعة في العراق.

اجاب الرئيس عبدالسلام محتدا وغاضبا: قل لشاهك، ان العتبا ت المقدسة نحن مهتمون بها اكثر من عندكم.. وقل لشاهك ايضا ان شيعة العراق عرب اصلاء كرماء.. وليس شاه ايران وصياً وقيماً عليهم..

وقبل ان يتفوه السفير الايراني بالرد، قال له الرئيس عبدالسلام:

- انتهت المقابلة.

وخرج السفير الايراني من هذه المقابلة يرتجف امتعاضا ويحترق غيضا.

ويروي لنا صبحي عبدالحميد وزير الخارجية حينذاك انه قال للسفير الايراني بعد خروجه:

- انك بتصرفك هكذا قد خالفت الاعراف الدبلوماسية وان قول الشاه هذا، هو تدخل صريح وسافر في شؤون العراق الداخلية.

ويقول صبحي عبدالحميد: ان ايران سحبت سفيرها من بغداد بعد هذا الحادث، كما سحب العراق سفيره في طهران، وتأزمت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين».

وفي ١٤ تموز ١٩٦٤ اعلن الرئيس عبدالسلام محمد عارف تأميم المصارف وشركات التأمين والمصانع الكبيرة، واعلن عن قيام (الاتحاد الاشتراكي) كحزب وحيد في البلاد.. وقد حلت اربعة احزاب سياسية تنظيماتها وانضمت الى الاتحاد الاشتراكي العربي، وهي: حركة القوميين العرب، الحزب العربي الاشتراكي، حركة الوحدويين الاشتراكيين، والوحدويون الاشتراكيون الديمقراطيون.

وفي يوم ٤ ايلول ١٩٦٤ غادر الرئيس عبدالسلام محمد عارف الى القاهرة على رأس الوفد العراقي للمشاركة في مؤتمر القمة العربي الثاني المنعقد في مدينة الاسكندرية.

وفي ٥ ايلول ١٩٦٤ اتهم حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق بالاعداد لمحاولة تطيح بالرئيس عبدالسلام محمد عارف عندما كان خارج القطر - فشنت حملة اعتقالات واسعة شملت اعضاء الحزب وانصاره، وكان على رأس المعتقلين احمد حسن البكر امين سر القيادة القطرية للحزب في العراق ، والمناضل صدام حسين.

وفي عشية انعقاد مؤتمر رؤساء عدم الانحياز في القاهرة يوم ٥ تشرين الاول ١٩٦٤ اعلن الرئيس عبدالسلام محمد عارف انه سينتهز فرصة وجوده في القاهرة ليبحث في اجتماع يعقده مجلس الرئاسة المشترك الخطوات الوحدوية التي تثبت وتؤكد الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.

ونشرت الصحف البغدادية في ١٨ تشرين الاول ١٩٦٤ الحديث الذي ادلى به الرئيس

عبدالسلام لجريدة «الاهرام» القاهرية الذي اعلن فيه ان العراق حكومة وشعباً يريد وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة على الفور.

وقد استهل الرئيس عبدالسلام حديثه بقوله: «ان القضية ليست قضية عاطفية، ولكنها قضية مبدأ وهدف، ولااعتقد ان هناك عقبات قد تقف في الطريق. اننا قد نجد انفسنا وجها لوجه امام الوحدة، لاننا سرنا فيها فعلا، ولذلك مظاهر متعددة.

ثم اشار الرئيس عبدالسلام الى مظاهر تحقيق الوحدة بين البلدين في مجالات التعليم والتنظيم الفني وقال: «وفي الجيش تجري الان عملية التفاعل بين الجيشين، وهناك قوات عربية موجودة فعلا مع الجيش العراقي تعمل معه، وعما قليل ستصل قوات من الجيش العراقي لتعمل مع جيش الجمهورية العربية المتحدة.

واجاب على سؤال: عما اذا كان يعتقد بان تجربة الوحدة مع سورية تجعلنا نتريث بعض الوقت حتى يتم التخطيط للوحدة الكاملة، وتتضح معالم الصورة مع واقع الدراسات التي يقدم بها مجلس الرئاسة المشترك؟.. فقال: ان تجربة الوحدة ماثلة امامنا، واخذنا من ورائها العبرة التي تخلفت عن جريمة الانفصال، والوضع مختلف في الحالين. كان هناك في سوريا اعداء للوحدة، قوى متنافرة ولكنها كانت تتجمع عند هدف واحد، هو ضرب الوحدة. كانت هناك القوى الرجعية حصون الرأسمالية المستغلة والعملاء. وكان هناك ايضا من تسللوا الى الحكم. والى التنظيمات الشعبية منتهزين فرصة التسامح معهم. كل هؤلاء ضربوا الوحدة. اما في العراق فما الذي يجري هناك؟.. واقعنا في القاهرة وفي بغداد واحد. والتماثل موجود في النظم الاجتماعية والاقتصادية، وشعب العراق نفسه هو الذي يلح في قيام الوحدة، يلح في قيامها ليدخل مرحلة استقرار في حياته. فقد انهكت قواه، وهزت كيانه الوان الحكم التي طرأت عليه بين حين واخر.

وقال الرئيس عبدالسلام: ان هناك قوى خارجية تعمل في توافق حيث يجمعها هدف مشترك وهو محاربة الوحدة». ثم اردف قائلا: «واحب ان اؤكد هنا ان محاربة الوحدة لايقصد بها سوى محاربة الرئيس جمال عبدالناصر، وذلك باعتباره الرائد الاول للامة العربية دون منازع وباعتباره القائد الذي تحمل مسؤولية العمل الثوري لتخليص كل جزء في الوطن العربي من النفوذ الاستعماري.

ومضى الرئيس عبدالسلام يقول: ولنضرب مثلا لذلك عندما كانت اذاعة احدى الدول تشن حملة هجوم على الرئيس جمال عبدالناصر باعتباره السند الاول لحركات التحرر في الشرق الاوسط وفي القاهرة الافريقية، وانذرنا هذه الدول رسمياً، ان اي هجوم على شخص الرئيس عبدالناصر هو هجوم على شخص الرئيس عبدالسلام محمد عارف.

واعلن الرئيس عبدالسلام، ان الوحدة معركة مع الاستعمار تحدد مصيره في المنطقة، وهي معركة اجتماعية لانها تحطم قيود الاحتكار من حول اعناق الشعب العربي، وهي تنهي عهود العملاء والخونة وتجار الوطنية، وهي ليست لشخص بذاته، ولكنها مشيئة امة، وقدر شعب، وهبه الله في تلك الفترة ابطالا شرفاء رائدهم جمال عبدالناصر الذي يتحمل مع الاحرار مسؤولية المصير الذي يبقى مع الشعوب.

واستطرد الرئيس عبدالسلام يقول: ومن اجل هذا فانه يجب الاحتراس التام من اي نكسة تصيب الوحدة كهدف نهائي واسمى وواجبا ان يتم تشييد هذا البناء الضخم على اسس صلدة وقوية جماهيريا ونضاليا، الامر الذي يوجب ان يكون العمل منطقيا وواقعيا، وهذا معنى العمل تدريجيا ومرحليا بحيث لاتوضع لبنة الا بعد ان تكون اللبنة التي تحتها راسخة

وقال الرئيس عبدالسلام: ان هناك خمس نتائج يمكن ان نتوصل اليها بعد هذاالتحليل:

١- ان الوحدة ارادة شعب، وليست مطلب اشخاص.

٢- ان اي حكم قومي لايمكن ان يستمر وجوده بدون وحدة تسنده.

٣- ان الظروف المتماثلة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين العراق هي الضمان القوي لسير الوحدة دون عقبات.

٤- ان بناء الوحدة على اسس متينة تدريجياً ومرحلياً يسد الثغرات في وجه القوى المعادية للوحدة.

٥- ان الشعب العراقي على طريق الارادة الحرة اختار الوحدة كمصير طبيعي تكفل له استقرار وتهيء له فرص العمل في حياة افضل.

وفي ختام حديثه اجاب الرئيس عبدالسلام محمد عارف على سؤال بشأن موضوع شكل الوحدة التي تدخل في دائرة افكار شعب العراق على مختلف مستوياته بقوله: لا استطيع ان احدد لاننا شركاء مع الجمهورية العربية المتحدة واخوة نضال مع قادتها والامر شورى بيننا، وكل خطوة تقدمية في سبيل الوحدة ماهي الا المسيرة على الطريق الأنجح لانجاز الوحدة].

وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٤ توفي والده الحاج محمد عارف عن شيخوخة صالحة، ودفن في جامع «الشيخ ضاري» في «ابو غريب»..

وكان الرئيس عبدالسلام محمد عارف حين وفاة والده راقدا في مستشفى الكرخ الجمهوري لاجراء الفحوصات الطبية، لمعرفة سبب الهزال الشديد الذي اصاب جسمه، وهبوط وزنه كثيرا، فقد شك الاطباء في اصابته بسرطان المعدة، غير انه لم يثبت ذلك.

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٤ اجريت له عملية لاستئصال اللوزتين عندما كان راقدا في مستشفى الكرخ الجمهوري، وقد امضى اسبوعاً في المستشفى، صدر بعدها بيان رسمي يعلن تماثله للشفاء.

وفي اواخر حزيران ١٩٦٥ حدثت ازمة حادة بين الرئيس عبدالسلام محمد عارف وبين القوميين استقال اثرها عدد من الوزراء...

ففي مساء يوم ٢٣ حزيران ١٩٦٥ اتصل عبدالله مجيد الامين العام لرئاسة الجمهورية بمدير وكالة الانباء العراقية العميد الركن دريد الدملوجي وطلب منه نشر خبر عن الاحداث التي وقعت في الجزائر بأزاحة الرئيس احمد بن بيلا عن رئاسة الجمهورية وان يكون هذا الخبر موضوع التعليق الرئيسي للاذاعة والتلفزيون والصحافة.

وفي صباح اليوم التالي ٢٤ حزيران، امر عبداللطيف الكمالي المدير العام للاذاعة والتلفزيون باختصار التعليقات، وعدم اذاعتها كما وردت من الوكالة!

واستمع الرئيس عبدالسلام الى ما اذيع، فوجد ان تعليماته لم تنفذ، فهاج وطلب الى عبدالله مجيد ان يتصل بالكمالي ويأمره باذاعة التعليمات كاملة من دون حذف او اختصار.. الا ان الكمالي رفض ذلك، مبرراً رفضه بان الخبر فيه دعاية شخصية لرئيس الجمهورية الامر الذي يتنافى مع واجب الاذاعة!!

وغضب عبدالله مجيد، بعد ان تأكد ان أمر الرئيس عبدالسلام لايمكن تنفيذه، ويتم الاعتراض عليه من موظف بدرجة «مدير عام»!

فأتصل عبدالله مجيد باحد المذيعين مباشرة وكلفه باذاعة التعليق، ونفذ المذيع الامر، فغضب عبداللطيف الكمالي المدير العام، وتوجه الى عبدالكريم فرحان وزير الثقافة والارشاد واخبره بتدخل الامين العام لرئاسة الجمهورية في شؤون الاذاعة والتلفزيون، فانضم الوزير الى المدير العام وايده في موقفه هذا.!!.....

اصدر عبدالكريم فرحان فورا كتابا عممه على الدوائر المختصة، واعطى صورة منه الى رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية ، جاء فيه:

«ان واجبات الاذاعة والتلفزيون خطيرة، في مقدمتها بناء الانسان العربي وتعميق المفاهيم القومية والانسانية وتوعية المواطن وتربيته.

لكن لمست ان بعض المسؤولين مازالوا يتصورون ان هذه الاجهزة وجدت للدعاية للحكام والمسئولين فأخذوا يضغطون على الموظفين والمذيعين فاربكوا امور هذه الاجهزة واثروا على مناهجها فكرهها الشعب وغرب عنها.

ارجو تفضلكم باصدار الاوامر للمعنيين والمسؤولين لتقدير هذه الناحية وعدم الاتصال بأي موظف من موظفي المديرية المذكورة عدا مديرها العام].

اعتبر الرئيس عبدالسلام هذا الكتاب موجها اليه ، وانه اهانة لشخصه فاوعز باصدار مرسوم جمهوري بنقل عبداللطيف الكمالي مدير عام الاذاعة والتلفزيون الى (مضمد) في (مستوصف راوندوز).

[كان الكمالي قبل ذلك موظفا في وزارة الصحة - ويحمل شهادة الحقوق].

واتصل الرئيس عبدالسلام برئيس الوزراء طاهر يحيى هاتفيا - وكان عبدالكريم فرحان في تلك اللحظات في مكتب رئيس الوزراء - وانهال على الوزير سباً وقذفاً. فسمع هذا مادار بين الاثنين من كلام يمسه شخصيا فقام على الفور ليقدم استقالته.

وفي ٣٠ حزيران ١٩٦٥، قدم العقيد الركن صبحي عبدالحميد وزير الداخلية استقالته تضامنا مع زميله العميد الركن عبدالكريم فرحان وزير الثقافة والارشاد، وفيما يلي نص استقالته:

السيد رئيس مجلس الوزراء المحترم:

لقد تردت اوضاع البلد في الفترة الاخيرة بشكل اصبح حتى اقرب الناس للحكم وهم القوميون على اختلاف فئاتهم واشخاصهم يتذمرون منتقدين تصرفات السلطة وضعف الحكم

ورغم تحذيرنا ونصحنا لم نجد اي استجابة لاصلاح الوضع بل استمر التدهور. واخذ الحكم يجنح الى الفردية متبعا سياسية «فرق تسد». هذه السياسة التي ادت الى تعميق الروح الطائفية، وتفتيت الوحدة بخلق الاقليمية، وبعثرة الصف القومي.

وقد استهين اخيرا بالوزراء واعتبروا مجرد آلات تنفيذية وبلغ الحد الى توجيه الاهانات الى وزير ثائر ومكافح معروف بشكل لم يسبق له مثيل في اي عهد من العهود التي مرت على العراق.

لقد فكرت مليا في الامر فوجدت ان البلد يحترق، وان الشعب يحملنا هذا الحريق، ولما كنا لانستطيع اخماد الحريق فقد قررت تقديم هذه الاستقالة مستندا للاسباب التالية:

١- فقدان الثقة والانسجام بين الثوار.
٢- انعدام الحكم الجماعي والاتجاه نحو الحكم الفردي.
٣- تفتيت الوحدة الوطنية.
٤- الاعتماد على العناصر الانتهازية الساذجة والمطبلة.
٥- التدخل في شؤون الوزارات وفرض الموظفين على الوزراء دون اعتبار رأيهم الخاص.
٦- تشجيع التكتلات في صفوف القوات المسلحة واثارة الحقد في نفوس الضباط بعضهم ضد الآخر.
٧- عدم الالتزام ببرنامج العمل المتفق عليه في القاهرة في اجتماعات القيادة السياسية الاخيرة وذلك:
(أ) لم يلتزم بمبدأ القيادة الجماعية.
(ب) لم يقبل بحث موضوع انهاء التكتلات في الجيش.
(جـ) لم تسد الثقة والانسجام بين الثوار.
٨ - اصبح في اعتقادي ان الطريق الى الوحدة بعيد المنال وذلك لان شروط اقامتها التي تستند على وحدة الجيش ووحدة القيادة ووحدة الصف القومي لم ولن تتحقق، لذلك اصبح مبرر وجودنا كوزراء وحدويين غير وارد.

وبناء على ماتقدم ارجو التوسط بقبول استقالتي من منصب وزير الداخلية ومن عضوية المجلس الوطني لقيادة الثورة. كما ارجو احالتي على التقاعد من الجيش.

واخيرا اشكر لكم حسن تعاونكم خلال الفترة التي عملنا بها معا راجيا لكم التوفيق في خدمة الوطن].

وتضامن مع عبدالكريم فرحان وصبحي عبدالحميد بعض الوزراء القوميين، فقدموا استقالتهم، وهم:

اديب الجادر وزير الصناعة، عبدالستار علي الحسين وزير العدل، فؤاد الركابي وزير الشؤون البلدية، عزيز الحافظ وزير الاقتصاد.

وفي الثالث من ايلول ١٩٦٥ قدم الفريق طاهر يحيى استقالة وزارته، بعد ان شعر ان الرئيس عبدالسلام بدأ يناور ضده، ويلمح له بضرورة فسح المجال للاخرين لخدمة البلاد!

كلفَ الرئيس عبدالسلام محمد عارف، عميد الجو الركن عارف عبدالرزاق بتشكيل وزارة جديدة، وقد اعتبر هذا التبديل الوزاري، اول تبديل سلمي منذ ثورة تموز ١٩٥٨.
شكلَ عارف عبدالرزاق وزارته في ٦ ايلول ١٩٦٥. وكان معظم وزراء الحكومة الجديدة قد فرضهم الرئيس عبدالسلام، واصر على استيزارهم. ولم يهتم عارف عبدالرزاق بالشكل الذي تم عليه تشكيل الحكومة التي يرأسها - رغم ان الرئيس عبدالسلام قد اجبر عارف عبدالرزاق على تخفيض عدد العسكريين الى ثلاثة فقط، مقابل تسعة في وزارة طاهر يحيى المستقيلة.
كان عارف عبدالرزاق يتطلع الى ماهو ارفع من رئاسة الوزارة، فترك تصريف الامور الروتينية الى نائبه ووزير خارجيته عبدالرحمن البزاز.
غادر الرئيس عبدالسلام محمد عارف بغداد الى الدار البيضاء (المغرب) لحضور مؤتمر القمة العربي الثالث المنعقد في ١٢ ايلول ١٩٦٥ يرافقه نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية عبدالرحمن البزاز.
كان في اعتقاد الرئيس عبدالسلام ان عارف عبدالرزاق رئيس الوزراء راضٍ عن اسلوب العمل، ولكنه رغم ذلك اصدر تعليماته قبيل مغادرته بغداد بمراقبة تحركات رئيس الوزراء.!
وعندما اقلعت الطائرة بالرئيس عبدالسلام وبالوفد المرافق له، بدأ عارف عبدالرزاق بتحركاته، وراح الفريق القومي الوحدوي (الذي اطلق عليه الفريق الناصري) الذي استقال بعض عناصره المهمة من الوزارة قبل ذلك بشهرين، يحرضه ويدفعه للعمل للاطاحة بالرئيس عبدالسلام محمد عارف.
كان هدف عارف عبدالرزاق والفريق الناصري والضباط المؤيدين والمتحمسين له، القيام بانقلاب عسكري، يتسلم عارف عبدالرزاق بعد نجاحه رئاسة الجمهورية، ثم يطالبون الرئيس جمال عبدالناصر تحقيق الوحدة الفورية بناء على طلب الشعب العراقي!
وكانت كتلة عارف عبدالرزاق - كما يقول مجيد خدوري - واثقة من نجاح خطتها في اسقاط عبدالسلام محمد عارف، وانها ستلاقي تأييدا كاملا في اوساط الوحدويين، مدنيين وعسكريين ولهذا فانها لم تأبه لانتشار خبر الانقلاب المزمع القيام به، ولم تتخذ الحيطة اللازمة!
وصلت اخبار الانقلاب المرتقب الى كتلة عبدالسلام محمد عارف (وكان ابرزها عبدالرحمن محمد عارف رئيس اركان الجيش وشقيق الرئيس عبدالسلام، وسعيد صليبي وحميد قادر). وما ان توجه قادة الانقلاب الى (ابو غريب) ليحركوا الدبابات من المعسكر حتى ظهر سعيد صليبي وحميد قادر فجأة واعلنا ان القوة التي يتولى قيادتها رئيس اركان الجيش مستعدة لمقاومتهم.
وهكذا وقبل ان تتمكن كتلة عارف عبدالرزاق من توجيه ضربتها، وجد عارف عبدالرزاق نفسه وقد سقط في شرك اعدائه. ولكنه تمكن من الهرب الى القاهرة بطائرة عسكرية.
وسنحت الفرصة للرئيس عبدالسلام محمد عارف كي يتخلص من الفريق العسكري المنافس باسرع مما كان متوقعا، لان عارف عبدالرزاق لم يبق في الحكم وعلى رأس الوزارة غير عشرة ايام فقط لاغير!!

ويروي امين هويدي - سفير الجمهورية العربية المتحدة في العراق في تلك الايام، قصة الانقلاب الذي قام به عارف عبدالرزاق، الذي وصفه بـ «الانقلاب المبتور» قائلا:

«كانت الازمات المتلاحقة في عهد الرئيس عبدالسلام محمد عارف ، تأثيرها الشديد على صحة الرئيس عارف ، وعلى حالته النفسية ، فأخذ يفقد الكثير من وزنه ، بعد ان عافت شهيته الطعام وعز عليه النوم. فما كان يأكل الالماما. وما كان يذهب الى فراشه الا بعد صلاة الفجر، بعد ان يكون قد امضى الليل كله ساهرا يفتش على الحراس في القصر الجمهوري وذهبت به الوساوس الى الحد الذي لمسته بنفسي عند زيارتي اياه في الليل والنهار، اذ ما كادت حجرة مكتبه تحتوينا حتى يقوم بنفسه بقفل الحجرة بالمفتاح والمزلاج، خوفا من اقتحام مفاجيء يقوم به خصومه، ولم يكتف بذلك بل تولى بنفسه تعيين خدمة الضباط في الحراسة دون سابق انذار، واكثر من تغيير وحدات الحرس الجمهوري خوفا من اي ترتيبات تدبر من وراء ظهره..!!

قابلته بعد منتصف احدى الليالي ـ والكلام لايزال لأمين هويدي ـ وهو يسير ومرافقه في الطريق الموصل من القصر الجمهوري الى جسر الجمهورية. وكنت عائدا وحدي الى الدار في سيارتي، وعجبت ان يسير الرجل هكذا وحده في بغداد في مثل تلك الظروف . وفي مثل هذا المكان الموحش. وفي تلك الساعة المتأخرة من الليل. واوقفت سيارتي واتجهت اليه، ولم يخف الرجل سروره الكبير من هذا اللقاء المفاجيء . ولم اخف وساوسي ومشاعري عنه، فابتسم الرجل، وهو يردُ في اسى: «والله يا أبا هشام لم يكن امامي الا هذا.. فالقصر رغم اتساعه اخذ يضيق بي، والاسقف على ارتفاعها، اخذت تطبق عليّ، وخيل لي اني اصبحت في الزنزانة من جديد، فخرجت هاربا من القصر ، حيث الهواء الطلق»!

ولم يكن الرجل يدري انه خرج من سجن صغير الى سجن كبير، اذ بدأ يشعر بالعزلة القاتلة التي اوقع نفسه فيها، وبوحشة الوحدة التي يعيشها، بعد ان انقطعت علاقاته بالجميع، الا القلة الذين سعوا من اجل ذلك حتى ينفردوا به»

ويستطرد امين هويدي في حديثه قائلا:

«غادر الرئيس عبدالسلام عارف بغداد قاصدا الدار البيضاء، وسط مراسم توديع، اشترك فيها كافة المسئولين والسفراء.

وتولى السلطة بالنيابة اثناء غيابه مجلس مكون من رئيس الوزراء ورئيس اركان الجيش.

وحان وقت تنفيذ الانقلاب ، تبعا للتخطيط الموضوع.

وكانت خطة الانقلاب ـ كما علمت بعد ذلك ـ في منتهى البساطة، اذ كانت تتلخص في الاتي:

١ـ القيام بانذار الوحدات المؤيدة في بغداد يوم الخميس ١٥ ايلول ١٩٦٥.

٢ـ بعد ان يتم ذلك يستدعي عارف عبدالرزاق رئيس الوزراء الضباط المؤيدين للرئيس عبدالسلام عارف ومعهم سعيد صليبي الى مقر رئاسة الوزراء حيث يتم اعتقالهم.

٣ـ يتوجه عارف عبدالرزاق في الساعة الثانية بعد الظهر الى دار الاذاعة ليعلن تنحية الرئيس عبدالسلام عارف ، والغاء منصب رئيس الجمهورية وتشكيل مجلس قيادة الثورة ووزارة جديدة تضم الفئات القومية.

وبذلك لايحتاج تنفيذ الانقلاب ـ اذا سارت الامور دون احداث غير متوقعة ـ الى انزال اي وحدات عسكرية الى الشارع.

وفي الساعة الخامسة بعد ظهر يوم ١٤ ايلول ١٩٦٥ استدعى عارف عبدالرزاق، مدير

الشرطة العام حميد قادر الى مكتبه برئاسة الوزراء ـ وحميد قادر هو الصديق الصدوق لسعيد صليبي، لايفعل شيئا الا بأمره. ولايتخذ قرارا الا باستشارته. وهو وسعيد صليبي اميل للرئيس عبدالسلام عارف منهما الى عارف عبدالرزاق ـ

وتمت المقابلة بين الرجلين ، واخبر عارف عبدالرزاق صديقه بان انقلاباً يجري تنفيذه حالياً لازاحة الرئيس عبدالسلام عارف، وطلب منه اما الاشتراك معهم في التنفيذ او الوقوف على الحياد. الا ان حميد قادر تظاهر بالتحمس للحركة وباركها. بل تعهد باقناع سعيد صليبي بالانضمام اليها، وحينئذ سمح له عارف عبدالرزاق بمغادرة مقر رئاسة الوزراء لمفاتحة سعيد صليبي واقناعه بالانضمام للحركة.

وبمجرد ان عرف سعيد صليبي بالانقلاب انذر كافة الوحدات الموجودة ببغداد والموالية للرئيس عبدالسلام عارف وامرها بمقاومة اي حركة مضادة للحكم.

ومرت خمس ساعات ثمينة قبل ان يستدعي عارف عبدالرزاق صديقه سعيد صليبي الى مقره برئاسة الوزراء. لبى سعيد الدعوة، ولولا شعوره بقوة مركزه وقدرته الكاملة على السيطرة على الموقف، ما ذهب لمقابلة عارف عبدالرزاق في مقره.

وفي باديء الامر تظاهر سعيد صليبي بتأييده الحركة ، الا انه عاد فاستنكرها حينما علم باشتراك عرفان وجدي وفاروق صبري وعبدالامير الربيعي فيها.

وحينئذ قرر عارف عبدالرزاق اعتقال سعيد صليبي.

الا انه لسبب ما عاد فاطلق سراحه.

وفي هذا الوقت تلقى هادي خماس، الذي كان يعاون عارف عبدالرزاق في قيادة الحركة من غرفة مجاورة محادثة تليفونية من مجهول ـ ولاشك في ان الذي دبرها هو سعيد صليبي ـ مفادها ان عبدالامير الربيعي فشل في السيطرة على معسكر ابي غريب، وانه تم اعتقاله هو والضباط المشتركين معه.

ولم يكن هذا صحيحا، اذ كان قد تم لعبد الامير الربيعي السيطرة الفعلية على المعسكر بل وكانت الدبابات مصطفة في الوقت استعدادا للامر بالزحف الى بغداد.

ولم يتمكن احد من ان يتحقق من الموقف، اذ ان عبدالامير الربيعي كان قد قطع تليفونات المعسكر بعد استيلائه عليه، ولم يفكر احد في ارسال من يتأكد من الخبر بالرغم من قرب المسافة واخذت المكالمة التليفونية على انها حقيقة مؤكدة.

وهنا صدرت التعليمات بتأجيل العملية.

واصبح سعيد صليبي في مقره بالانضباط العسكري سيد الموقف.

وفي صباح يوم ١٥ ايلول ١٩٦٥ عقد اجتماع في منزل عارف عبدالرزاق لتدارس الموقف وبعدها غادره ومعه عائلته الى مطار بغداد ثم الى القاهرة على متن احدى الطائرات الحربية.

ولم تخطر سفارة الجمهورية العربية المتحدة باتجاه الطائرة الى القاهرة ، كما لم تخطر القاهرة بان طائرة حربية في الطريق اليها.

ويختم امين هويدي حديثه عن «الانقلاب المبتور» الذي قام به عارف عبد الرزاق قائلا: «كل ذلك يتم والرئيس عبدالسلام عارف هناك في الدار البيضاء. وقد علم بتفصيلات ما حدث من

الرئيس جمال عبدالناصر. اذ كنت قد ارسلت اليه بالتفصيلات قبل ان يتمكن احد في بغداد من اخطار الرئيس عبدالسلام عارف بما حدث، ولعل هذه المبادرة كانت سببا في الشكوك التي سيطرت على الرئيس عارف بعد ذلك والتي لم يكن لها اساس من الصحة.

وقطع الرئيس عارف زيارته الى الدار البيضاء. وعاد الى القاهرة اولا ليعمل ترتيب سفره الى بغداد. وقد تم اعداد خطة لعودته في سرية كاملة، اذ ان الموقف لم يكن واضحا في بغداد، بل كانت هناك طائرات في انتظاره في سمائها لاسقاط طائرته عند الوصول.

واستقل الرجل طائرة من احدى المطارات الحربية بالقاهرة بتنسيق كامل معي في بغداد وحدد وقت الوصول.

ولم اخبر احدا خوفا على حياة الرجل، حتى اخيه اللواء عبدالرحمن عارف كان يعلم حينما اصطحبته معي الى المطار انه ذاهب لمقابلة وفد عسكري قادم من القاهرة على متن احدى الطائرات الحربية في تمام الساعة الخامسة، وحينما رأيت الطائرة تحلق في سماء المطار اخبرت عبدالرحمن عارف بمقدم اخيه، فترك كل شيء وذهب ليعد حرس شرف لاستقبال الرئيس القادم!!

ونزل الرئيس عبدالسلام عارف الى ارض المطار ثابت الجنان!

وسلم على النفر القليل الذين كانوا في استقباله والذين تصادف وجودهم في المطار واوصلناه الى احدى العربات الصغيرة يستقلها الى القصر الجمهوري ليبدأ محاولاته للسيطرة على الموقف.

وبانتهاء هذه الحركة بالصورة التي انتهت بها كان الرئيس عبدالسلام عارف قد تخلص من كل معارضيه منهم من كان في القاهرة، ومنهم من كان متحفظاً عليه في منزله، ومنهم من كان قد تم اعتقاله ومنهم من اختفى تحت ظروف صعبة، ومنهم من كان يهيم على وجهه في طريقه الى الكويت، ليفعل به الله مايشاء بعد ذلك.

وبذلك اصبح الرئيس عبدالسلام عارف الحاكم المطلق في العراق]!!

ويروي لنا محسن حسين ـ مندوب وكالة الانباء العراقية المرافق للرئيس عبدالسلام عارف،

ـ كيف تلقى الرئيس عبدالسلام خبر الانقلاب الذي قام به رئيس وزرائه عارف عبدالرزاق، وهو في الدار البيضاء يحضر مؤتمر القمة العربي الثالث، قائلا:

«خلال مشاركة الرئيس عبدالسلام عارف في مؤتمر القمة العربي الثالث الذي انعقد في الدار البيضاء، في ايلول عام ١٩٦٥ حدث مالم يكن في الحسبان.

فقبل يوم من انتهاء المؤتمر جاء الى (فندق المنصور) حيث يقيم الرؤساء، السيد زكريا نبيل محرر الشؤون العربية في الاهرام، ونقل الى الرئيس عارف ان انقلاباً قد وقع في بغداد.

ثم فهمنا ان رئيس الوزراء عارف عبدالرزاق الذي يشغل ايضا منصبي وزير الدفاع وقائد القوة الجوية وينوب عن رئيس الجمهورية في تسيير امور الدولة قد قام بحركة انقلابية لكنها لم تنجح.

وامضى عبدالسلام عارف ليلة عصيبة في الفندق وزاره في اليوم الثاني عدد من الرؤساء بينهم الرئيس جمال عبدالناصر، الذي طمأنه بان الحالة قد استقرت في بغداد بعد فشل الحركة الانقلابية ورغم ذلك فان بعض التقارير الاخبارية كان يشير الى غموض في الموقف، ويلمح

الى ان لمصر علاقة بما حدث ، او ان القائمين بالحركة محسوبون على الاتجاه الناصري!
في الصباح الباكر وصل الى الدار البيضاء مبعوث من بغداد هو وزير الصحة الدكتور عبداللطيف البدري ليشرح للرئيس ماحدث ويطمئنه على سلامة الموقف.
وقرر عبدالسلام عارف العودة الى بغداد مهما كانت النتائج . . وتم تبليغ جميع اعضاء الوفد والصحفيين اليوم.
ورغم ان عندي بطاقة طائرة تسمح لي بالعودة عن طريق باريس الا انني عدت بالطائرة الخاصة دون تردد يدفعني الى ذلك الفضول الصحفي والرغبة في الاطمئنان على الاهل!
وهكذا اقلعت الطائرة بنا مساء ذلك اليوم وعلى متنها الرئيس عبدالسلام عارف والسيد عبدالرحمن البزاز نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية وجميع اعضاء الوفد.
مررنا في الليل بالجزائر ثم توقفت الطائرة في طرابلس (ليبيا) وهناك حدثت مشـادة كلامية بين عبدالسلام عارف وعبدالرحمن البزاز.
طلب عبدالسلام من البزاز ان ينزل هو مع اعضاء الوفد الى المطار لان احد الوزراء الليبيين (في عهد الملك ادريس السنوسي) كان في الانتظار، لكن البزاز رفض قائلا انه في حكم المستقيل وان الوزارة قد سقطت بقيام رئيسها عارف عبدالرزاق بالانقلاب الفاشل، وما ترد د عن هربه او اعتقاله.
عبدالسلام عارف كان لايريد ان ينزل الى المطار، لانه مستاء من الاستقبال الذي تم له في طريقه من بغداد الى المغرب فقد كان على رأس المستقبلين احد الموظفين في القصر الملكي او من الخارجية وليس الملك او ولي العهد . .
وبعد المناقشة نزل الجميع.

وصلنا القاهرة صباح اليوم التالي. كان في الاستقبال الرسمي المشير عبدالحكيم عامر، وعندما هبط الرئيس عبدالسلام عارف سأل المشير عن (السلام الجمهوري) وعلمت فيما بعد ان عبدالسلام عارف كان مستاء من الاستقبال الذي جرى له عند مروره بالقاهرة في طريقه الى المغرب اذ عزف اثناء الاستقبال (السلام الجمهوري) الذي كان في عهد عبدالكريم قاسم. وان السؤال عن السلام الجمهوري يقصد به هل تم تصحيح الخطأ.
ويبدو انه قد صحح بالفعل!!
وفي استراحة المطار اجتمع الرئيس عبدالسلام عارف والمشير عبدالحكيم عامر لوحدهما فترة من الوقت . . وفي هذه الاثناء جاء احد موظفي السفارة وربما كان الملحق العسكري وطلب مقابلة رئيس الجمهورية بصورة عاجلة. وقد فهمنا انه يحمل اخبارا سيئة تقول ان طيارين عراقيين قد اخذوا طائرتين حربيتين متوجهتين الى مصر ليضربوا طائرة الرئيس وهي في الجو للتخلص منه.
وقد ذهلنا للمفاجأة بعد ان كنا قد تصورنا ان الامور مستقرة.
وطلبني عبدالسلام عارف، وكان يجلس الى جانبه المشير وقال لي «ابعث خبرا الى بغداد بأننا سنبقى هذا اليوم في القاهرة ونعود الى بغداد يوم غد واطلب منهم اذاعته من الاذاعة» . .
وارسلت الخبر في الحال عن طريق مراسل لنا في القاهرة وكان من بين المستقبلين وقد ارسلته الى بغداد عن طريق وكالة انباء الشرق الاوسط وأذيع من الاذاعة في اول نشرة اخبارية.

وهكذا توجهنا في موكب رسمي الى قصر القبة لكننا لاحظنا ونحن في منتصف الطريق ان السيارة التي تقل رئيس الجمهورية والمشير قد انحرفت عن الطريق وذهبت في طريق آخر.

ووصلنا قصر القبة ولم تكن معنا حقائبنا التي بقيت في الطائرة على امل ان ترسل الينا الى قصر القبة فيما بعد.

وفي القصر وزعوا علينا الغرف، وصعدنا كل الى غرفته للاستراحة. ولكن لم تمض اكثر من ربع ساعة حتى جاء موظفو الرئاسة المصرية يقرعون الابواب طالبين منا النزول لتناول الغداء مع الرئيس والمشير.

ونزلنا بالفعل لكننا لم نجدهما هناك. وطلب موظفو الرئاسة المصرية منا جميعا ان نصعد الى السيارات لان الغداء سيكون في مكان آخر..

كان هناك غموض واضح وكان اكثرنا انزعاجا السيد عبدالرحمن البزاز نائب الوزراء الذي ابدى امتعاضه من هذه الاساليب وعدم احاطته علما بما يجري!

وصعدنا السيارات وتوجهنا في موكب رسمي شق طريقه في شوارع القاهرة ثم لاحظنا اننا قد خرجنا من القاهرة الى طريق الاسكندرية **الصحراوي**. فمررنا بالاهرام ثم في منطقة صحراوية. وازاء ذلك اخذنا نتهامس حول مصيرنا، وتردد اننا ربما كنا في طريقنا الى الاعتقال او الى المنفى بل ان احدهم حدد المنفى بانه النمسا واخر قال انه السودان.

وبعد مسافة ليست قصيرة دخلنا الى منطقة عسكرية وتوجهت السيارات الى مطار عسكري صغير هناك كانت تربض على مدرجه طائرة مدنية تحمل اسم (الخطوط الجوية العربية).

صعدنا الطائرة، ولم نجد اثرا للرئيس عبدالسلام عارف او المشير عبدالحكيم عامر.. وبعد نصف ساعة من الانتظار والقلق داخل الطائرة وصل الرئيس عارف ومعه المشير عامر وتعانقا عند سلم الطائرة ثم صعد عبدالسلام عارف وكان في غاية الانزعاج. وقد صرخ في وجه الملحق الصحفي العراقي **في القاهرة**. الذي اراد ان يحصل من الرئيس على تصريح صحفي عن زيارته للقاهرة.

وتحركت الطائرة دون ان يعلم احد من اعضاء الوفد الرسمي او الوفد الصحفي شيئا عن الجهة التي تقصدها وبعد حوالي نصف ساعة من الطيران لاحظنا ان طيارا جاء من مقدمة الطائرة للسلام على رئيس الجمهورية وسمعنا انه شقيق الرئيس جمال عبدالناصر. وقد اشاع ذلك الطمأنينة في قلوبنا لانه من غير المعقول ان تبعث حكومة الجمهورية العربية المتحدة شقيق جمال عبدالناصر في طائرة قد تكون عرضة لخطر القصف.

واخذت الطائرة تهبط شيئا فشيئا دون ان نعرف المكان وخلافا لما يحدث في عمليات الهبوط فقد هبطت الطائرة مباشرة على المدرج دون ان تحوم كما جرت عليه العادة فوق المطار الذي تنوي النزول فيه.

وكانت دهشتنا عظيمة عندما اتضحت لنا معالم مطار بغداد، ثم كبرت دهشتنا عندما رأينا بعض المسؤولين مصطفين للمشاركة في الاستقبال.

كان الرئيس عبدالسلام محمد عارف - بعد عودته من الدار البيضاء الى بغداد، اثر فشل انقلاب عارف عبدالرزاق - يعتقد ان للقاهرة يداً في هذا الموضوع - موضوع انقلاب عارف عبدالرزاق

ويحكي امين هويدي عن ذلك قائلا: «اتصلت بالرئيس عبدالسلام عارف تلفونيا مساء يوم عودته وهنأته مرة اخرى بسلامة الوصول، واخبرته وانا اضحك ، انه قد آن لنا ان ننام الليلة، اذعادت الطمأنينة للجميع في وجوده ليباشر سلطانه بحنكته المعهودة بعد ليالٍ صعبة لم نذق فيها النوم طعما. الا انه ردد بطريقته الفريدة: « ان رجل القاهرة في الموضوع»!!

و تواعدنا على اللقاء في مكتبه بالقصر الجمهوري في اليوم التالي..

وفي يوم ٢٢ ايلول ١٩٦٥ تمت المقابلة واثبت هنا للتاريخ ـ هكذا يقول امين هويدي ـ ماتم في هذا اللقاء:

١ـ هنأته بفشل الانقلاب وبسلامة الوصول. وشرحت له في اختصار الموقف كما نراه.

٢ـ وبدأت انصت الى ماسيقوله الرئيس عارف في هدوء وصبر، وكان نص حديثه كالاتي:

(أ) عرف بخبر الانقلاب من مراسل الاهرام بنيويورك، اذ انه كان اول من اذاع الخبر، واكد انه عميل امريكي وعلم ايضا الخبر من الرئيس جمال في اليوم التالي [هذا غير حقيقي فاول من اخطره بشهادة كل من حضر مؤتمر القمة كان الرئيس جمال عبدالناصر].

(ب) ثبت لديهم ان الامريكان وراء المؤامرة، وان صبحي عبدالحميد هو وعبد الكريم فرحان كانا وراء عارف عبدالرزاق.

(جـ) هاجم الفئات القومية، وذكر ان القاهرة متورطة معهم، مدللا على ذلك بانه عندما اتصل بي ليبلغني اسناده رئاسة الوزراء الى عارف عبدالرزاق كنت حريصا على اشراك صبحي عبدالحميد في الوزارة وهذا يعني في نظره الشيء الكثير..

[الذي حدث انني كنت اشير عليه بان يجمع الفئات القومية في الوزارة ومن ضمن ماذكرت صبحي عبدالحميد].

(د) كان يعلم ان عارف عبدالرزاق يدبر انقلابا فاسند اليه رئاسة الوزارة لابعاده عن القوات الجوية، وهي سلاح خطير في يده، ولدفعه الى القيام بالانقلاب قبل ان تتضح ترتيباته، ولم يسافر الى الدار البيضاء الا بعد ان جرى كافة استعداداته لمواجهة الانقلاب المنتظر، وتسأل: الم اكن اعلم بتدبيرات عارف عبدالرزاق؟ الن اتناول معه طعام العشاء في منزل عبدالكريم فرحان؟!

(هـ) الذي اكد له حدوث الانقلاب كان احدى السيدات، اذ زارته قبل سفره وقصت عليه حلما مزعجا بالنسبة له، اذ رأته يسبح في نهر دجلة ، وظهرت عليه علامات التعب، بحيث اوشك على الغرق وفجأة رأت كوخا ينصب فوق الماء، وهو يحاول عبثا ان يتمسك به، واذا برجل يلبس ملابس بيضاء ينتشله من الماء ، وظهر انه النبي عليه السلام!!!

[كان الرئيس عارف يؤمن بالاحلام ، وقص عليَّ الكثير منها في المناسبات المختلفة].

(و) لما علم بخبر المؤامرة رأى في غفوة نوم اقرب الى اليقظة كافة تفصيلات المؤامرة، وأملاها كما حدثت لمرافقه العميد زاهد قبل وصول اي تفصيلات عن الموضوع ، وظهر ان ما املاه كان مطابقا لما كان يرد من معلومات.!!!

(ز) هاجم اتصالاتي بكافة الاتجاهات، وان نشاطي اصبح اكبر من اللازم، وبالرغم من

ذلك فانني لا اطلعه على نتيجة اتصالاتي، ثم اضاف: «اقفل بابك يا أمين»، وكرر ذلك اكثر من مرة بلهجة التهديد.

(ح) يتسأل العراقيون ، وهو منهم ، كيف قبلت القاهرة هؤلاء المتآمرين ، ثم كيف تبقي عليهم عندها بعد كل ماحدث؟ ان لجنة التحقيق التي شكلها لبحث الموضوع ستطلب استدعاء هؤلاء لاخذ اقوالهم.

(ط) هاجم صحف القاهرة واذاعتها، فهي لم تشجب المؤامرة بل التزمت الصمت ولم تعلق عليها.

[ونسي في غمرة غضبه ان القاهرة هي التي قامت بكل الترتيبات لتأمين عودته الى بغداد].

ويختم السفير امين هويدي حديثه قائلا: «وخرجت من عند الرجل، والشك يقتله، وقال لي انه تعب من اهل العراق الذين قتلوا الحسين واخذوا يبكون». ولم يقتصر شكه على القاهرة وحدها، بل فقد (ابو احمد) الثقة في اقرب الناس اليه]!!

كلف الرئيس عبدالسلام محمد عارف، عبدالرحمن البزاز نائب رئيس الوزراء في وزارة عارف عبدالرزاق ووزير الخارجية فيها وزير النفط وكالة بتشكيل وزارة جديدة في ٢١ ايلول ١٩٦٥. فاصبح بذلك اول رئيس وزراء مدني يتولى هذا المنصب منذ القضاء على الحكم الملكي في العراق بعد ثورة تموز ١٩٥٨.

خطا رئيس الجمهورية عبدالسلام محمد عارف ورئيس وزرائه عبدالرحمن البزاز - كما يقول مجيد خدوري في كتابه «العراق الجمهوري» - على مايبدو خطوات بطيئة، ولكنها كانت ثابتة نحو اعادة الثقة الى الناس وتدعيم نظام الحكم في البلاد.

* *

كان عبدالسلام محمد عارف - في البدء - من اشد المتحمسين للوحدة العربية، ومن اقوى المناصرين للرئيس العربي جمال عبدالناصر..

فقد كان يتابع باهتمام وجدية - قبيل ثورة تموز ١٩٥٨ - ما احدثته ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر من اعمال ومنجزات، وكان يبدي اعجابه الشديد بكل ماقامت به الثورة العربية في مصر.

وفي الايام الاولى بعد ثورة تموز ١٩٥٨ كان العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف يردد في خطبه الكثيرة اسم الرئيس جمال عبدالناصر، وينقل الى الجماهير التي تستمع اليه تحيات الرئيس جمال عبدالناصر «وان الوحدة بين الاقطار العربية أتية لاريب فيها..».

وبعد ان اصبح رئيساً للجمهورية، بعد ثورة رمضان ١٣٨٢ - كانت الافكار القومية والوحدوية تشغل باله وتثير خواطره، واضعا اياها نصب عينيه..

وكان يقول في كل مناسبة «اننا نعتبر الجمهورية العربية المتحدة هي الوطن الام.. وان الرئيس جمال عبدالناصر هو اخونا الاكبر».

وعند توقيع اتفاقية الوحدة بين القاهرة وبغداد في ٢٦ ايار ١٩٦٤ قال عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية: «انها من اسعد ساعات عمري»، ثم اردف قائلا: «ثقوا ايها الاخوة ان اخاكم شعب العراق الذي كان دائما وابدا شريككم في السراء والضراء يلح علينا ويريد اكثر من هذا. انه يريد الوحدة الدستورية الكاملة. ان هذا الشعب القومي الوحدوي المؤمن الطيب اذ يلتقي بشقيقه شعب الجمهورية العربية المتحدة في هذه الخطوة المباركة انما يتحد معه ضميرا وقلبا ويدا، ليكونا اقوى دعامة لتحقيق امل الملايين العربية ويسيرا سيرا حثيثا متواصلا في طريق تحقيق الوحدة الشاملة ان شاء الله.

ان العراق شعبا وحكومة على الطريق العربي السوي ومع الجمهورية العربية المتحدة دوما وابدا، نية وقولا وعملا. ويطيب لنا بهذه المناسبة المباركة ان نسجل شكرنا الجزيل نيابة عن الوفد وشعب العراق كله لشعب الجمهورية العربية المتحدة المجاهد وللاخ الرئيس جمال عبدالناصر شاكرين جميله الدائم واخوته العربية الاصيلة على ما هيأ لنا وللعرب اجمعين من فرص للمشاركة مع شعب الجمهورية العربية المتحدة الشقيق في كل امر مصيري سواء في افراح السد العالي او في الامور الاخرى المرتبطة بحياتنا القومية الكبرى. انه ولي التوفيق».

وكان الرئيس عبدالسلام محمد عارف قبل ثلاثة اسابيع من توقيع اتفاقية الوحدة بين القاهرة وبغداد، قد اعلن في الرابع من شهر آذار ١٩٦٤ الدستور المؤقت، الذي جاء فيه: «ان الشعب العراقي جزء من الامة العربية، هدفه الوحدة العربية الشاملة. وتلتزم الحكومة بالعمل على تحقيقها في اقرب وقت ممكن مبتدئة بالوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة».

وفي الكلمة التي القاها من الاذاعة والتلفزيون قبل اعلان الدستور المؤقت. قال الرئيس عبدالسلام: «انه لجدير بنا ان نشير الى ان اعداد هذا الدستور قد انجز بعد امعان الفكر والنظر في الواقع التاريخي والجغرافي والحضاري لشعبنا. وبعد التدقيق الوثيق في مختلف ظروفه وعوامل وجوده القومي ماضيا وحاضرا ومستقبلا فجاء النص في مستهله على الديمقراطية والاشتراكية المستمدين من التراث العربي الاسلامي، وكذلك النص على تثبيت رابطة العراق بالامة العربية والرسالة الاسلامية التي اعتبرت قاعدة اساسية للدستور.

ولما كان منطق الواقع والتاريخ يقر حتمية الهدف في الوحدة الشاملة بموازرة الوحدة الوطنية الكاملة. ولما كان الدستور مصدر التوجيه لكل جهد حكومي وشعبي، لذلك فقد استوجب التمهيد لتحقيق ذلك بالبدء في تقارب دستوري مع الدول العربية والبدء بالذات مع الجمهورية العربية المتحدة حيث بلغ التقارب حد التماثل في بعض نصوص الدستورين، كسبيل لاتحاد دستوري قادم.

ثم قال: «ان في دستوركم قوة لكم ولابناء الامة العربية وهو في مضامينه قوي الشبه بدستور العربية المتحدة وسوف يكون هذا التقارب سبيلا لوحدة عربية شاملة، البدء فيه سيكون مع العربية المتحدة، وان مصافحة بغداد للقاهرة قوة يطير صواب الاستعمار منها ويجن جنونه ويتخبط هو واعوانه فينفثون السموم، ويشيعون الاشاعات ليفرقوا الصفوف، غير اننا لانأبه بهم. واننا نقول لهم اننا نؤيد كل قول يقوله الاخ الرئيس جمال عبدالناصر. واننا نناصره في كل دفاع يقف به ضد الاستعمار. اننا نؤيد جمال عبدالناصر في حربه على الشعوبية الحاقدة التي تحقد على العرب والاسلام..»

وختم الرئيس عبدالسلام محمد عارف كلمته قائلا : «اللهم اشهد اننا وحدويون، نؤمن بالوحدة التي تعز العرب. وتقوي شوكتهم ، وتطمئن في ظلالها امتهم».

يروي محمد حسنين هيكل في كتابه «عبدالناصر والعالم»: «ان الرئيس عبدالسلام عارف كان بين ضيوف حفلة عملية تحويل مجرى النيل في ١٤ مايس ١٩٦٤،

والواقع انه كان من المقرر ان يكون عارف الى جانب عبدالناصر وخروشوف من خطباء الاحتفال. وقبل اسبوعين فقط من لقائه وخروشوف كانت احدى المحاكم العراقية قد حاكمت اثنين من الشيوعيين العراقيين وقضت باعدامهما ونفذ الحكم فيهما شنقا.

وفي اسوان بدت المصالحة بين خروشوف وعبدالناصر تامة. فقد قدم الزعيم الروسي الى الرئيس وسام لينين من لقب «بطل الاتحاد السوفيتي».

اما بالنسبة الى عارف فان الامر كان مختلفا..

فقد لقي خروشوف استقبالا حماسيا من الجماهير في اسوان، الا انه القى خطابا طويلا جرت ترجمته فقرة ففقرة.

وعندما خطب عارف واستشهد بآيات القرآن الكريم ـ فقد كان رجلا متدينا ـ وكانت الجماهير تتجاوب بالتهليل كلما تلا آية قرآنية. ولم يستطع خروشوف ان يفهم الدافع الى ذلك التهليل الجامح وبخاصة اذا كان موجها الى شخص شنق الشيوعيين.

ووضح جليا انه انزعج من الاستقبال الذي لقيه عارف. وفي السيارة التي اقلته الى فندق كاتاراكت، التفت الى عبدالناصر قائلا:

«ياصديقي الرئيس عبدالناصر، الى متى ستفرض عليَّ صحبة هذه العنزة؟»

فتساءل الرئيس: «اي عنزة؟».

وهنا هتف خروشوف: «عارف. عارف. عارف»، وأمسك بنسخة من جريدة تحمل صورة عارف وسأل:

«ألا يشبه العنزة؟»

وبعد الانتهاء الفعلي من تحويل مياه النيل، وكان مشهدا مهيبا عميق التأثير في النفوس، تقرر ترتيب يوم راحة لان خروشوف كان متضايقا من وطأة الحر. كان اليخت «الحرية» قد ابحر الى «برنيس» على البحر الاحمر وركبنا الطائرة الى هناك لتمضية يوم في صيد السمك لان خروشوف كان راغبا في الصيد في البحر الاحمر.

وكان معنا بن بيللا وعارف. وكان العمل قد بدأ في تجهيز القوارب لأولئك الذين يريدون الصيد، كنا في انتظارها على سطح اليخت راح عارف يتحدث الى خروشوف معبرا عن اعجابه الكبير بالاتحاد السوفيتي.

فصدمه خروشوف فورا وبحدة قائلا:

«لانستطيع ان نصادق اولئك الذين يشنقون الشيوعين».

وصعق عبدالسلام عارف واسقط في يد المضيف الرئيس عبدالناصر واحرج. ولم يفه الاثنان بكلمة. لكن بن بيللا الذي كان الروس يشيدون به كبطل الثورة الجزائرية التفت الى

خروشوف يرد عليه مدافعا عن القومية العربية قائلا: انه - اي خروشوف - لايعرف مافيه الكفاية عن الوحدة العربية او العرب.

ومضى بن بيللا يوضح دعواه حتى قال له خروشوف:

«يجب ان اقر بانني لاافهمك. ذلك ان هناك وحدة واحدة هي وحدة الطبقة العاملة».

وعندئذ اشترك عبدالناصر في الحديث قائلا:

«ها انت تعيدنا الى ساحة الخصومات القديمة. وبصفتي مضيفا لم اشأ ان اشترك في هذه المناقشة وكنت سعيدا بتركها لك ولبن بيللا ولكن يجب ان اشترك فيها الان.

«تقول ان هناك وحدة واحدة هي وحدة الطبقة العاملة. اذن كيف تستطيع ان تفسر حقيقة التخاصم الحالي بين الاتحاد السوفيتي والصين، وهما الدولتان اللتان تحكم فيهما الطبقة العاملة؟

«هل تذكر، كيف حدثتني عن الحرب (العالمية الثانية). انك تسميها الحرب الوطنية العظمى. فلماذا؟ لماذا لاتسميها الحرب الايديولوجية العظمى؟ اعتقد - بالحكم والاستناد الى ما قلته لي - ان السبب هو ان الحرب كانت اكبر من الحزب.

«لقد كانت الوطنية هي التي تصدت لتحدي هتلر وجابهته. هل تذكر ماقلته لي قبل ثلاثة ايام؟ قلت لي: ان ستالين فوجيء عندما غزا النازيون روسيا وانه اقفل على نفسه باب غرفته في الكرملين واخذ يشرب بصورة متواصلة ولم يتسلم اية تقارير عن الحرب ومن ثم عقد اجتماعا للمكتب السياسي قال فيه: «أيها الرفاق. ان الدولة التي بناها لينين تسير الى نهايتها».

«اعتقد ان هذا الكلام كان تصريحا بالهزيمة من جانب الحزب. ولكن الشعوب السوفيتية ذاتها هبت وحولت الهزيمة الى حرب وطنية عظمى.

«اما وانك تقول لنا انه لا يمكننا مهاجمة الشيوعيين، فكيف تهاجم انت ستالين؟ اننا نهاجم الشيوعيين الاشرار، وستالين مثال ساطع على الشيوعي الرديء».

واستبد الغضب المطبق بخروشوف وصاح:

«استطيع انا ان اهاجم ستالين لكنكم لاتستطيعون مهاجمته. فليس لكم الحق في مهاجمته».

واستمرت هذه المحاورة الحامية الحادة من الساعة الثامنة صباحا حتى الثانية بعد الظهر. كانت قوارب الصيد في الانتظار، ولكن عندما انتهى النقاش كان وقت اصطياد اي سمكة قد فات.

على انه في نهاية تلك الساعات الطويلة الحارة من التصارع ظهر اخيرا على خروشوف انه بدأ يتفهم الموقف العربي.

وتضمن البلاغ المشترك الصادر في نهاية الزيارة: اشارة خاصة بالوحدة العربية، ومنذ ذلك الحين صارت البلاغات عن نتائج اجتماعات الدول العربية مع السوفيت تذكر الوحدة العربية.

ويروي لنا صبحي عبدالحميد - وزير خارجية العراق الذي رافق الرئيس عبدالسلام محمد عارف الى اسوان. وتجول مع الرؤساء العرب وخروشوف في البحر الاحمر على ظهر الباخرة، ان خروشوف كان يحمل فكرة خاطئة عن العراق وعن القضية الكردية، وبعد ان شرح له الرئيس عبدالسلام عارف تطورات الوضع في العراق منذ ١٤ تموز ١٩٥٨ ونشوء وتطور القضية الكردية بدأ عليه انه اقتنع نوعا ما بوجهة النظر العراقية».

واجتمع صبحي عبدالحميد وزير خارجية العراق وكروميكو وزير الخارجية السوفيتي على ظهر الباخرة «سوريا» - بعد ذلك - لمدة ساعة ونصف ناقشا تطور العلاقات بين البلدين منذ عام ١٩٥٨ حتى ذلك الوقت.

ولقد شرح الوزير العراقي الاوضاع الداخلية التي حدثت منذ ذلك الوقت واعمال العنف والاضطهاد الذي مارسها الحزب الشيوعي العراقي ضد المواطنين ، كما شرح تفاصيل مجازر الموصل وكركوك والحوادث الاخرى التي حدثت في بغداد والبصرة وباقي المدن.

ثم شرح وزير الخارجية العراقي سياسة العراق الخارجية التي تستند على الحياد الايجابي وعدم الانحياز ومحاربة الاستعمار وشجب التمييز العنصري والابتعاد عن الاحلاف العسكرية ومساعدة الدول المكافحة من اجل استقلالها وشجب استخدام الطاقة النووية للاغراض الحربية ومد يد الصداقة مع كافة الشعوب المحبة للسلام...

ثم تطرق بعد ذلك الى علاقات البلدين الاقتصادية وضرورة تطويرها وتنسيقها واكمال المشاريع التي بدأ بها سابقا.

تكلم المستر كروميكو وزير الخارجية السوفيتي عن البرود الذي ساد العلاقات بعد الرابع عشر من رمضان ، وعن السياسة الخارجية ، وعن موقف بلاده من العراق. ثم تكلم عن الاتفاقيات الاقتصادية والتعاون في باقي المجالات وقال : «اننا من حيث المبدأ نوافق على تحسين وتطوير العلاقات، ومع ذلك اني سانقل كلامكم الى مستر خروشوف».

وفي ضحى يوم ١٨ مايس ١٩٦٤ عقد اجتماع بين الرئيس عبدالسلام محمد عارف والمستر خروشوف في «قصر القبة» في القاهرة ، وقد استمر لمدة ساعتين.

افتتح الرئيس عبدالسلام الاجتماع فتكلم عن سياسة العراق الخارجية المتحررة التي تستند على الحياد وعدم الانحياز والتي تتسمك بمباديء التعايش السلمي ومحاربة الاستعمار ثم شرح سياسة العراق الاقتصادية التي تستند على التخطيط الاشتراكي العربي.

ثم شرح الاوضاع التي مرًّ بها العراق منذ ١٤ تموز وكيف سرق عبدالكريم قاسم هذه الثورة وانحرف بها عن طريقها العربي الاشتراكي التحرري وكيف كافح الشعب لازالة حكمه الدكتاتوري الفردي وكيف قامت ثورة ١٤ رمضان التي جاءت لتصحيح انحراف قاسم. ثم تطرق الى ضرورة تنمية العلاقات الاقتصادية والتعاون بين البلدين وقال اننا نرغب في:

١- زيادة التبادل التجاري بين البلدين.

٢- الاستمرار بتجهيز الجيش العراقي بالاسلحة الروسية وسنرسل لهذا الغرض وفد عسكري لعقد اتفاقية تسليح جديدة.

٣- ضرورة عقد اتفاقيات اقتصادية وصناعية بين البلدين وتنسيق الاتفاقيات السابقة.

٤- تمويل الاتحاد السوفياتي لمشروع سد اسكي موصل على دجلة ومشروع سد الفرات الذي تبلغ تكاليف كل منها حوالي (٦٠) مليون دينار.

ثم تكلم خروشوف فقال:

«ان سياستنا مبنية على تأيد وحفظ العلاقات الودية مع جميع البلدان ولدينا علاقات طيبة مع سائر بلدان العالم بالرغم من اختلاف انظمتها مع نظامنا.

اننا نعتبر قضايا النظام داخلية ولانرغب في التدخل فيها، اما مسائل حفظ السلام في العالم فهي قضايا دولية لذلك سياستنا الخارجية متجهة الى التعايش السلمي مع كافة الانظمة.
لدينا وجهة نظر تجاه الانظمة المختلفة وهذا لايمكن ان يؤثر على العلاقات الدولية. اننا نسير على هذا الاتجاه حتى مع البلدان التي لانرحب بانظمة الحكم فيها.
العلاقات بيننا وبينكم كانت في زمن قاسم جيدة ثم تغيرت بعد ذلك الا انها لم تؤثر على الاتفاقات التي كانت معقودة بيننا اذ حرصنا على استمرارها.
ان سياسة قاسم كانت في الايام الاخيرة من حكمه غير مصقولة. ساءت العلاقات بيننا كثيرا بعد ثورة ١٤ رمضان وهاجمناكم في صحفنا لانه كان ليس بمقدورنا السكوت عن جرائم القتل التي ارتكبت في بلادكم.
اننا لانزال نرقب اعمالكم وسياستكم بعد انقلابكم الاخير في ١٨ تشرين ثاني ومن الصعب ان نتكهن الان كيف سيؤثر هذا الانقلاب على سياستكم الداخلية.
اما التعاون معكم فانه سيسير بصورة جيدة واننا نرحب بكلامكم عن تحسين العلاقات وسنعمل من جانبنا على تحسينها.
اما بخصوص التعاون الاقتصاد، فقد كان لدينا معكم اتفاق كبير ثم تأخر بعد ١٤ رمضان، والان لما كان في نيتكم الاستمرار بالتعاون الاقتصادي فاننا مستعدون للتعاون على قدم المساواة في كافة النواحي لانه مفيد للبلدين.
بخصوص السدين على دجلة والفرات اننا مستعدون لدراسة الموضوع اذا قدمتم طلبا بذلك.
ان رأيي كصديق انصح ان تسلكوا في سياستكم الداخلية الحكمة والذكاء اننا لانريد التدخل في شؤونكم الداخلية الا ان لدينا وجهة نظر نريد ان نقولها لكم لان سياسة البلد الداخلية هي التي تجعلنا نقول ان سياسة هذا البلد تقدمية أم لا.
ان مشاكل العراق الداخلية غير محلولة وتثير قلقاً معينا مسألة الاكراد مثلا فكم يكون جميلا ان تحل بطريق سلمي وهذا يوطد دولتكم ويقوي مركزكم الدولي ويعزز تعاونكم مع جميع البلدان التي تتطور باتجاه تقدمي.
ان التعاون العسكري في مجال التسليح والخبراء سيستمر معكم واننا سنقدم معونة عسكرية لكم بموجب الاتفاقية الخاصة.
اننا نؤيد نضالكم ضد الاستعمار ونؤيد سياستكم الخارجية التي شرحتموها لنا.
ان البلدان المتحررة ستتطور اذا واصلت نضالها من اجل تعزيز استقلالها»
وبعد ذلك تبودلت عبارات المجاملة وانتهى الاجتماع بنجاح تام.

* *

في عهد الرئيس عبدالسلام محمد عرف - اي منذ تسنمه رئاسة الجمهورية في شباط ١٩٦٣ حتى مصرعه في نيسان ١٩٦٦ شكلت الوزارات التالية:
كانت الاولى برئاسة احمد حسن البكر، وقد تألفت من خليط من البعثيين وغير البعثيين، مع

ان رئيس الوزراء وهو ضابط متقاعد، كان نفسه بعثيا منذ سنة ١٩٥٩ ولكن جميع اعضاء
الوزارة الذين عينهم مجلس قيادة الثورة كانوا ممن رشحهم قادة حزب البعث العربي الاشتراكي
وتألفت هذه الوزارة في معظمها - شأنها في ذلك شأن مجلس قيادة الثورة، من شبان مدنيين
وعسكريين واستمرت هذه الوزارة في الحكم حتى يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، حينما اعلن
الرئيس عبدالسلام محمد عارف في بيان له اذاعه في هذا اليوم تغيير الحكومة واحلال نظام جديد
بقيادته محل نظام الحكم السابق.

وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٣ كلف الرئيس عبدالسلام محمد عارف، الفريق طاهر يحيى،
رئيس اركان الجيش تشكيل حكومة جديدة. واختار طاهر يحيى مع عبدالسلام محمد عارف
اعضاء وزارته من قوميين، وكان ثمانية من الوزراء، بينهم رئيس الوزراء، ضباطا في الجيش.
واصبحت السلطة في ايدي العسكريين، واختفت الاحزاب السياسية برمتها، وتعرض حزب
البعث للقمع واعتقل كبار اعضائه.

وقد جرى تعديل على هذه الوزارة في ٣١ كانون الثاني ١٩٦٤ في بعض المناصب الوزارية
وفي الاول من آذار ١٩٦٤ اعفي زعيم الجو الركن حردان عبدالغفار التكريتي من منصبه كوزير
للدفاع، وتولى الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء المنصب بالوكالة.

وفي ٢٧ آذار ١٩٦٤ حل عبدالغني الراوي محل عارف عبدالرزاق كوزير للزراعة، واصبح
زعيم الجو الركن عارف عبدالرزاق قائدا للقوة الجوية.

وفي ١٨ حزيران ١٩٦٤ شكل الفريق طاهر يحيى وزارة جديدة احدث فيها بعض التغييرات
الجذرية على وزارته (الاولى) - اي بعد شهر واحد من توقيع اتفاق الوحدة الانتقالي، ودخل
الوزارة على اثره عدد من الناصريين بغية تعزيز العلاقات بين العراق والجمهورية العربية
المتحدة. وزادت حدة المعارضة لقرارات التأميم، كما زادت موجة النقد الموجهة للحكومة، مما
ارغمها على الاستقالة في ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٤.

عاد الرئيس عبدالسلام محمد عارف ليكلف مرة اخرى الفريق طاهر يحيى بتشكيل حكومة
جديدة.

واعلن الفريق طاهر يحيى في نهاية شهر كانون الثاني ١٩٦٥ الغاء الاحكام العرفية والمحاكم
العسكرية التي ظلت قائمة منذ ثورة تموز ١٩٥٨. وفي اوائل شباط ١٩٦٥ وبمناسبة عيد الفطر
افرج عن المعتقلين السياسيين.

وفي محاولة من الرئيس عبدالسلام محمد عارف للحد من التكتلات في الجيش، وانشاء نظام
حكم مدني - كما يقول مجيد خدوري، اوضح ذلك في كتاب التكليف الذي وجهه الى الفريق
طاهر يحيى رئيس الوزراء والذي ضمنه خمس نقط، بدأ تثبيت سلطته الشخصية، والحد من
نفوذ الضباط المتنافسين. وقاومت تلك المجموعة من الضباط المعروفين بالناصريين، رغبة
عبدالسلام في السيطرة على الجيش بحجة انه يكثر من الحديث عن الوحدة العربية، دون ان
يعمل لها بايمان الواثق بها. وتغيرت نظرتهم الى عبدالسلام. فاصبح في نظرهم ضابطا مغامرا،
يسعى لتثبيت حكمه الشخصي. وكان عبدالسلام بالاضافة الى ماتقدم يتدخل في المسائل الادارية
فيصدر الاوامر مباشرة الى موظفين في الوزارات، متجاوزا بذلك الوزراء. كما حاول الحد من
نفوذ الوزراء، بان عين ضباطاً موالين في مراكز رئيسية، ونقل الناصريين الى مراكز اقل

مسؤولية. ورأى العقيد الركن صبحي عبدالحميد والزعيم الركن عبدالكريم فرحان في مسلك عبدالسلام مايكشف عن رغبته في محاكاة عبدالكريم قاسم، الذي نفر منه الجميع. وتفاقمت الامور خلال مفاوضات النفط مع شركة نفط العراق التي كانت قد وصلت الى مرحلة اتفاق تام تقريبا والتي اعترض عليها الناصريون.

وكانت الخلافات بين الرئيس عبدالسلام محمد عارف والضباط القوميين قد بلغت ذروتها لاسباب شخصية وعقائدية، حين اقدم هؤلاء في العاشر من تموز ١٩٦٥ على الاستقالة. وكان بوسع الفريق طاهر يحيى، الذي كانت سمعته قد تدهورت لدى الرأي العام، ان يستعيد هذه السمعة، لو انه استقال في تلك اللحظة المؤاتية، غير ان عبدالسلام اقنعه بالبقاء، وحل محل الوزراء المستقلين ستة وزراء ممن اشتهروا بتأييدهم للرئيس عبدالسلام محمد عارف.

وفي ٣ ايلول ١٩٦٥ اضطر الفريق طاهر يحيى الى تقديم استقالته، بعد ان بان واضحا ان العلاقات بين رئيس الجمهورية وبين رئيس الوزراء لم تعد وديه.

ويمكن القول ان مناورة الرئيس عبدالسلام محمد عارف في تنحية رئيس وزرائه الفريق طاهر يحيى وتعيين عارف عبدالرزاق خلفا له، كانت قد احزنت الناصريين وبعثت الاسى في نفوسهم. ويعتبر هذا التبديل الوزاري اول تبديل سلمي منذ ثورة تموز ١٩٥٨!

وفي ٦ ايلول ١٩٦٥ شكل زعيم الجو الركن عارف عبدالرزاق حكومة جديدة. وكان معظم وزراء الحكومة الجديدة ممن ساهم الرئيس عبدالسلام محمد عارف واصر على اشراكهم.

وحاول رئيس الوزراء عارف عبدالرزاق الاطاحة برئيس الجمهورية عبدالسلام محمد عارف. بعد عشرة ايام من استيزاره، غير انه فشل وخابت محاولته - كما مرّ بنا سابقا.

وفي ٢١ ايلول ١٩٦٥ كلف الرئيس عبدالسلام محمد عارف، عبدالرحمن البزاز بتشكيل حكومة جديدة.

افضى عبدالرحمن البزاز قبل ان يعرض برنامجه على الشعب، بعدة تصريحات في الصحف ومن على شاشة التلفزيون، حاول عبرها إعادة الثقة الى نفوس الناس، بان وعد بانه لن تجري اعتقالات او تمارس عمليات ابعاد ضد ابناء الامة، وان حرية التعبير عن الاراء السياسية ستكون مضمونة، وطلب الى الناس كذلك ان يمارسوا حق الانتقاد.

اما في الشؤون الداخلية فقد شددت حكومة البزاز على الاستقرار وحكم القانون، وقال في احد مؤتمراته الصحفية: «لقد تعبنا من الثورات والانقلابات العسكرية، وآن للبلاد ان تعود الى الحياة العادية».

وكان الاقتتال في شمال العراق من اهم المسائل التي اولتها حكومة البزاز عنايتها. وقد تمكن عبدالرحمن البزاز انهاء الاقتتال مع المتمردين من الاكراد، ووضع مشروع تسوية.

لقد حاولت حكومة البزاز - بتوجيه من الرئيس عبدالسلام، ايجاد توازن بين الاشتراكية والنظام الاقتصادي الحر، فاصبح في العراق اقتصاد مختلط، ليس فقط من حيث وجود قطاع خاص وقطاع عام، بل من حيث وجود قطاع مشترك، تستثمر فيه رؤوس الاموال العامة والخاصة.

خطا رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء - على ما يبدو - خطوات بطيئة، ولكنها كانت ثابتة نحو اعادة الثقة الى الناس وتدعيم نظام الحكم في البلاد، غير ان هذه الخطوات لم تستمر

طويلا، ففي مساء يوم الاربعاء ١٣ نيسان ١٩٦٦ صرع رئيس الجمهورية، في حادث الطائرة وبقي عبدالرحمن البزاز يمارس صلاحيته كرئيس وزراء وفقا لاحكام المادة (٥٦) من الدستور المؤقت؛ ريثما يتم انتخاب رئيس جمهورية حتى كلفه الرئيس عبد الرحمن محمد عارف من جديد لتشكيل حكومة بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٦٦.

* *

لقد تضاربت الاراء في تقويم شخصية عبدالسلام محمد عارف ومسيرة حكمه..
فمنها من رأت فيه الشجاعة والاقدام، وعدم مهابته الاخطار ونتائجها!
ومنها من اعتبرت شجاعته ضرباً من التهور وعدم الحكمة!
ومنها من جسدت فيه القومية والوحدة وآمال الامة العربية!
ومنها من اعتبرته قد انقلب في اواخر عهده على الوحدة ودعاتها!
ومنها من اعتبرته قد سرق الثورة من الاخرين، واستأثر بالسلطة لوحده!
ومنها من وصفته بالسذاجة وقصر النظر.!
ومنها من قومته بغير هذا، او ذاك.؟

ومن خلال الاراء - الايجابية والسلبية - التي سنستمع اليها - من المؤيدين والمعارضين، سنرى صورة عبدالسلام محمد عارف من جميع زواياها، واضحة جلية!

قال الزعيم (العميد) فؤاد عارف - في شهادته في المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة المهداوي) عندما وقف عبدالسلام محمد عارف متهما امامها: «هذا الرجل - اي عبدالسلام - لم اكن اعرفه سابقا، بل كنت اعرفه ضابطا من ضباط الجيش ، عندما تعين آمر فوج الثالث لواء التاسع عشر، وتعرفون بان الزعيم كريم كان صديقي ولايزال وانا احترمه وهو زعيمي في نفس الوقت، فرأيته بأنه يميل الى العقيد عبدالسلام، بينما انا كنت لا اعرفه معرفة قوية بل كبقية الضباط، وكان يثق به ويعتمد عليه، ولم اكن اعتقد بانه يحب ضابطاً كحبه لعبد السلام، واني استغربت هذا الخلاف الذي حصل، حتى انه في اليوم الثاني من ايام الثورة قلت لهم بان الاستعمار يريد التفريق بينكم ، فيجب ان تكونوا قلباً واحداً في جسمين].

وقال الزعيم الركن محي الدين عبدالحميد، عضو اللجنة العليا للضباط الاحرار، عن عبدالسلام محمد عارف: «ان رأيي في خطب عبدالسلام انها كانت خطب ارتجالية وغير مبنية على سند - انا اعتقد ان الضباط كانوا يشعرون على انها خطب ارتجالية، يمين ويسار واتجاهات متناقضة. ولااعرف ماذا يقصد (ان الجمهورية اشتراكية، وطنية، الآهية، خاكية..) ان في البلد اناس عقلاء، فهذه كلمات لها وزنها وبصفته كنائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، كنا نشعر انه كل كلمة تحلل وتفسر من قبل الناس العقلاء والمثقفين في البلد، فهي كانت متضاربة متناقضة].

وقال العقيد الركن عبد الوهاب امين، عضو اللجنة العليا للضباط الاحرار، رأيه في العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف عند قبوله كعضو في اللجنة العليا، ان اعضاء اللجنة طلبوا ان يبقى عبدالسلام محمد عارف تحت التجربة لمدة كافية حتى تتم الدراسات التفصيلية عنه قبل التحاقه بهم، بالنظر لعدم الاطمئنان على مايظهر، وقد بقي العقيد عبدالسلام على ما أتذكر حوالي ستة اشهر او قد يكون اكثر من ذلك تحت التجربة.

ومرة سمعت - عندما كنت ملحقا عسكريا في السفارة العراقية بالقاهرة - من السفير فائق السامرائي، ان العقيد عبدالسلام قال في الاجتماع الذي عقده مع الرئيس العربي جمال عبدالناصر في دمشق، بعد بضعة ايام من الثورة، وعلى مائدة الغداء عن قضية تخص بعض الاشخاص السياسيين العراقيين بلهجة شديدة فيها شيء من الخشونة والكبرياء (عنتكة - كما نسميها في العراق). فاشمأز من ذلك جمال عبدالناصر. ووصفه على حد تعبير فائق السامرائي - بانه طفل!

وعلى ماذكر لي ان الرئيس جمال عبدالناصر تطرق لبعض السياسيين للعهد السابق البائد فقاطعه في الحديث العقيد عبدالسلام اثناء ما كان يتناول الطعام ورمي السكين والملعقة من يده بحدة على منضدة الطعام وقال له: «هل تريد ان اقتله بطلقة بعشرين فلس» بلهجة شديدة وبوضع حسبما عرفته لايليق بالجلسة التي كانوا فيها].

وقال العقيد وصفي طاهر - الذي كان مرافقاً لنوري السعيد قبل الثورة ومرافقاً اقدم للزعيم عبدالكريم قاسم بعد الثورة - عن عبدالسلام محمد عارف: انه كان يتشكك فيه دائما. وهناك حوادث معينة كان قد ارتكبها عبدالسلام عندما كان امرا لاحدى الفصائل في الكلية العسكرية، منها تبديله دفاتر امتحان لاحد التلاميذ، وان شخصا هذا سلوكه لايمكن ان يوثق به او يعتمد عليه. ومنها عندما كان طالبا في الكلية العسكرية في ضمن الدورة التي كنا نحن زملاء فيها لم يكن سلوكه او سمعته تشجع على ان يثق به احد، لانه مشهور بالانانية وحب الذات، ولايعرف الا نفسه، ولايعرف اية مصلحة].

وقال علي حيدر سليمان - سفير العراق في بون - عن عبدالسلام محمد عارف عندما رافقه في (بون) بالمانية الاتحادية: اني لاحظته انه ضعيف باللغة الانكليزية. ومن جملة الاشياء التي كنا نتكلم بها خلال سفرتنا، قلت له: انت اصبحت الان تريد الدخول في ميدان الحياة السياسية وتكون رجل دولة وفي رأيي مدة سنتين او ثلاث سنوات في الاشتغال بالسلك الدبلوماسي يكون فيه فائدة كبيرة لك شخصيا. انك تتطلع على التنظيم الصناعي والتنظيم الاقتصادي في الخارج وتتصل برجال السياسة ورجال السلك الدبلوماسي وتحتك بالحضارة الغربية، ويصبح لك معلومات يمكنك اكتسابها، معلومات كثيرة يمكنك بالمستقبل اذا كنت تريد ان تكون رجل دولة تفيدك كثيرا، وانت لاتزال في سن الشباب، هذه هي الاشياء التي كنت اقولها له، اما هو في ذهنه كان يريد الرجوع لعدم كفاءته، او لان له غايات اخرى لااقدر احكم بها، ولكن الشيء الذي اعرفه ان لغته لاتساعد ان يقوم بواجباته كما يجب].

وقال الزعيم الركن خليل سعيد - احد قواد الفرق - عن عبدالسلام محمد عارف: ظهر من

الايام الاولى للثورة بانه يبغي المصلحة الشخصية مع الاسف. وعندما حضر بعد مايقارب الشهرين الى بعقوبة، وجدت ان من اللياقة ان نستقبله استقبالا يتناسب ورسول الثورة، متناسيا كل الامور الشخصية التي قابلني بها انذاك. وفي ذلك اليوم وعلى ما اذكر ١٠ ايلول ١٩٥٨ وكنت آمل اني ساجده وقد خبرته الايام قد اصبح رجل دولة. ولكني وجدته مع الأسف الشديد لايزال بنفس العقلية السابقة، فقد كان خطابه في ملعب الادارة المحلية خطابا يميل يمينا ويسارا حسب الاهواء وحسب النداءات. وبعد خروجنا من الملعب وهتاف بعض الجماهير بالاتحاد الفدرالي في داخل البلدة، كان يتكلم بكلمات بذيئة رغم وجود بعض المرافقين وصغار الضباط وضباط الصف بنفس السيارة لانها مكشوفة من نوع لاندروفر. كان يتكلم بكلمات مبتذلة غير لائقة].

وقال العقيد عادل جلال - احد الضباط المنفذين صبيحة يوم ١٤تموز ١٩٥٨، والذي عين بعد ذلك قائمقاما لمدينة زاخو في شمال العراق - عن عبدالسلام محمد عارف: انه كان يخطب في الايام الاولى للثورة بلا معنى، ومرة في مدينة الموصل قال: (لافرق بين باب لكش وباب البيض). ومن هذا الكلام كان الناس يتذمرون.].

وقال الرئيس الاول الركن سليم الفخري - الذي عينه مسؤولا عن الاذاعة والتلفزيون في الايام الاولى للثورة - عن عبدالسلام محمد عارف: «عرفته من مدة طويلة، عرفته عندما كنا في البصرة، وعشت لمدة سنتين معه في بيت واحد ثم التقيت معه بالكلية العسكرية. كنا امراء فصائل، وعرفته بعد ذلك في مناسبات اخرى، وكنا اصدقاء، فكنا في البصرة نعمل من اجل هذا البلد، وحتى كانت عندنا منظمة سرية وزعت المناشير في وقتها. وعرفت فيه مواطن شريف مخلص، ولكن مع الاسف يظهر انه بعد ذلك انساق لسبب لا اعرفه ولا استطيع الجزم فيه وراء الاتجاهات الفارغة التي تبعد الانسان عن الاتجاه الصحيح.

وكانت الخطب التي يلقيها عبدالسلام، لم يكن بها فكرة معينة، فتجد يوماً يهاجم الاقطاعيين، واليوم الاخر يهاجم الاستعمار، ويوماً يهاجم الغرب، ويوماً يهاجم الشرق - شعارات لااتذكر بالضبط واشياء من هذا القبيل، يعني خطب عجيبة غريبة. فانا زرته، وكان من قبيل الاخلاص، انه كنت اشعر في ذلك الوقت ان واجب كل مواطن قريب منه ويستطيع الوصول اليه ان ينصحه، لاني كنت اشعر ان هذا العمل غير لائق في جمهورية تريد السير الى الامام وشق طريق نحو هدف معين. وكان يقول لي انه انا صحيح هذه تسرعت واخطأت بها، ولكن في المرة الثانية سوف لاتتكرر مطلقا، ولكن عند حدوث السفرة الثانية القى خطابا اسوأ من سابقه، مع الاسف.

ويستطرد سليم الفخري في ابداء رأيه بعبدالسلام محمد عارف، فيقول: مرة جاءني في الاذاعة المذيع ناظم جواد بورقة مكتوب فيها «ان فاتح بغداد ومحررها ومنقذها البطل عبدالسلام محمد عارف»، قلت له ان الذي يفتح بغداد لايمكن ان يكون من ابنائها. ان عبدالسلام هو ابن بغداد، ولايمكن ان يكون فاتح بغداد، وانما يكون من المساهمين في تحريرها. نستطيع ان نقبل هذا ونعتز به، اما ان يأتي شخص عراقي ابن هذا البلد، ويقول انا فتحت مدينة من مدنه. هذا

لايمكن ان يكون مواطنا صالحا، اذا كان يأتي بهذه العقلية، حتى ولو كان هو المحرر].

ويقول الفريق علاء الدين الجنابي ان عبدالكريم قاسم استغل عبدالسلام عارف لتنفيذ الثورة، عبدالسلام اهوج، عبدالسلام ارعن، وفكره السياسي هزيل، ولكنه مندفع جريء جدا، يرمي نفسه الى الموت، انه مغامر، نعم ان هذا احسن تعبير. قال لي جاسم العزاوي، وهو سكرتير عبدالكريم قاسم، بعد فترة من قيام الثورة: «ارجو ان تنبه فؤاد الركابي بان عبدالسلام عارف لاقومي ولا وحدوي. عبدالسلام عارف يريد ان يركب الموجة القومية الوحدوية وراح يستغل حزب البعث العربي الاشتراكي، وبعدين يضربه، فتنبهوا من ذلك». وقد نقلت هذا الكلام حرفيا الى المرحوم فؤاد الركابي في وقته . المهم بالتأكيد كان جاسم العزاوي يعرف عبدالسلام اكثر مما اعرفه، وان سير الاحداث اكدت صحة هذا القول من تصرفات عبدالسلام في تشرين سنة ١٩٦٣، فان عبدالسلام عارف ماكان ابدا وحدويا ولاقوميا، وضربه للتيار القومي الوحدوي في العراق سنة ١٩٦٣ بعد ان قام بالردة على ثورة رمضان، مستغلا ظروفا معينة مرت بالبلاد اوحى للعديد من الضباط القوميين الوحدويين بانه وحدوي قومي وناصري. وبعد ذلك، عندما استتبت له الامور وتربع على كرسي الحكم وحده، بدأ يصفي التيار القومي الناصري الوحدوي في العراق. ولانريد ان نعيد التاريخ ونذكر الحركات والانقلابات التي قام بها التيار الناصري. اذن عبدالسلام لم يكن وحدويا ولاقوميا ولاناصريا. وانني اويد ان عبدالسلام عارف هو اسوأ من عبدالكريم قاسم. فعبد الكريم قاسم ربما لديه بعض الجوانب الايجابية، بينما عبدالسلام عارف لايملك الا روح المغامرة وحب السلطة».

ويقول محمد صديق شنشل - اول وزير للارشاد في حكومة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ - عن عبدالسلام محمد عارف، انه بدون ادنى شك كان بطلا جريئا، فهو الذي اذاع البيان الاول للثورة وان عبدالكريم قاسم جاء الى الاذاعة بعد ذلك..

ويؤكد الاستاذ شنشل ان الكفاح الشعبي ونضال الاحزاب القومية والوطنية والصحافة الحرة، مهدً لقيام ثورة تموز ١٩٥٨، وان القوى التي عاونت عبدالسلام كانت بلا حدود. كما ان للرئيس جمال عبدالناصر، دورا كبيرا في نجاح الثورة، فسفره الى الاتحاد السوفيتي ووقوفه بثبات الى جانب الثورة في العراق كان سببا قويا ومباشرا لعدم التدخل الاجنبي لاحباط الثورة.

ويجمل الاستاذ شنشل رأيه في عبدالسلام محمد عارف فيقول : «ان هذا الرجل كان لايهمه شيء قط سوى نفسه، وكان باعتقادي - رجلا لايريد (الوحدة) مع الجمهورية العربية المتحدة بأي حال من الاحوال. وانني اشبه برئيس دولة عربية فالاثنان يدعيان بانهما وحدويان ولكنهما ليسا كذلك. فكل منهما يدعو لنفسه. وكلاهما يتمتعان بالجرأة والاقدام الى حد التهور والطيش!!

ويضرب الاستاذ شنشل امثلة كثيرة على هذا التشابه بين (الرئيسين) في تصرفاتهما السياسية!!

ويروي لنا اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب عن معرفته بعبد السلام محمد عارف ورأيه فيه قائلا: «عرفته اول مرة، في معتقل القوميين، الذين اعتقلوا بعد اخفاق ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١. وكان يومها عبدالسلام برتبة ملازم ثان، ويشغل منصب آمر المعتقل في معسكر الرشيد. وكان ضمن المعتقلين العقيد محمود الهندي، السوري الذي كان آمر كتيبة خالد الثالثة - التي كنت منتسبا لها. وكان المرحوم الهندي ضابطا متميزا في عسكريته، وفي خلقه. وكانت صلتي به صلة وثيقة جدا. فعزمت على زيارته في ذلك المعتقل، ومعي بعض المال هدية له. غير انه اعتذر عن قبول المال، بالرغم من اعتقادي انه بحاجة ماسة اليه، ولم يفد الحاحى الشديد لقبول الهدية!

وكنت قد دخلت المعتقل، بعد ان سألت عن آمره، فقيل لي بانه الملازم عبدالسلام محمد عارف. فقصدته في مكتبه، وفاتحته برغبتي في زيارة المعتقلين بعامة، ومحمود الهندي بخاصة. ففوجئت بانه لم يقتصر على موافقته فقط على هذه الزيارة، بل ابدى استعداده لمعاونتي ومرافقتي في هذه الزيارة، فشكرته على روحه الوطنية وتمنيت له التوفيق في حياته.

ثم التقيت به عام ١٩٤٨ في فلسطين، وكان وكيل مساعد الفوج الثاني من اللواء الرابع. وكنت ضابط ركن اللواء في مدينة (جنين) الباسلة. وكان من واجباتي زيارة القطعات للاطلاع على الاوضاع ومعاونتهم في حل مشاكلهم. فكنت اذا وصلت الفوج اسأل عن مساعد الفوج فيأخذني احد منتسبي الفوج الى خيمة المساعد، وكان يومها الملازم الاول عبدالسلام محمد عارف فأجده متوجها نحو الكعبة لاداء فريضة الصلاة. فانتظره حتى يقضي صلاته، ثم يرافقني في جولتي. وكنت بحكم منصبي اعلم ان عدد الضباط الموجودين في (جنين) كانوا ١٣٢ ضابطا. كان خمسة منهم فقط ملتزمين اشد الالتزام بتعاليم الدين الحنيف. وكان عبدالسلام ابرزهم. وكنت على اطلاع بانحراف كل منحرف. اما هو فما وجدت عليه انحرافا ولاملاحظة.

ثم دار الزمن دورته، فنقل الى اللواء الخامس في الموصل، وشغل منصب ضابط ركن اللواء، وكنت آمرا للفوج الثالث للواء الخامس، وعلى اتصال وثيق به في الاعمال الرسمية وغير الرسمية. وكنت اجده من حيث التدين متمسكا بدينه. وفي الشعور القومي، وحدوياً لاغبار عليه. ومن حيث الصفات العامة، متميزا بالشجاعة والاقدام.

وحدثت بعض المشاكل بينه وبين آمر اللواء عمر علي، فتضايق كل منهما بالاخر، فاراد عبدالسلام النقل من اللواء، فكتبت له رسالة الى نجيب الربيعي - قائد الفرقة الثالثة - فنقله الى فرقته، والى اللواء العشرين حيث اصبح امر فوج فيه. وبهذا اللواء وهذا الفوج نفذ الثورة.

وكان الرئيس عبدالسلام محمد عارف يصوم يوما ويفطر يوما اخر. فقد حدث مرة في عام ١٩٦٥ عندما زار العراق اعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة، اقام لهم رئيس الجمهورية مأدبة غداء في القصر الجمهوري، وقد لاحظ اعضاء الوفد ان الرئيس عبدالسلام لايتناول الطعام وعندما سألته، قال لي: «انني اليوم صائم. فقد دأبت ان اصوم يوما وافطر يوما».

وهنا - داعبته قائلا: «الرئيس لايكتفي بخيمة او دار في الجنة، فانه يحرص على ان يكون مقره في الجنة في قصر فخم كالقصر الجمهوري». وضحك الجميع]!!

ويقول احمد الحبوبي - أحد وزراء عبدالسلام محمد عارف - ان الرئيس عبدالسلام كان شجاعا، مترفعا عن الصغائر، وكان مرنا في تصرفاته السياسية، فاذا عرضنا عليه موضوعا، كان قد عارضه سابقا، وابدينا له المبررات، فانه يرجع عن موقفه ورأيه السابق ويوافق عليه. ويضرب احمد الحبوبي الكثير من الامثلة على ذلك. ويؤكد بان خلافه معه واستقالته من الوزارة، كان تضامنا مع زملائه الوزراء المستقيلين الذين يتفق معهم في الاهداف والمبادىء.

ويروي لنا الدكتور جابر عمر - اول وزير معارف في حكومة ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ - عن معرفته بعبد السلام محمد عارف قائلا: «كان اول لقاء له معي في سنة ١٩٤١ عندما كنت في القوة الصحراوية التي يقودها الزعيم الفلسطيني فوزي القاوقجي، اثناء الحرب العراقية البريطانية، اذ جاء بعض الضباط الشبان يريدون الالتحاق بنا. فكانت نصيحتي لهم: ان الامور شبه منتهية، ولذلك فالافضل ان يعودوا حيث اتوا، ولايعرضوا انفسهم للملاحقات.. وكان احدهم عبدالسلام عارف - كما اكد لي ذلك بنفسه.

واللقاء الطويل الذين تم بيني وبينه باستمرار كان اثناء حكم عبدالكريم قاسم، حيث شعرت منه احتراما لي، احتراما خاصا، لما يعتقده فيَّ، ولعلاقات مع الرفاق والاقارب معه.

وكان في مجلس الوزراء - في الاشهر الاولى للثورة - اللولب، وله الكلمة الحاسمة في اغلب الامور والمواضيع المطروحة على بساط البحث، اذ كان عبدالكريم قاسم كثير الصمت، قليل الكلام!

وكان عبدالسلام عارف ذا شخصية ديناميكية نادرة، يسافر ولايمل، ويخطب بالجماهير ولايسأم، ويناقش في مجلس الوزراء في الصغيرة والكبيرة، وانه كان مطلعا على شؤون العراق تفصيليا. وكان يعتز بانه قومي عربي ومسلم مؤمن. ومن هذا المنطلق يبت في اقواله وتصرفاته. وكان حقا متعبا للوزراء الاخرين. ولذلك فقد اعفينا سوية من المسؤولية من قبل عبدالكريم قاسم.»

ويضيف الدكتور جابر عمر قائلا: «ومن الانصاف ان يقول الحقيقة من يعرف عنه مايعرف حقا. واني لمقتنع تماما من انه يتمتع بحيوية نادرة، وجرأة تصل الى الطيش احيانا. اما جرأته الادبية فواضحة. وقد يعتبرها الكثيرون ممن لايرغبون فيه ولايميلون اليه، تحديا واعتداءا.

وبقي طيلة معرفتي به - حتى مصرعه - يتمتع بما عرفته عنه: مندفع، كثير الانفعال، لايعبأ بالاخطار مهما كانت جسيمة»!!

وقد حلل ليث عبدالحسن الزبيدي في رسالته الجامعية عن «ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق» شخصية عبدالسلام محمد عارف، قائلا:

«ان نشأة عبدالسلام عارف في محيط اجتماعي ضيق تسوده نزعة طائفية وطموح لاحدود له، خلق له مصاعبَ كثيرة، منذ الايام الاولى للثورة.

[فقد ذكر هديب الحاج حمود وزير الزراعة في عهد عبدالكريم قاسم: ان عبدالسلام عارف ذكر لأحد الضباط الاحرار الموجودين معه في الفوج ليلة ١٤ تموز ١٩٥٨ بانهم سينفذون الثورة، وهناك ثلاث جماعات يجب استئصالها وهم: الاكراد والمسيحيون والشيعة].

واضحة، وغالبا مايكرر «انه لايؤمن بديمقراطية الانكليز ولابنازية الالمان ولابيلشفية الروس، وانما بالعروبة والاسلام فقط» دون اية مباديء وافكار محددة.

ويذكر اغلب اعضاء اللجنة العليا للضباط الاحرار، ان عبدالسلام عارف كان ساذجا ولايفهم من المباديء والافكار السياسية سوى مصلحته الشخصية وطموحه الكبير.

ويذكر علي صالح السعدي - امين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي سابقا - ان «عبدالسلام عارف كان طموحا كبيرا، ولايمكن ان يوجد في تاريخ العراق انسان اسوأ منه عقلا وتفكيرا وسياسة وسلوكا، شخص يعيش في تناقض يومي بين ادعاءاته وسلوكه، وليست لديه اية عقيدة اطلاقا، شخص يغدر باخيه وبولده وبكل شيء من اجل ان يبرز..!!

اما مصطفى علي - وزير العدل في عهد عبدالكريم قاسم فيذكر بان «عبدالكريم قاسم جاء بثورة عظيمة ، ولكن جاء بفنائها معها، جاء بعبدالسلام عارف»!!

ومن ناحية اخرى دخل عبدالسلام محمد عارف في صراع مع العناصر اليسارية من الضباط والمدنيين وقد ترتب على جولاته في المحافظات والخطب الكثيرة التي يلقيها بهذه المناسبات وبدون تردد حول موضوع الوحدة ووجوب تحقيقها على الفور، الى احتدام الصراع بين القوى والاحزاب السياسية وعلى الاخص الانشقاق الذي حدث بين القوميين الذين كانوا يسيرون وراء شعار «الوحدة» والعناصر الاخرى بما فيها الديمقراطيون والشيوعيون الذين كانوا يرفعون شعار «الاتحاد الفدرالي».

لقد كانت خطب عبدالسلام الفتيل الذي اشعل التمزق بين هذه القوى التي كان يعرض كل منها قوته وجماهيره وشعاراته. ان الخطب التي كان يلقيها عبدالسلام بدون تحفظ او بعد نظر في الامور ادت الى استفزاز كثير من الجهات في داخل العراق وخارجه. في وقت كانت فيه الثورة ومازالت في مراحلها الاولى. وعلى سبيل المثال تطرق الى حركة «مصدق» مما ادى الى استفزاز الحكومة الايرانية في نفس اليوم الذي اعترفت بالنظام الجديد في العراق]

ويقول مجيد خدوري في كتابه «العراق الجمهوري» عن عبدالسلام محمد عارف انه «كان ينتمي الى عائلة متدينة، وبسبب شدة تمسكه بالاسلام راح يظهر تحيزاً للسنة، مما اثار قلق الشيعة والطوائف غير الاسلامية. غير ان عارف لم يكن في صميمه تقيا ورعا، وكان تظاهره بالتعصب للاسلام نتيجة نشأته في بيئة محافظة»!

ويحلل محمود الدرة في كتابه «ثورة الموصل القومية» شخصية عبدالسلام محمد عارف فيقول: ان القاسم المشترك بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف: كان حاجة كل منهما الى الاخر، لبسد ثغرة الضعف والنقص فيه، وليحقق طموحه الشخصي على كتف صاحبه.

لتهور او شجاعة عبدالسلام هي وحدها الكفيلة بالقيام بمغامرة ١٤ تموز يسندها ويدعمها لواء مشاة يقوده زعيم حركة الضباط الاحرار عبدالكريم قاسم. وماعدا هذه المصلحة الخاصة، فلا تجمع بين الاثنين صفة واحدة مشتركة على الاطلاق، ولاعجب ان يطفو على سطح ثورة ١٤ تموز الانقسام والانفصال بين الشخصين حالما يتحقق نصر الثورة.

واضحة، وغالبا مايكرر «انه لايؤمن بديمقراطية الانكليز ولابنازية الالمان ولابيلشفية الروس، وانما بالعروبة والاسلام فقط» دون اية مبادىء وافكار محددة.

ويذكر اغلب اعضاء اللجنة العليا للضباط الاحرار، ان عبدالسلام عارف كان ساذجا ولايفهم من المبادىء والافكار السياسية سوى مصلحته الشخصية وطموحه الكبير.

ويذكر علي صالح السعدي - امين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي سابقا - ان «عبدالسلام عارف كان طموحا كبيرا، ولايمكن ان يوجد في تاريخ العراق انسان اسوأ منه عقلا وتفكيرا وسياسة وسلوكا، شخص يعيش في تناقض يومي بين ادعاءاته وسلوكه، وليست لديه اية عقيدة اطلاقا، شخص يغدر باخيه وبولده وبكل شيء من اجل ان يبرز..!!

اما مصطفى علي - وزير العدل في عهد عبدالكريم قاسم فيذكر بان «عبدالكريم قاسم جاء بثورة عظيمة، ولكن جاء بغنائها معها، جاء بعبدالسلام عارف»!!

ومن ناحية اخرى دخل عبدالسلام محمد عارف في صراع مع العناصر اليسارية من الضباط والمدنيين وقد ترتب على جولاته في المحافظات والخطب الكثيرة التي يلقيها بهذه المناسبات وبدون تردد حول موضوع الوحدة ووجوب تحقيقها على الفور، الى احتدام الصراع بين القوى والاحزاب السياسية وعلى الاخص الانشقاق الذي حدث بين القوميين الذين كانوا يسيرون وراء شعار «الوحدة» والعناصر الاخرى بما فيها الديمقراطيون والشيوعيون الذين كانوا يرفعون شعار «الاتحاد الفدرالي».

لقد كانت خطب عبدالسلام الفتيل الذي اشعل التمزق بين هذه القوى التي كان يعرض كل منها قوته وجماهيره وشعاراته. ان الخطب التي كان يلقيها عبدالسلام بدون تحفظ او بعد نظر في الامور ادت الى استفزاز كثير من الجهات في داخل العراق وخارجه. في وقت كانت فيه الثورة ومازالت في مراحلها الاولى. وعلى سبيل المثال تطرق الى حركة «مصدق» مما ادى الى استفزاز الحكومة الايرانية في نفس اليوم الذي اعترفت بالنظام الجديد في العراق]

ويقول مجيد خدوري في كتابه «العراق الجمهوري» عن عبدالسلام محمد عارف انه «كان ينتمي الى عائلة متدينة، وبسبب شدة تمسكه بالاسلام راح يظهر تحيزاً للسنة، مما اثار قلق الشيعة والطوائف غير الاسلامية. غير ان عارف لم يكن في صميمه تقيا ورعا، وكان تظاهره بالتعصب للاسلام نتيجة نشأته في بيئة محافظة»!

ويحلل محمود الدرة في كتابه «ثورة الموصل القومية» شخصية عبدالسلام محمد عارف فيقول: ان القاسم المشترك بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف: كان حاجة كل منهما الى الاخر، ليسد ثغرة الضعف والنقص فيه، وليحقق طموحه الشخصي على كتف صاحبه.

فتهور او شجاعة عبدالسلام هي وحدها الكفيلة بالقيام بمغامرة ١٤ تموز يسندها ويدعمها لواء مشاة يقوده زعيم حركة الضباط الاحرار عبدالكريم قاسم.. وماعدا هذه المصلحة الخاصة، فلا تجمع بين الاثنين صفة واحدة مشتركة على الاطلاق، ولاعجب ان يطفو على سطح ثورة ١٤ تموز الانقسام والانفصال بين الشخصين حالما يتحقق نصر الثورة.

ولاعجب كذلك ان يكسب عبدالكريم قاسم، بشخصيته الغامضة التي لاتخلو من دهاء ميكافيلي جولته مع عبدالسلام، باليسر والسهولة التي تحققت له، حينها اهدى عبدالسلام فوزه الساحق الى عبدالكريم، فاعلن من اذاعة بغداد التي استولى عليها، بيان الثورة بوصفه (نائبا) لقائد القوات المسلحة عبدالكريم قاسم القابع بمعسكره في المنصورية على بعد ٩٦ كيلومتر ينتظر مصير مغامرة الثورة التي يقوم بها صاحبه عبدالسلام في تقويض النظام الملكي في العراق.

ويحتار المرء في تفسير الدوافع التي دفعت بعبدالسلام لكي يختار منصبا مدنيا (وزارة الداخلية) لدى قسمته الغنائم مع زميله، فيتخلى بمحض ارادته، عن الجيش الذي حقق مبتغاه، وترك لزميله، رئاسة الوزارة وقيادة الجيش ، مكتفيا بتأييد الشارع وتصفيقه وحماسته!

وتزول الحيرة، بعد ان كشف عبدالسلام اوراق هويته الشخصية من خلال خطبه الارتجالية وهو يتنقل في الطائرة في مدن العراق الرئيسية.. فيقول لمواطنيه، ويكرر قوله: «لاقصور ولاثلاجات ولاقاصات، جمهورية خاكية، سماوية آلهية، ديمقراطية، اشتراكية، تعاونية.. الخ»

وترجمة هذه الكلمات الى اللغة التي يفهمها العرب - غير العراقيين هي:

لقد انتهى عصر الاستغلال والترف، فلا نسمح لمواطنينا بالعيش في القصور التي تتوافر فيها مستلزمات الحياة العصرية كالثلاجات!.. ولانسمح بوجود رأسماليين يخزنون نقودهم بالخزائن الحديدة (القاصات). وجمهوريتنا عسكرية يكتفي رجالها بارتداء الملابس العسكرية (الخاكي).. وبالتالي فهي مسلمة بعقيدتها، مع خليط من مبادىء العصر الاقتصادية.

ولقد استفزت خطبه الارتجالية التي لا معنى لها ولامضمون مشاعر الاكراد وابناء الطوائف المذهبية والدينية التي يعج بها العراق واستفزاز المثقفين العراقيين.

في حين ان انتصاره على النظام الملكي اعطاه رصيدا كاسحا لدى الجماهير التي كانت تتلاقفه عند نزوله من طائرة الهليكوبتر التي كان يتنقل فيها بين المدن، وهي تهتف له: «نحن جنودك ياسلام» مما ملأ نفسه بالغرور والتعالي على زملائه الضباط الاحرار، فرفض باصرار رجائهم له بتأليف مجلس قيادة الثورة طبقا للميثاق الذي اقره».

ثم يقول الاستاذ الدرة: «ومع ان عبدالسلام، كما ظهر على حقيقته، فيما بعد ، لايؤمن بالوحدة العربية (السياسية) التي تذيب شخصيته ودوره القيادي، فانه اراد الظهور على المسرح السياسي كزعيم قومي يستمد من شخصية عبدالناصر الذي اصبح رمزا للنضال القومي المتحرر، القوة والتأييد المعنوي ليركب موجة الحماس القومي في العراق ، زعيما للمشرق العربي، زعامة عبدالناصر للمغرب الافريقي»!

ويروي حسن العلوي في كتابه «رؤية بعد العشرين» عن عبدالسلام محمد عارف قائلا:

كان الحادي عشر من ايلول ١٩٥٨ الذي تقرر فيه ابعاد الرجل الثاني في سلطة الثورة عن مناصبه القيادية والوزارية متوقعا بعد سلسلة الاجتهادات التي اتهم العقيد عبدالسلام عارف بتظهيرها في خطابات ارتجالية خلال جولاته في الوية القطر بعد نجاح الثورة مباشرة.

لم يكن عبدالسلام عارف شأنه شأن اغلب العسكريين يمتلك الادوات الخطابية المطلوبة وكانت ثقافته العامة وخبرته السياسية الناشئة لا تساعدانه على الاحاديث الطويلة التي انشغلت بها موجات الاذاعة العراقية.

وقد لايكون بعيدا ان الدبلوماسيين العرب والاجانب ابرقوا الى حكوماتهم توقعاتهم الاسبوعية حول اقتراب انفجار الرجل الصامت في وزارة الدفاع لاسكات صوت حليفه ونائبه في الوزارة والقوات المسلحة.

كان المفروض بالسياسيين المحترفين او الوحدويين المحيطين بعبد السلام عارف بذل جهد لمحاولة تقنين احاديثه وجدولة طروحاته لاسيما ان وزير الارشاد في تلك الحكومة والذي يتحمل مسؤوليته في هذا الخطأ كان من السياسيين المتمرسين في حزب الاستقلال وكان بامكانه ان يبرمج او يكبح من عنفوان عبدالسلام عارف بطريقة او اخرى. لكن الذي يبدو انهم تركوه يموت خطيبا كما ترك عبدالكريم قاسم فيما بعد، والذي ظل صامتا الى ان اسكت عبدالسلام فاستعاد دوره في تكرار الخطابات مع وجود الفوارق الكبيرة بين حديث كل منهما سواء في تعبير المقاسات السياسية ام في اتجاه الاحاديث.

يبدو ان نجاح عبدالسلام عارف الباهر في تنفيذ الثورة كان مفاجأة لعبد السلام نفسه فاختلت موازينه ذلك الاختلال الفاضح، لقد نجح الرجل في قتل الملك والامير والحاشية واعلن بصوته في الاذاعة سقوط الملكية وقيام الجمهورية الاولى لاول مرة في العراق منذ (٤٠٠٠) سنة. وهو انجاز اسطوري يسجل لهذا الضابط الشجاع، لكن المشكلة ان عبدالسلام تصور كما يتصور كثير من العسكريين ان بامكان قاتل الملك ان يكون ملكا.

يقول شكسبير «ليس المهم ان تكون ملكا بل المهم ان تكون آمناً» وهذا الذي حدث. لقد فقد عبدالسلام عارف مناصبه القيادية في الثورة وابعد سفيرا في بون فوجد الشارع الشيوعي في هذا الابعاد نصرا مؤزرا يستحق الاهازيج والهتاف والترانيم الشعبية (رايح سفير البون عندي وصية) لكن الامر كان لو تحكم الشيوعيون باعصابهم قليلا نصرا للضباط الاحرار الذين ضاقوا بعبد السلام في اجتماعات الهيئة العليا قبل الثورة. فترك اخر اجتماع له معهم قائلاً في حدة (هذا حدنا وياكم) على رواية محسن الحبيب.

كان عبدالكريم قاسم حليف عبدالسلام في تلك الاجتماعات، حتى اذا ازفت فرصة الثورة، استأثر معه بموعد التنفيذ. يقول الضباط الاحرار ان استئثار عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف بتنفيذ الثورة دون الرجوع اليهم، انما كان مقدمة لاستئثارهما بالسلطة مع ان الثورة، لو فشلت، فان رؤوسهم ستتدحرج تحت اقدام الامير عبدالاله. فليس خلاف الضباط مع عبدالكريم ومجموعته كان بسبب ابعاده لعبد السلام كما هو شائع ومعروف في الاوساط العامة.

انهم يرون ان عبدالسلام اتفق مع صاحبه على ابعادهم عن مواقع السلطة، مشردين بين ملحق عسكري وموظف مدني وضابط مدفعية. وقائد منهم ثبتت اقدامه في الصحراء قريبا من الحدود الاردنية.

والضباط الاحرار، كما كتبوا في مذكراتهم، يجمعون على ان فكرة القائد العام ونائب القائد العام للقوات المسلحة، كانت مرفوضة منذ ان عرضت عليهم قبل الثورة، وهم يتساءلون: اذا كان لعبدالكريم حق في ان يكون قائدا عاما. لانه رئيس اللجنة العليا للضباط الاحرار، فما هو حق صاحبه في المنصب الثاني، علما ان لعبد الكريم قاسم نائبين هما محي عبدالحميد وناجي طالب، كانا يترأسان الجلسة في غيابه؟..».

ويروي اسماعيل العارف - احد وزراء عبدالكريم قاسم - في كتابه (تأسيس الجمهورية العراقية) عن عبدالسلام محمد عارف قائلا:

كان عبدالسلام عارف، وهو في السجن، يتوقع ان يقوم اعوانه من الضباط بانقلاب لانقاذه - الا انه بعد مضي مدة طويلة، وهو في السجن يئس من ذلك فبدأ يكتب الرسائل الواحدة تلو الاخرى الى الزعيم عبدالكريم قاسم متوسلا اليه لاطلاق سراحه والعفو عنه، وحاول ان يضرب عن الطعام مرات عديدة الا ان محاولاته فشلت، وايقن ان الرسائل التي يكتبها لاتصل الى يد عبدالكريم قاسم، فاغرى ذات يوم احد حراس السجن بالمال لكي يوصل رسالة الى عبدالكريم قاسم، فاخذها الحارس منه، وسلمها كالعادة الى آمر الانضباط العسكري في اوائل تشرين الثاني ١٩٦١. وعندما جئت الى وزارة الدفاع في ذلك اليوم مررت على آمر الانضباط لاشرب قدحا من القهوة العربية الجيدة عنده فاطلعني على الرسالة، وقد استهلها عبدالسلام بـ «سيدي وقائدي واخي الزعيم عبدالكريم... أنني منك كهارون من موسى. لقد طال انتظار عطفك عليّ ورأفتك بي.. الخ». فعلّق آمر الانضباط قائلا: «انظر الى هذا المحتال.. انه مادام في السجن يبدي الاستعطاف ويسأل الرحمة، ولكن حالما يصبح طليقا يبدأ في التآمر. سوف لا أعطي الرسالة الى الزعيم عبدالكريم..» الا انني نصحته بتقديمها له مادامت موجهة اليه، وفيها ذلك الاستعطاف، فعرضها آمر الانضباط على عبدالكريم قاسم في نفس اليوم بينما كنت حاضرا.

وبعد ان قرأها عبدالكريم سلمني اياها، وقال لي: «اقرأها..» فقراتها ثانية، وقلت له: «الافضل الا تخلق منه بطلا ومحورا تدور حوله المؤامرات ضدك، فاما ان تنفذ فيه الحكم، او نطلق سراحه وتبقيه في بيته، فلم يعد له الان من حول او قوة».

وفي ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦١ اصدر عبدالكريم قاسم قراره بالعفو عنه فاطلق سراحه من السجن - وجيء به الى مقر عبدالكريم قاسم في وزارة الدفاع، وبينما كانا سوية اتصل بي الزعيم عبدالكريم قاسم هاتفيا وطلب مني الحضور. فحضرت وفي غرفته وجدت عبدالسلام عارف جالسا يتحدث معه. فتصافحنا.

وقلت له: «ارجو ان تكون هذه بادرة حميدة لتعود الامور الى طبيعتها ويعمل الجميع لخدمة هذه الجمهورية الفتية» وبعد فترة قصيرة اوعز عبدالكريم قاسم الى مرافقيه باحضار سيارة لتقل عبدالسلام الى بيته، وظل قابعا فيه الى ان وقعت ثورة ١٤ رمضان واصبح رئيسا للجمهورية».

ثم يردف اسماعيل العارف قائلا: «لقد اعطاه عبدالكريم قاسم حقوقه، بعد ان أطلق سراحه واعاد له جميع رواتبه الموقوفة، وذات يوم قال لي عبدالكريم قاسم: «اتعلم ماذا يريد عبدالسلام بعد ان اطلقنا سراحه؟.. انه يريد ان تحسب رواتبه على اساس راتب نائب رئيس الوزراء، وليس على راتب العقيد. ان هذا الرجل ينظر الى المادة دائما قبل ان يفكر بالمصلحة العامة].

تؤكد السيدة وفاء عبدالسلام: «أن والدها تبرع برواتبه المتجمعة اثر اطلاق سراحه الى المنظمات الفلسطينية».

ويروي لنا محسن حسين - معاون المدير العام لوكالة الانباء العراقية انذاك - عن رأيه بالرئيس عبدالسلام محمد عارف - وذكرياته عنه قائلا:

«عرفت الرئيس عبدالسلام محمد عارف بعد ايام من ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨. كنت محررا في جريدة «الجمهورية» التي صدرت في اعقاب الثورة، وكانت تحمل لفترة اسم (عبدالسلام محمد عارف) رئيسا للتحرير، واذكر ان هذه القضية قد نوقشت في اعلى المستويات حينذاك، واثير تساؤل عما اذا كان يحق لنائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ان يرأس تحرير صحيفة بموجب القانون ؟!)، فاجاب عبدالسلام عارف ان الذي يقوم بالثورة، يستطيع ان يغير القانون..!

وقد رافقت عبدالسلام عارف في عدد من جولاته (الشهيرة) بعد الثورة حيث القى خطبه في الجماهير التي كانت تحتشد لرؤية مبعوث الثورة فاذا بها تفاجأ بكلام غير منسق، وافكار مشوشة غير مترابطة اساءت اليه واساءت الى الاتجاه الذي كان يمثله!

وقد قمت بتغطية زياراته الى الديوانية والعمارة والحلة.

واذكر انه اتصل بي في ١١ آب ١٩٥٨ فعرضت عليه ان اعد موضوعا عن مرور شهر على الثورة فطلب مني ان احضر في اليوم التالي الى وزارة الدفاع حيث تعقد اجتماعات مجلس الوزراء وذهبت بالفعل انا والزميل المصور حازم باك. وهناك اخذني الى شرفه القاعة المخصصة للاجتماعات وقال لي: ان البعض يريد ان يوقع بيني وبين عبدالكريم قاسم من خلال ماتنشره جريدة الجمهورية ولذلك اريد نشر افتتاحية بعنوان (الاخوين) تتحدث عن العلاقة الاخوية بيني وبين عبدالكريم، كذلك اريد نشر صورة لي معه في الصفحة الاولى تؤكد هذه العلاقة. وقال ان عبدالكريم قاسم سيأتي بعد قليل وسأخبره لالتقاط الصورة.

وبالفعل تم ذلك والتقطت الصورة في صدر القاعة حيث كان يوضع العلم العراقي.

وعندما عدت الى الجريدة اخبرت المختصين فيها بطلب عبدالسلام عارف وجرى تنفيذه بنشر المقال والصورة.!

لكن المفارقة، ان الصورة احدثت ازمة اخرى، اذ انها نشرت معكوسة اي اليمين في اليسار واليسار في اليمين ولانهما كانا يرتديان الملابس العسكرية فقد ظهر المسدسان في غير موضعيهما!!

واخبرني عبدالسلام عارف فيما بعد ان المحيطين بعبدالكريم قاسم صوروا له نشر الصورة بهذا الشكل مقصود للاساءة اليه، وان مااراده لتحسين العلاقات بينهما قد ادى الى العكس.

ويستطرد محسن حسين في سرد ذكرياته قائلا:

«ومن ذكرياتي عن عبدالسلام عارف انه قد اتصل بي هاتفيا عام ١٩٦٤ وكان رئيسا للجمهورية وكنت مديرا للاخبار الداخلية في وكالة الانباء العراقية وكان منزعجا للغاية، واخذ يصيح باعلى صوته انه سيضطر الى غلق الوكالة لانها تسيء الى النظام والاستقرار ثم اخبرني بشيء غريب للغاية، وقال انه كان في زيارة الى كركوك. وفي المطار سمع نشرة اخبار الاذاعة التي تضمنت خبرا عن فيتنام جاء فيه ان الثوار هناك قصفوا احد المطارات.

وعقب الرئيس عبدالسلام عارف: انكم بذلك تعلمون المتمردين هذه الاساليب.

ثم اصدر امرا بمنع اذاعة ونشر مثل هذه الاخبار..

[ملاحظة: في تلك الايام كانت الوكالة هي التي تعد نشرات الاخبار الاذاعية وترسلها باليد

الى المذيعين لاذاعتها].

وخلال حكم عبدالسلام عارف كان هناك تناقض واضح بين الاهداف وبين الافعال. فقد جاء عارف الى الحكم بحجة انه وحدوي، وتصور الناس ان الوحدة ستقوم بين العراق ومصر خلال فترة قصيرة، غير ان ذلك لم يحدث قط رغم اسناد الرئيس جمال عبدالناصر لعبدالسلام عارف. ولهذا فقد حدثت خلافات بينه وبين المجموعات القومية التي كانت تشترك في الحكم.

وفي احدى زياراته الى القاهرة (شباط ١٩٦٦) جرى ترتيب بان يلتقي الرئيس جمال عبدالناصر بالصحفيين العراقيين المرافقين للرئيس عبدالسلام عارف وكنت انا واحدا منهم امثل وكالة الانباء العراقية.

وقبيل عقد المؤتمر الصحفي الذي تم في قصر القبة حيث يقيم الرئيس عبدالسلام عارف استدعاني وقال لي انه يريد مني بصفتي مندوبا لوكالة الانباء العراقية ان اوجه سؤالا محددا الى الرئيس عبدالناصر، وقرأ لي السؤال ومفاده: ان هناك فئات سياسية في العراق تدعي انها مدعومة من الرئيس عبدالناصر وتمثل خطه السياسي، فهل هذا صحيح أم انكم (اي عبدالناصر) تؤيدون الرئيس عبدالسلام عارف؟.

ويبدو لي ان السؤال ذكي. اذ ان عبدالناصر قد اجاب بوضوح انه يؤيد الرئيس عبدالسلام عارف، وانه ليس هناك فئة يحق لها التحدث باسمه في العراق.

وقد نشر المؤتمر الصحفي بالنص الكامل وبضمنه السؤال والجواب. واحدث التأثير الذي اراده عبدالسلام عارف في وضع تلك الفئات السياسية.

واوكد اننا عندما خرجنا من المؤتمر الصحفي قال لي احد الوزراء العراقيين، وكان حاضرا معنا، انه لايستبعد ان اقتل عند العودة الى بغداد بسبب هذا السؤال!

ويبدي احمد حمروش في كتابه «قصة ٢٣ يوليو» رأيه في عبدالسلام محمد عارف قائلا:
كان عبدالسلام عارف يحاول الاعتماد على شخصيته دون الاعتماد الجدي على تنظيمات مكتفيا بسيطرته على الجيش والشرطة واجهزة الامن ولو انه لم يبالغ نسبيا في استخدامها.
كما ان عبدالسلام عارف كان يتعثر في خطواته نحو الوحدة وهو الذي هرع يروج لها في الايام الاولى من ثورة ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨.
صحيح انه بدأ تنسيق سياسي بين مصر والعراق يوم ٢٦مايو (ايار) ١٩٦٤ بعد زيارة عارف لمصر لحضور احتفال تحويل مجرى النيل عند السد العالي في اسوان مع خروشوف واحمد بن بيللا وهي الزيارة التي تهجم فيها خروشوف على عارف متهما اياه بشنق الشيوعيين، وماتبع ذلك من حوار طويل عن قضية وحدة الطبقة العاملة والوحدة العربية كلها، كما روى محمد حسنين هيكل في كتابه (عبدالناصر والعالم).
وصحيح انه شكل لذلك مجلس رئاسة من جمال عبدالناصر وعبدالسلام عارف كان مفروضا ان يجتمع مرة كل ٣ شهور.. وكان الاعضاء من الجانب المصري هم عبدالحكيم عامر وعلى صبري والدكتور محمود فوزي ومحمود رياض وامين هويدي (وهم جميعا عسكريون عدا واحد

فقط) ومن الجانب العراقي صبحي عبدالحميد وعبدالرزاق محي الدين وشكري صالح زكي.
كما عين ٣ وزراء للوحدة مع العراق، من مصر: شعراوي جمعة وكمال الحناوي وعلي السيد علي.. ومن العراق: ناجي طالب واديب الجادر وعبدالستار الحسين.. وعين فتحي الديب امينا عاما للمجلس.
وفي ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) انبثقت قيادة سياسية موحدة من رئيسي الجمهوريتين.
ولكن ظلت هذه التنظيمات شكلية المظهر محدودة الاثر.. الوحدة الوطنية في العراق لم تكتمل وعدم اعتماد نظام الحكم على حزب ثوري، والتمزق الذي شمل القوميين والضعف النسبي لشخصية عبدالسلام عارف، واشتعال العداء ضده من جانب الحزب الشيوعي وحزب البعث... كل هذه العوامل اخرت تحقيق الوحدة الوطنية، وكانت بالتالي دافعا الى شكلية اجراءات الوحدة مع مصر.
ولم يقف الخلاف والتناقض بين عبدالسلام عارف واعوانه من جهة والمختلفين معه من جهة اخرى، وانما امتد الى دائرة السلطة، تماما كما حدث مع البعث ولكن بصورة اخرى.
كان عبدالسلام عارف قد تأخر متعمدا في تشكيل مجلس قيادة الثورة، الامر الذي اثار حفيظة المقربين اليه.
وعندما قرر عبدالسلام عارف تعيين شقيقه عبدالرحمن رئيسا للاركان اعترض على ذلك: صبحي عبدالحميد وعارف عبدالرزاق وعبدالكريم فرحان وهادي خماس (رئيس المخابرات)، لانه لم يكن مؤهلا او حاصلا على شهادة كلية اركان الحرب.
وزادت التناقضات بين الشخصيات الملتفة حول عارف، واستقال وزير الاعلام عبدالكريم فرحان فيما سمي بازمة الاذاعة عندما رفض مدير عام الاذاعة عبداللطيف الكمالي عمل دعاية سافرة لعبدالسلام عارف وتضامن معه الوزير.
سافر عبدالكريم فرحان الى مصر يوم ٣٠ يونيو (حزيران) وأستقال تضامنا معه دون وجود اية رابطة تنظيمية كل من صبحي عبدالحميد وزير الداخلية، وأديب الجادر وزير الصناعة وفؤاد الركابي وزير الشؤون البلدية وعزيز الحافظ وزير الاقتصاد وعبد الستار الحسين وزير العدل.
ولم يكن هذا التضامن قائما على اسس تنظيمية وانما كان عفويا وحماسيا.
وعندما رفض المستقيلون العودة، شكل عبدالسلام عارف وزارة جديدة برئاسة طاهر يحيى يوم ١١ يوليو (تموز) ١٩٦٥.
ولم يلبث عبدالسلام عارف ان كلف عارف عبدالرزاق بتشكيل وزارة جديدة مستهدفا ابعاده عن قيادة القوات الجوية اولا وعزله عن الفئات القومية ثم تصفيته ثانيا.
رفضت التنظيمات القومية الاشتراك في وزارته.
وكان عارف عبدالرزاق قد قرر القيام بانقلاب ضد عبدالسلام عارف ولذا قبل الوزارة واستجاب لطلبات عبدالسلام عارف بنقل عدد من الضباط خارج بغداد وذلك تفاديا للاصطدام وكشف خطة الانقلاب مبكرا.
ولكن استمرار نقل الضباط كان يعنى ابتعاد العناصر التي يمكن الاعتماد عليها، ولذا قرر الاسراع بالانقلاب ليكون ليلة ١٤ ـ ١٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥ اثناء وجود عبدالسلام عارف في الدار البيضاء بالمغرب بعد اسبوع من تعيينه.

وعندما شعر عارف عبدالرزاق بفشل خطته ركب طائرة حربية صباح يوم ١٥ سبتمبر (ايلول) وهرب الى القاهرة».

ويستطرد احمد حمروش قائلا:

اول قرار لعبد السلام عارف كان تحديد اقامة صبحي عبدالحميد وعبدالكريم فرحان في منزليهما وتكليف الدكتور عبدالرحمن البزاز بتشكيل الوزارة الجديدة.

كانت هذه التغييرات قد اضعفت قدرة النظام في نظر الجماهير ولم تعد له شعبية مطلقا.. التنظيمات القومية مشغولة بخلافاتها الخاصة.. الحزب الشيوعي يحاول استجماع قوته ومواصلة نضاله.. وحزب البعث يعيد تنظيم نفسه وخاصة بعد الضربة التي وجهتها له اجهزة الامن في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٤، عندما اكتشفت محاولة اعادة لتنظيم الحزب واعتقال عدد كبير من الاعضاء.

كان موقف القاهرة من عبدالسلام عارف موقف التأييد المصحوب بالحيرة، فهو في تصرفاته الداخلية يتناقض مع بقية القوميين ويعطي الفرصة لضعف النظام لاعدائه واعداء القاهرة].

ويتحدث لنا الدكتور حازم البكري عن معرفته بالرئيس عبدالسلام محمد عارف ورأيه فيه فيقول: بدأت معرفتي بعبدالسلام محمد عارف في اوائل عام ١٩٥٦ في الوقت الذي كانت فيه جموع الشعب العراقي تعلن وتعبر عن سخطها تجاه الحكم الملكي القائم يومذاك، وتعد العدة للاطاحة به، واستمرت معرفتي به حتى عام ١٩٦٥. ومن خلال هذه الفترة وقفت على بعض ماكان يتصف به من خصال حميدة وخصال يعاب عليها.

* لقد كان عبدالسلام عارف صريحا تجاه الحق لايكتم امرا جرى ولاقولا قيل حتى من اقرب الناس اليه، ويردد دائما (قل الحق ولو على نفسك). وكان متمسكا بدينه لايفوته فرض من فرائض الاسلام الا اذا اضطر الى ذلك. وكان بسيطا في حياته متمثلا بالقول المشهور (مدّ رجلك على قدَ بساطك). كما كان لايحمل حقدا في صدره الا بمقدار، وغالبا كان يتجاوز عن حقده بعد فترة وجيزة. وكان شجاعا وشجاعته تصل به الى حد التهور. وهذا مامكنه من السيطرة على بغداد بسرعة صبيحة يوم ١٤/ تموز، بالرغم من ادراكه بانه يفتقر الى كثير من مقومات نجاح الثورة.

اما من خصاله التي يعاب عليها والتي اوقعته في مهاوي التهلكة:

* تسرّعه في اتخاذ قراراته بدون التأكد من خطئها او صوابها. وقد وضح ذلك بعد تسنمه مقاليد الحكم. ومن ذلك مثلا، الضجة التي اثارها في صفوف القضاة يوم تعيين صديقه كامل الخطيب رئيسا لمحكمة تمييز العراق مخالفا بذلك نصوص القانون. ثم اضطراره الى اصدار مرسوم آخر بتعيينه نائبا لرئيس المحكمة.

* كان عبدالسلام عربيا اقليميا، ولم يكن قوميا وحدويا (وان كان قد ردد رفع شعار الوحدة بعد ثورة ١٤/تموز). وقد تجلى امر ذلك بعد ثورة رمضان، فاخذ ينظر نظرة تعالي شبه عدائية الى بقية الاقطار العربية عامة والى مصر وزعيمها الرئيس جمال عبدالناصر بوجه خاص. ومن ثم اصبح يعتقد او هكذا أوهمه المغرضون وادخلوا في روعه ان عبدالناصر سيبتلع العراق كما

كان يصرح. لذلك لم يسلم من لسانه. ولما حضر مؤتمر القمة العربي الاول في القاهرة، سافر وهو يحمل اعتقاده ونظرته المتعالية.

حدثني مرافقه الاقدم العميد زاهد محمد صالح، بانه بعد انتهاء اعمال المؤتمر طلب ان يزور اسواق القاهرة، وفي احد المحلات التجارية الفخمة اعجبته بعض قطع الاثاث البيتيه. فاخذ يتعامل عليها بنفسه. وبعد ان اتفق شخصيا مع صاحب المحل على السعر وكان (١٥٠٠٠ الف جنيه مصري) طلب من سكرتيره عبدالله مجيد ان يدفع المبلغ من حقيبة يحملها ولكن صاحب المحل رفض استلام المبلغ بالعملة المصرية حسب تعليمات حكومته. وهنا اصر عبدالسلام على دفع المبلغ بالعملة المصرية التي حملها معه من بغداد. ثم كثر الجدال وارتفع صوته. وكاد الامر ان يحدث ازمة لولا تدخل الوزير المصري المكلف بمرافقته حيث اتصل تلفونيا بمسؤولي حكومته ومن ثم حل القضية على اساس ان المبلغ قد سحب من رصيد السفارة العراقية. اما عبدالسلام فكان قد تشاغل وكأن الامر لايعنيه!!

* كان عبدالسلام سريع الانفعال في حالة غضبه او في حالة سروره على السواء. اما في حالة غضبه، فربما يكون له عذر في ذلك لان هذه الحالة تنطبق على اكثر العراقيين. واما في حالة السرور، فهي حالة قليلة الحدوث بصورة عامة. وقد كان عبدالسلام لايستطيع ضبط نفسه او السيطرة على عواطفه خلالها. حيث كانت تظهر انعكاسات ذلك على تصرفاته وفي كلامه.

في اليوم الثاني من قيام ثورة ١٤/ تموز وبعد مقتل نوري السعيد، خابرني كامل الخطيب واقترح علي ان أمر عليه في داره واصطحبه بسيارتي للذهاب الى دار الاذاعة (المقرالوقتي لعبدالسلام يومذاك) لتهنئته بنجاح الثورة. ولما ولجنا الباب الرئيس شاهدنا عبدالسلام واقفا (مخبوصاً) وهو يصدر تعليماته ويوجه بعض الشباب. وما ان لمح كامل الخطيب الذي كانت علاقته به جيدة جدا، الاوبادره بقوله (ها. . ابو مصطفى، شفت اشلون انا بطل، عملناها وقتلنا الخونة) ثم اردف ذلك بقيامه بحركة صبيانية لاتليق به. وهنا اقترب منه الخطيب وقال له بصوت خافت: (يمعود اثقل)!!

وربما لم ينس العراقيون خطبه الارتجالية في الاسبوع الاول حينما التف حوله آلاف العراقيون وهم يهزجون مرحبين به ويظهرون فرحهم تجاه الثورة، حيث وقف متكلما وهو يصرخ بانفعال (لاقصور ولا ثلاجات ولاعمارات ولاسيارات انها ثورة خاكية. . .)

* سرعة تقلبه وعدم ثباته على رأي واحد، وتأثره بما كان يقال له. واخذه بكلام القائل من غير تمحيص سواء اكان سليما مقبولا، ام كان مدسوسا فيه افتراء واضح، وهذا ما اغرى به المنافقين والمتنفعين واوقعه في كثير من المشاكل.

بعد قيام ثورة رمضان سألني يوما بعض المعلومات عن حزب البعث العربي الاشتراكي فشرحت له كثيرا من مفاهيم الحزب واهدافه. وعززت كلامي باعطائه نسخة من نظام الحزب - الدستور - وكتاب (في سبيل البعث) وبعض المنشورات الاخرى. وقد اقتنع بكلامي واخذ يثني على مفاهيم الحزب ووعد بانه سيكون قريبا منه. ولكنه سرعان ماأنقلب على الحزب وعليّ بالذات بعد تحريض اثنان من رؤساء الكتل المتعددة يومذاك المناهضان للحزب. وقد ادى الامر الى اعتقالي يوم ١٩/ تشرين بامر شخصي منه].

هذا.. ومن جهة اخرى، فان التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي في كانون الثاني ١٩٧٤ قد اكد ان العراق في عهد عبدالسلام محمد عارف «اصبح ملغوما بدرجة كثيفة بشبكات التجسس الامريكية والبريطانية والايرانية والاسرائيلية وغيرها. وكانت تلك الشبكات متغلغلة في القوات المسلحة واجهزة الامن والمؤسسات الاقتصادية، وفي بعض الحركات السياسية والدينية، وفي مراكز حساسة اخرى من الدولة والمجتمع، حتى كاد العراق ان يصبح ساحة مكشوفة امام الاعداء الاستعماريين والصهاينة والرجعين».

وشهد الوضع الاقتصادي والاجتماعي بشكل عام تدهورا وترديا خطيرا. واشتد التوتر والقلق بين الناس - كما يقول سمير عبدالكريم في كتابه «اضواء على الحركة الشيوعية في العراق» - حيث شعرت الجماهير بسلبية السلطة وعجزها عن القيام باي شكل يكفل تحسين الوضع، وبقي العراق خاضعا للسيطرة الاقتصادية الاستعمارية المتمثلة - بالدرجة الاولى - في هيمنة الشركات الاحتكارية على اهم واكبر ثرواتنا والمصدر الاساسي لدخلنا الوطني. كما كان لتفشي النزعة الاستهلاكية واهمال التنمية بجوانبها المختلفة، وللخلل الخطير في موازين التجارة الخارجية والفوضى والانحراف السائد في سياسة الاقتراض والتعامل مع البلدان الاجنبية، اثارها الخطيرة على الاستقلال الاقتصادي للبلاد وعلى ارادتها.

اصبح الوضع الاقتصادي خويا تعمه الفوضى، وميزانية الدولة شبه خاوية...!!

وسادت في الريف العراقي اوضاع سيئة وبالغة التعقيد، بسبب طبيعة النظام العارفي والبيروقراطية واليمينية.

وقد زاد عدد الفلاحين المعدمين في الريف، كما زادت نسبة الهجرة من الريف الى المدينة، وانخفضت انتاجية الارض، واصبح العراق بلدا مستوردا للمحاصيل الزراعية، بعد ان كان بلدا مصدراً او مكتفيا بانتاجه على اقل تقدير، دون ان يكون ذلك نتيجة مباشرة للزيادات الحاصلة في عدد السكان ومداخيل الافراد وبالتالي زيادة الاستهلاك العام.

واتخذ النظام العارفي قرارات التأميم على نسق ارتجالي وغير موضوعي، وفي ظروف سياسية خاصة، وعدم ايمان النظام الذي اقدم عليها بمحتواها وابعادها التقدمية، فزاد ذلك من التعقيدات التي تعاني منها الصناعة في البلاد واتسعت دائرة الفساد والعجز في هذا الميدان الحيوي، ووضع (اصحاب الشأن) و (الاهل والاقرباء) في مسؤوليات كبيرة لايعونها، فأهتز الوضع الاقتصادي بشكل رهيب. كما ان سيطرة البيروقراطية واليمينية على المشاريع الصناعية المؤممة، وضع القطاع العام الصناعي - برغم ملكية الدولة له - في خدمة الاوساط الطفيلية والبرجوازية والبيروقراطية التي كانت تهيمن باساليب مباشرة او غير مباشرة، على مقدرات البلاد، وبذلك فقدت هذه الخطوة مضامينها التقدمية، وجعلت من القطاع الصناعي العام عالة على الدولة يستنزف ميزانيتها بدلا من ان يساهم في تطور البلاد الاقتصادي، ويمد الدولة بموارد جديدة، ويؤمن لها قدرا من العملة الصعبة.

غير ان الظواهر العامة التي كانت سائدة في الميدانين الزراعي والصناعي، ظواهر الفساد والتواطؤ مع البرجوازية، ونشوء الفئات الطفيلية المستغلة، كانت سائدة في القطاع التجاري

العام ايضا، فلم تحقق سيطرة الدولة على جزء من القطاع وجعله خاضعا للمصالح الوطنية ومخططات التنمية، كما لم تحقق نتائج ايجابية ملموسة لصالح الجماهير باستثناء توفير بعض السلع الاساسية باسعار معقولة].

ويضيف سمير عبدالكريم عن عهد عبدالسلام محمد عارف قائلا: «كان نظام الردة التشرينية نموذجا صارخا لتسلط زمرة من الاستقراطية العسكرية اليمينية على البلاد، تلك الارستقراطية المنقطعة الجذور عن قاعدة الجيش وعن الشعب وعن حركته الوطنية، مما جعلها تستند استنادا مطلقا على العلائق العشائرية والطائفية والعائلية والشخصية ولاتجد من يتعاون معها غيرالانتهازيين والمتساقطين من الحركة الوطنية، وتحول الجهاز الاداري الى جهاز روتيني يتزعمه (مسؤولون) في النهب والسلب، فكثرت الاختلاسات والرشاوي».

ويؤكد الرئيس احمد حسن البكر رئيس الجمهورية في خطاب القاه في ١٩٧٠ بمناسبة ذكرى ثورة تموز قائلا عن عهد عبدالسلام محمد عارف: [وتحولت الدولة التشرينية ومؤسساتها الى اوكار لعناصر الردة ووجوه الرجعية واعوانها وعملاء المخابرات الاجنبية الذين احتلوا فيها مواقع قيادية، كانوا يوجهون من خلالها شؤون السياسة والجيش والاقتصاد بشكل مباشر او غير مباشر].

ويعود سمير عبدالكريم في كتابه آنف الذكر ليقول: «وباختصار فان حكم عبدالسلام عارف كان حجر عثرة لابد من ازالتها، لكي يكون العراق في المكان الملائم من حركة التحرر الوطني والقومي، لان وجوده صار خطرا يهدد أمن وامال الجماهير، فالحكم المرتعد امام الشركات الاحتكارية والملتقي جوهريا مع التخطيط الرجعي الاستعماري، والذي تتراوح عناصره بين الامين والطارئين السراق، من الخطورة بمكان ان يبقى في موقع التأثير في حياة الجماهير وصنع مستقبلها، لذا كان لابد من ازاحة هذا الحكم وتصفيته..]!!

وشنت صحيفة (الرقيب) السرية التي تصدرها الرابطة القومية في العراق - والتي يتزعمها عدنان الراوي والدكتور هشام الشاوي - حملة قاسية ضد نظام الرئيس عبدالسلام محمد عارف في عددها (الاول - السنة السادسة) الصادر في شباط ١٩٦٦ - اي قبيل مصرع عبدالسلام محمد عارف بشهرين، فكتبت تقول حول بيان القيادة السياسية الموحدة: «وهكذا لعب الحكم في العراق بعد ان شهر افلاسه التام، ورقته الاخيرة، فكانت فشلا ذريعا، بعد ان حلق بتوقعات السذج الى القمم. جاء الهبوط الى القعر مرة اخرى بذلك البيان (العتيد). ويتضح الان للجميع بان القاهرة لاتريد، ولايمكن ان تتوقع، وحدة حقيقية مع حكم رجعي مزيف، اخذ العملاء بزمام الامور فيه، كهذا الحكم في العراق. اما تأييد القاهرة لوحدة التراب العراقية، وبشجبها لتمرد الخونة الانفصاليين في الشمال، فهو ليس بجديد ولابكثير على القاهرة، وهو موقف عام تمليه الاعتبارات القومية، لا الرغبة فيه اسناد حكم بغداد. وكان رائعا ان تشجب الاحلاف والتكتلات الاستعمارية بصراحة وقوة. ونحن على ثقة بان القاهرة كانت ترغب في ذلك. غير ان المفاوض العراقي اصرَّ كما يبدو على صياغة النص بشكل قابل لتفسيرات عديدة، فجاءت الفقرة الثامنة من البيان ضعيفه جدا، واكتفت بالاشارة الى «التمسك بسياسة عدم الانحياز ورفض الاحلاف والتكتلات» دون اي تحديد، وعليه بامكان (العباقرة) في بغداد ان

يجدوا تعليلا لارتباطهم بحلف اسلامي ديني صرف، حسبما يدعون لايتناقض مع هذا الالتزام، خاصة وان الفقرة التاسعة التي اضيفت بالحاح من الجانب العراقي تقول: «تأييد الخطوات التي اتخذها العراق لتوثيق علاقاته بالدول المجاورة له». اما طبيعة هذه الخطوات، والغاية المرجوة من سفرة عدنان الباجه‌جي الى تركيا والاتصالات مع الكويت وايران، فهذا مالايعلن عنه، ويبقى طي الكتمان...

وختمت صحيفة (الرقيب) السرية كلمتها قائلة: «حكم العراق قائم على التزييف.. اننا لانستغرب هذه الصياغة. اما وتلعب ورقته الاخيرة، وكانت فشلا كاملا. فلينتظر اذن نهايته المحتومة»!

وهاجمت هذه الصحيفة السرية - الموالية للرئيس جمال عبدالناصر - في نفس هذا العدد الرئيس عبدالسلام محمد عارف هجوما شديدا، كما هاجمت وزراءه واعوانه كذلك..

فقد كتبت تحت عنوان (الغاز واحداث واخبار) تقول:

* الرجل الصغير في الكرسي الكبير.. ملهاة العراق المحزنة. لاندري: انبكي من فرط الضحك، أم من شدة الالم؟!.. ياعلماء النفس والاجتماع: كيف تفسرون هذه الظاهرة؟!.. اراذل الناس فوق القمم.. في بلد العروبة والانفة والرجولة.

* ذلك الذي يستقبل العمال الكادحين متربعا على عرش كبير، الا يثير الشفقة؟... قاتل الله الحرمان!

* ذلك الذي يتحدث عن غيبوبة ونبؤات.. الا يفضح ضحالته؟!... قاتل الله الجهل!

* تتجاوب في انحاء قصر كبير، اصداء لاقوال بذيئة، والدار باهلها لابجدرانها العالية!

* سياسة الحكم اتجاه الاعتداءات الايرانية، فضيحة ومذلة كبرى.. أسود على شعبهم، وفئران امام الاعاجم!

* اجمعت المنظمات والكتل القومية في العراق على ادانة الحكم القائم برمته، وكانت بياناتها صريحة وعديدة.

* عاد حاكم العراق، في عزلته الرهيبة، الى ورقة الوحدة يلعبها مرة اخرى، ولن ينجح في ذلك مطلقا. جميع الجهات المعنية تعرف زيف نواياه وباطل غاياته، ضعوا المتاجرة جانبا فانها لن تخدع احدا بعد اليوم، واسقطوا القناع اذا كنتم رجالا؟!

* يقول العارفون ان بيان الاخوان المسلمين الاخير، الذي تطاولوا فيه بذلك الاسلوب الرخيص على السيد الرئيس جمال عبدالناصر والجمهورية العربية المتحدة تفوح منه رائحة من يدعي بانه (بديع) و (شريف).. ويعرف الجميع انه وزع علنا في كل مكان، ولم تحرك السلطات ساكنا..!!

* اضيف الى الراتب الضخم الذي يتقاضاه رئيس الجمهورية مخصصات لسائق وخادم..!!

* وزارة البزاز، في رأينا الا فرع فاسد عميل لاصل فاسد عميل، شعب العراق غني عن الاستشهاد بنصوص المواثيق لأدانته. ان وراء وزارة البزاز. حكما عميلا رجعيا فاسدا، وخلاص العراق قمين باسقاط هذا الحكم برمته لابتغير الوزارة فقط. الفرع يهلك بقطع الاصل، والاصل هو موطن الداء، ومصدر البلاء كله. اننا لانرجو من هذا الحكم اي خير. كلما اسرعنا بتقويضه كان ذلك اصلح للشعب والوطن]!!

لقد تميزت الاتجاهات السياسية الداخلية في العراق في عهد الرئيس عبدالسلام محمد عارف كما يقول مجيد خدوري - بما يلي:

اولا - تأكيد الحكم العسكري وبروز عبدالسلام محمد عارف الرجل القوي في النظام، الذي لم تكن لديه الرغبة، شأنه شأن عبدالكريم قاسم. في الاعتماد على الاحزاب السياسية فبينما اثار قاسم حزبا على اخر، امر عارف بحلها جميعها، واعتمد على مجموعة من الضباط الوحدويين.

ثانيا - تأكيد الوحدة العربية، كأساس لعلاقات العراق مع الدول العربية الاخرى، وعلى الاخص مصر التي ازداد انصارها السياسيون في البلاد بعد سقوط قاسم. وواصل عارف الذي نادى بوحدة العراق ومصر في سنة ١٩٥٨ الدعوة للوحدة كسياسة رسمية لنظام حكمه. ولكن الوحدة السياسية ظلت من الناحية العملية بعيدة عن التنفيذ، كما كانت في اي وقت مضى. غير ان سياسة العراق الخارجية كانت تسير حتما في ركاب مصر. وقد أيد عارف علنا جمال عبدالناصر في مؤتمرات القمة العربية وفي المحافل الدولية.

ثالثا - على الرغم من ان عبدالناصر شدد على الاشتراكية والعلمانية ولم يذكر الاسلام الا على سبيل المجاملة، فان عبدالسلام عارف لم يبدِ باديء ذي بدء اهتماما بالاشتراكية. واكد بانه يستمد اراءه الاجتماعية والسياسية من الاسلام، لا من مصادر اجنبية. وظل حتى بعد ان استجاب للنفوذ المصري، وتبني الاشتراكية العربية في تموز (يوليو) سنة ١٩٦٤، يظهر تمسكه بالدين مؤكدا بان قاعدة الاشتراكية هي الاسلام.

* *

كان عبدالسلام محمد عارف.. كما مر بنا- قد ترعرع في منطقة الكرخ، المعروفة باصالتها القومية ونزعتها العربية وبحبها للتقاليد الشعبية الموروثة، وفي محلة من محلاتها الشعبية الصميمة، وفي عائلة عربية تنتسب الى عشيرة «الجُميلة».

وكان عبدالسلام محمد عارف شقيا (وكيحاً) في طفولته، ويتحدث لنا احد زملائه في طفولته فيقول «انه كان كثير الحركة، ومرة كنا نلعب في احد درابين (ازقة) الكرخ كرة قدم، فمرت قطة (بزونة) بالقرب منا فلحقها عبدالسلام - وكان على عداوه مع البزازين - واراد ضربها، وكان بالقرب منه «صباغ عبي» يغلي قدره الذي يصبغ به العبي (جمع عباءة) فتعثر به - وانسكب ماء القدر المغلي على قدمه اليسرى فانسلخ الجلد، وعولج من قبل احد المضمدين غير ان اثار السلخ ظلت باقية الى الاخير!!

ولكن عندما ولج مرحلة الشباب، كان يبدو عليه انه اكبر من عمره في التصرفات السلوكية ولايرتضي العبث مع الاخرين فتراه جادا في اكثر الاحايين، ولكن حين تحضره النكتة، كان لايدعها تفلت منه مهما كانت الظروف!!

وبعدما تخرج في الكلية العسكرية، كان لايحلو له الا الجلوس في دكان لبيع السكائر لصاحبه السيد محمد العمر (موقعه كان على سكة الترام في محلة التكارته) بالكرخ ويجلس هناك ساعات فراغه، عندما لايكون لديه واجب عسكري - يساعد صاحب الدكان في (تزيين) السكائر. وكان اغلب معارفه واصدقائه حينما يحتاجون اليه في شيء، يجدونه جالسا هناك.

وفي ١٨ شباط ١٩٤٥ عقد الملازم الاول عبدالسلام محمد عارف قرانه على «ناهدة» ابنة حسين فريد الرِّيس - وهي من مواليد الاول من اذار ١٩٢٤ - اي تصغره بثلاث سنوات!

وفي ٨ اذار ١٩٤٥ جرت حفلة زفافه واقيمت الافراح بهذه المناسبة.

وانجب عبدالسلام محمد عارف سبعة اولاد ، ثلاثة ذكور واربع بنات. وهم حسب تسلسل ولادتهم:

١- وفاء.. ولدت في ٧ اذار ١٩٤٧ - وقد تزوجت بعدئذ من ابن عمها صلاح عبدالسميع.

٢- سناء.. ولدت في ٢٦ كانون الاول ١٩٥٠، وقد تزوجت من الدكتور وميض القادري.

٤- احمد.. ولد في ٦ نيسان ١٩٥٣، وقد تزوج من سيدة سورية، ويقيم حاليا في (ابوظبي) بالخليج العربي.

٥- جلاء.. ولدت في ١٩٥٦ - وهي غير متزوجة.

٦- محمد ومحمود (توأمان) ولدا في ١٩٥٨ - توفي محمد في ١٩٨٣/١٠/٦ منتحرا. اما محمود فانه يحمل شهادة (دكتوراه) بالطب البشري، ويقيم حاليا في (ابو ظبي).

وقد سئل مرة عبدالسلام محمد عارف عن اسلوبه في تربية اولاده، فقال «نفس الاسلوب الذي نشأت عليه، وهو التمسك باهداب الدين الحنيف،، وعندما يشب الولد منهم اترك له حرية اختيار الطريق الذي يريده دون اي تدخل من جانبي الا بالقدر الذي تحتمه ابوتي، وهو مجرد النصح والتوجيه..

واستطرد قائلا: «وهكذا عندما طلب ولدي ان يكون طياراً، وافقته وشجعته، وهكذا فعلت مع الاخرين اللذين اختارا ان يكونا ضابطين ليسهما في الدفاع عن الوطن».

اشترى الرئيس (النقيب) عبدالسلام محمد عارف قطعة ارض تقع بالقرب من المقبرة الملكية في الاعظمية. وابتدأ ببناء دار له في الاول من شهر تشرين الاول ١٩٤٩. وفي ١٥ كانون الاول ١٩٤٩ اتم بناءها. وانتقل اليها في نفس اليوم. وقد حمل هذا المسكن رقم ٢٤/٩/ هيبة خاتون.

وفي عام ١٩٦٢ - في عهد عبدالكريم قاسم - حصل على دار في منطقة زيونة، المشيدة من قبل جمعية بناء المساكن للضباط، ولم يسكن هذه الدار، بل عرضها للايجار.

وفي اواخر ايامه سكن وعائلته في دار تعود الى (آل الذكير) يقع بالقرب من القصر الجمهوري ، على نهر دجلة.

كانت أكلته المفضلة (البامية البايته)، يفطر عليها في اليوم التالي مع (الثريد)!

وكان يخلط الشاي مع الحليب، ولايشرب الشاي لوحده الا اضطرارا. ويحتفظ بالشاي والحليب في (ترمس) في الثلاجة، ويشربه باردا مثلجا بعد ان يصحو من قيلولته بعد الظهر.

وكان من المغرمين بالاكلة الشعبية المعروفة (الباچة)، وكان يأكلها دائما عند الباجه‌جي الشهير (ابن طوبان) الذي يقع مطعمه بالقرب من مسكنهم القديم في الكرخ.

كما كان من الذين (يحلّون) بعد الاكل - اي يأكل الحلويات بعد وجبة الطعام - وكان يحب (البقلاوة) الموصلية.

كان يهوى فن التصوير الفوتغرافي . . . وضمت صوره البومات عديدة لمراحل حياته وعائلته.

لم يذق المسكرات طيلة حياته. . ولم يدخن الا نادرا.

كان انيقا في ملبسه، ويفضل الملابس ذات اللون الرصاصي، او الغامقة. وعندما اصابه الهزال في اواخر ايامه، كان يفضل البدلات المخططة طولا.

كان يؤمن بان (الاحلام) قد تكون صادقة عند (البعض)، وانه كان يردد دائما مع اصدقائه واقربائه بان جميع (احلامه) قد صدقت، ويستشهد بالاخرين الذين كان يقصها عليهم.

وعشية يوم سفره الى البصرة، في جولته الاخيرة، قال لزوجته وابنته الكبرى بانه رأى في (الحلم) ما ازعجه، وانه ربما لايعود اليهم!!

كان كريما سخيا، اذ كان يساعد الفقراء من اقاربه وابناء محلته القدامى. . ويذكر اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب، وهو من المقربين منه حتى لحظاته الاخيرة: ان عبدالسلام محمد عارف كان نزيها الى ابعد الحدود، يعيش براتبه الرسمي، واضيف الى ذلك انه عندما كان يقبض راتبه يتصل بي هاتفيا قائلا: «عندك وقت نذهب في جولة روحانية» فافهم مقصده، فهو يريد بهذا التعبير الذهاب الى عماته الساكنات في الاعظمية وتقديم ٥٠دينار لكل واحدة منهن.

وكنت على صلة بوالده الحاج محمد عارف، ازوره ويزورني، وقد زرته يوما، ولم اكن ادري ان الرئيس عبدالسلام موجود في دار ابيه، واذا به يحمل الشاي وهو يقدمه لي، لان والده ليس لديه خادم يخدمه في الدار!

وكنت مطلعا على دواخله كثيرا، فما وجدت عليه - شهدالله - مايمس في خلقه، وذمته، وسلوكه شيئا].

وفي منتصف الشهر الثالث من عام ١٩٦٤ وزع ديوان رئاسة الجمهورية نشرة عن سيرة (رئيس الجمهورية المشير الركن عبدالسلام محمد عارف). وقد جاء في الفقرة (١٣) منها ذكر (صفاته العامة) بما يلي:

«اسمر اللون ، اسود العينين، قوي البنية، معتدل القوام، متزوج وله سبعة اطفال، قوي الارادة والقيادة والشخصية. محبوب من اقرانه واتباعه، يوثق به ويعتمد عليه ويتحمل المسؤولية بدرجة كبيرة. يتفاني في اداء واجبه بكل اخلاص. كتوم ومبدع. ذهنية وقادة. صريح جدا. طيب القلب والسريرة. طابعه الشجاعة والوفاء وكرم النفس. معلوماته العامة واسعة جدا. وبارز في الفنون والعلوم العسكرية. ميال جدا وشغوف بالمطالعة والتتبع والدراسة، لاسيما في القضايا السياسية والاجتماعية والادبية. يعرف الناس معرفة حقه،مؤمن بالله اشد الايمان. قوميته دعامتها الاسلام. له شعبية كبيرة في بلده بصورة خاصة، والبلاد العربية والاسلامية بصورة عامة].

وقيل في حينه، ان هذه (الصفات) التي اسبغت على الرئيس عبدالسلام محمد عارف كان قد كتبها الدكتور محمد بديع شريف، رئيس ديوان رئاسة الجمهورية. وان عبدالسلام اضاف عليها بعض العبارات!!

كان يبدو على الرئيس عبدالسلام محمد عارف ان تصرفاته تتسم - احيانا - بالتناقض، فكان اذا جلس في غرفته بالقصر الجمهوري مستقبلا (شخصية) من رجال الدولة، او (ضيفا) رسميا، ترتسم على محياه الجدية الصارمة..!!

واذا كان خارج الدوام الرسمي، او بعيدا عن (الرسميات) فعندئذ تظهر روحه المرحة، وتنطلق على لسانه (القفشات) و(النكت) ويضحك من كل قلبه!

فكان المقربون والمحيطون به يعرفون ذلك جيدا. فتراهم جادين في رسمياتهم، مرحين في خصوصياتهم خارج اوقات الدوام!!

ويحكي هؤلاء قصصا وطرائف عن عبدالسلام محمد عارف لايمكن عدَّها او أحصائها.. او حتى ذكر بعضها..!

ففي الايام الاولى - بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ - كان العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف يخطب في الجماهير باسلوب العامة، وباللهجة البغدادية المعروفة!.

فنسمعه في خطبه في المعسكرات يستهل كلامه بـ «السلام عليكم ابو خليل» [في العراق يسمون «الجندي» بـ «ابو خليل»، و«الشرطي» بـ «ابو اسماعيل»].

واطلق في كثير من خطبه شعارات جديدة - لاربط بينها، ولاتهدف الى مفاهيم معينة. فتارة يقول: «ان جمهوريتنا اشتراكية، وطنية، الآهية، خاكية..» وتارة اخرى:

«لاقصور، ولادور، لاحاكم ولامحكوم، لاأحزاب، لاكتل، امة واحدة وحزب واحد» «لاشرقية ولاغربية، لاجنوبية ولاشمالية، لاجوني ولاجون بول، وانما حمدو حمود»، «لااقطاع بعد اليوم، لاقصور، لاثلاجات، لاتلفزيونات». «لاتفاوت، لاطبقات، ولاجلالات، وفخامات بل حرية وعدل ومساواة».

وقد سببت هذه الخطب للعقيد الركن عبدالسلام محمد عارف ردود فعل لدى الجماهير وكانت سببا مهما في التألب عليه والتنديد به، وبالتالي ابعاده عن المسرح العسكري والسياسي.

وظلت هذه العادة مستحكمة به، ولو بصورة اقل - عندما اصبح رئيسا للجمهورية - فقد قال في احدى خطبه في معسكر في «رانيه» عندما طلب الضباط والجنود ان يحدثهم ويلقي كلمة فيهم، قال ضاحكا: «شأحجي - البامية انقلبت شيخ محشي».

ويروي لنا عبدالرحمن فوزي - احد كبار موظفي الاذاعة والتلفزيون في عهد الرئيس عبدالسلام محمد عارف «ان الدكتور محمد بديع شريف رئيس ديوان رئاسة الجمهورية كان يؤكد عليه دائما بحذف كثير من الكلمات من خطب الرئيس عبدالسلام التي يلقيها في مناسبات مختلفة.

ويقول عبدالرحمن فوزي انه كان يعمل «مونتاج» على الخطب التي يطلق فيها الرئيس عبدالسلام الكلام على سجيته، من دون الاخذ بالاعتبارات الدبلوماسية والدولية، لاسيما تلك التي «ينكت» فيها!!

ومرة تناول الرئيس عبدالسلام في خطبة له احد رؤساء الدول واخذ يسبه ويشتمه، «وينكت» عليه قائلا:

- بشرفكم ياجماعة مو «صاحبنا» شكله يشبه الثور؟!

ويقول عبدالرحمن فوزي، ان الشريط المسجل عليه تلك الخطبة كان قد وصل الى دار الاذاعة، لاذاعته. . غير ان سكرتير رئاسة الجمهورية عبدالله مجيد حضر بنفسه، وطلب شطب تلك الجمل من ذلك الشريط. مما اضطررنا الى حذف نصف الشريط، وابقينا على مايصلح منه للاذاعة ، ولايسبب الاحراج!

ويروي المصور الشهير السيد جان صاحب ستوديو (بابل) ، ان عبدالسلام محمد عارف كان يعتبر الاقدم في قائمة الضباط الذين خبأ لهم القدر موقعا خطيرا في العراق، ودأبوا على زيارته في محله بشارع الرشيد في بغداد، بل ان عبدالسلام صار زبونا له مذ كان ضابطا برتبة ملازم في الجيش العراقي. وقد وثق له قرانه بقرينته يومذاك بصورة ، ثم استمرت علاقته به حتى بعد تموز ١٩٥٨ . .

«كان عبدالسلام كثير التردد على المحل، وبعبارة اخرى كان احد زبائني القدامى، ومن نتائج اعتياده على زيارتي، فأنه كان يلتقط صوره الرسمية إبان حكم البلاد في المحل. وقد سبق لي ان قلت انني لم التقط صورة شخصية لمسؤول خارج الاستديو».

ومن المفارقات التي صادفها (جان) مع عبدالسلام، انه احسَّ ذات مرة ان عبدالسلام كان ضجرا، فسأله:

- خير . . سيدي. . ؟!

فاجابه عبدالسلام: والله ياجان ان القيام بانقلاب عسكري عندي اسهل من التقاط صورة.

وتروي لنا السيدة وفاء عبدالسلام محمد عارف، ان والدها - عندما كان رئيسا للجمهورية اختلف مع والدتها في امر من الامور «فجاء جدي، أبو والدتي، وطلب من امي ان تذهب معه الى بيته، وعندما هم جدي الخروج من البيت تصحبه والدتي ، التفت والدي نحوه وقال:

- والله ياعمي. . راح اركب الدبابة واجي لبيتكم واخذ مرتي منك».

وتروى «نكت» عديدة عن عبدالسلام محمد عارف، لاسيما تلك التي تمس الامور السياسية. .

فعندما قدم الامير البدر ابن الامام يحيى امام اليمن الى بغداد اصطحبه عبدالسلام الى جامع الامام الاعظم لاداء صلاة الجمعة.

وبعد خطبة الجمعة، اعتلى عبدالسلام المنبر والقى كلمة طويلة تحدث فيها عن الثورة التي اطاحت بالنظام الملكي في العراق، واستشهد بالاية الكريمة: «ان الملوك اذ دخلوا قرية افسدوها، وجعلوا اعزة اهلها اذلة».

وقيل في حينه، ان الامير البدر الذي ينتسب الى العائلة المالكة في اليمن قد امتعض من ذلك الخطاب، الذي اصبح موضوع تندر لدى الجماهير!

ويروي لنا الدكتور رؤوف نجم الدين الواعظ، المستشار الصحفي في السفارة العراقية بالقاهرة؛ انه عندما عاد الوفد العراقي من زيارة السد العالي باسوان بعد افتتاحه. كنا نحن

اعضاء السفارة العراقية في القاهرة بتوديعه في مطار القاهرة الدولي. وكان «خروشوف» و «ابن بيللا» و «جمال عبدالناصر» و «عبدالله السلال» واقفين في المطار..

وجه «ابن بيللا» دعوة رسمية الى «خروشوف» لزيارة الجزائر، (نظرا لمواقف الاتحاد السوفياتي المؤيدة لنضال الامة العربية ومناصرة ثورة الجزائر)، فرحب «خروشوف» بهذه الدعوة « وانه سيقرر موعدها بعد ذلك».

وهنا التفت الرئيس عبدالسلام - الذي كان متواجدا ايضا ويقف بالقرب من الرئيس الجزائري «ابن بيلا» قائلا للمترجم ضاحكا:

- قل له.. لو تموت ماتشوف بغداد..

وعندما قام المترجم بترجمة هذه الكلمات التي تفوه بها الرئيس عبدالسلام محمد عارف، احتقن وجه «خروشوف»، ونظر الى الزعماء العرب الواقفين، ثم انفجر ضاحكا وقال:

- انتو العرب.. مكارين!

ويروي لنا احمد الحبوبي - احد وزراء الرئيس عبدالسلام محمد عارف - انه عندما استقال هو وبعض زملائه من الوزارة، قال له عبدالسلام:

- هاي الكفخة جتكم من عمكم من القاهرة؛ (ويقصد الرئيس جمال عبدالناصر)

وعند عودتي من القاهرة في شباط ١٩٦٤ مع رشيد عالي الكيلاني في نفس الطائرة وبعد لجوئنا السياسي في الجمهورية العربية المتحدة والعودة الى الوطن، بعد غياب خمس سنوات، استقبلني الرئيس عبدالسلام محمد عارف في مكتبه برئاسة الجمهورية، فابتدرني قائلا:

- يابه.. شسويتوا هناك.. كلها قضيتوها بالونسة والراحة؟!

فاجبته فورا:

- ياسيادة الرئيس.. اذا كنتم قد حاربتم نظام عبدالكريم قاسم بالرشاشات والدبابات.. فنحن هناك في القاهرة - حاربناه بالكلمة والقلم.

فضحك وقال:

- هاي.. غلبتني بيها!

وكان عبدالسلام محمد عارف لايتورع قبيل ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ من التلميح بالثورة في المناسبات..

فعندما تعرض الحاج نجم الدين الواعظ - وكان مفتيا للديار العراقية - لحادثة اغتيال بالقرب من صيدلية سامي سعدالدين القديمة المقابلة للمتحف البغدادي عند جسر المأمون من قبل احد الاشخاص قبيل تموز ١٩٥٨ باسابيع، زاره العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف في داره الواقعة في شارع الضباط بالاعظمية، وجرى الحديث بينهما، وتواصل حول الاوضاع الراهنة انذاك في العراق، وفساد الحكم والتسيب في اجهزة الامن والشرطة، وامكان القيام الثورة في العراق على غرار ثورة يوليو في مصر. وهنا انبرى الحاج الواعظ متهكما بعدم القدرة على قيام مثل تلك الثورة، «لان ماكو رجال بالعراق»!

فاجابه عبدالسلام متحمسا: لاعمي.. اكو رجال بالعراق.. وراح تسمع قريبا شلون يسوون ثورة!

ولذلك سارع عبدالسلام محمد عارف بعد نجاح ثورة تموز الى زيارة الحاج نجم الدين الواعظ، فقال له باغتباط:

- هل صدقتني ياعمي.. انه اكو رجال في العراق.. وشفت اشسوينا!

ويروي لنا الدكتور صباح العزاوي انه شاهد العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف في ساحة الشهداء بالكرخ بالقرب من جامع حنان، وقد اخرج رأسه من سيارته في يوم ١٥ تموز ١٩٥٨ وصاح بأحد الاشخاص السائرين على الرصيف بأعلى صوته قائلاً:

- لك، (فلان) شفت شلون كلبناها (أرأيت كيف قلبناها)..

ومضى في سيارته.. وتركنا مشدوهين!

ويروي عن الرئيس عبدالسلام محمد عارف انه كان كثيرا ماينكت في خطبه التي يلقيها على جماهير المحافظات ويستعمل الامثلة والهوسات الشعبية.

ففي اثناء زيارته لناحية (الشوملي) بمحافظة بابل ارتجل احد الشعراء الشعبيين قصيدة مرحبا بالرئيس عبدالسلام، وعارضا بعض مطالب اهالي الشوملي، ومنها طلب ان تباشر الجمعية التعاونية في المنطقة بتوزيع الاراضي على المستحقين وبانشاء جسر، وتبليط طريق الشوملي.

وبعد ان انتهى الشاعر الشعبي من قصيدته. رد الرئيس عبدالسلام عليه، بانه سيطلب الى الجمعية ان تباشر بتوزيع الاراضي، وسيكلف المسئولين باقامة جسر. اما عن تبليط طريق الشوملي، فقال هازجا: «الشوملي، الشوملي، ناركم، ولاجنة هلي»

وفي خطاب القاه الرئيس عبدالسلام محمد عارف عند زيارته مدينة «الرمادي» على جماهيرها المحتشدة، استهل ذلك الخطاب قائلا:

- يا أهل الرمادي.. يامن ذررتم الرماد في عيون الاعادي..

وضج الجميع بالتصفيق والضحك والاستحسان!

وفي خطاب اخر القاه في مدينة البصرة، استهل الرئيس عبدالسلام محمد عارف كلمته التي القاها في الجماهير المتحشدة التي جاءت لاستقباله وتحيته، قائلا:

- يا أهل البصرة.. يامن زرعتم نومي بصره، اشكركم وارحب بكم، وارجو ان تقدموا لي بعد خطابي هذا شاي نومي بصرة..!

ثم قال ايضا متحدثا عن مدينة البصرة، فوصفها بانها «طاسه ابطن طاسه، بالبحر رقاصة»! فضحك الجميع، وضجوا بالتصفيق وصفير الاستحسان!!

وفي آخر خطاب له القاه في مدينة (القرنة) قبيل مصرعه في الطائرة بمدة وجيزة، قال تعقيبا على احد خطباء الاحتفال الكبير الذي اقيم له في ساحة البلدية، الذي كان قد طالب بتخفيض (المهور) لكي يتمكن الشباب من الزواج وتكوين اسر عراقية:

- نذرا عليّ يأهل القرنة.. لو الله مدّ بعمري، لازوجكم جميعا ، لتنجبون للوطن صبيان وبنات، ولنفتخر بكم يوم القيامة.

وصفق الجميع له، هاتفين بحياته، ومتمنين ان تحقق امنياتهم.

* *

كنت قد اجريت حوارا في ضحى يوم ١٥ شباط ١٩٦٤ - اثر عودتي من القاهرة، بعد غياب دام مايقرب من خمس سنوات، والفت العديد من الكتب هناك تناولت احداث العراق السياسية - مع الرئيس عبدالسلام محمد عارف في مقره برئاسة الجمهورية في القصر الجمهوري.

وبدأ الحوار معه تقليديا: اين.. ومتى ولدت؟.. ماهي المدارس التي تخرجت فيها..؟ ومتى تزوجت.. وكم ولدا انجبت؟ وماذا تتمنى لمستقبل اولادك؟!

قلت له: ماهي اهم الكتب التي اثرت في حياتك؟!

اجاب: كتاب (حياة محمد) للدكتور محمد حسين هيكل. وكتاب (حياة نابليون). وكتب مصطفى صادق الرافعي. وسلسلة (الفكر) الاوربية للدكتور احمد بدوي، واهمها كتاب (نيتشه). وسيرة الخلفاء الراشدين. ومجلة (الرسالة). ومؤلفات الاستاذ احمد حسن الزيات. وتفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت. ومؤلفات الشيخ شلتوت (شيخ الأزهر) وجمهورية افلاطون والكتب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحديثة. ومقدمة ابن خلدون.

وسألته: ماهي اهم الشخصيات التاريخية التي اثرت في حياتك؟

اجاب: الرسول صلى الله عليه وسلم. والخلفاء الراشدون. نابليون،خالد بن الوليد،عمر بن عبدالعزيز. عبدالرحمن الداخل. ابو جعفر المنصور. جمال الدين الافغاني. وصلاح الدين الايوبي.

سألته: ماهي اهم الشخصيات المعاصرة التي تأثرت بها؟

اجاب: غاندي. نهرو. ديفاليرا. اتاتورك. ديكول. تشرشل. روزفلت. وجمال عبدالناصر.

سألته: ماهي اهم الاحداث العربية التي اثرت في حياتك؟

اجاب: نكبة فلسطين. الوحدة مابين سوريا ومصر. الانفصال مابين سوريا ومصر. ثورة الجزائر. ثورة ٢٣ يوليو. ومؤتمر القمة العربي سنة ١٩٦٤. ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣.

سألته: ماهي اهم الاحداث العالمية التي اثرت في حياتك؟

اجاب: الحرب العالمية الثانية. اختراع القنبلة الذرية ، اختراع القنبلة الهيدروجينية. رجل الفضاء. مؤتمر باندونك. التضامن الاسيوي الافريقي. نشوء فكرة الحياد وقيام مؤتمرات الحياد وعدم الانحياز.

سألته؛ من هم الاشخاص الذين اثروا في حياتك تأثيرا مباشرا وبصلة حية؟

اجاب: الوالد الحاج محمد عارف. عبدالكريم قاسم لانه غيّر مجرى تاريخ حياتي منذ الرابع من تشرين الثاني ١٩٥٨ بايداعي الى السجن والاحكام التي بعدها.

سألته: ماهي اشد ازمة مررت بها في طفولتك؟

اجاب: مابين الخامسة والسادسة سكب على رجلي قدر ماء كبير يغلي اشد الغليان كاد ان يؤدي بحياتي، لولا قدرة الباري حيث اقعدني الحادث اكثر من سنة.

سألته: ماهي اشد ازمة مررت بها في حياتك خلال العمل العربي؟

اجاب: نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨. نكبة الانفصال مابين سوريا والجمهورية العربية المتحدة.

سألته: ماهي مشاعرك ليلة الحكم عليك بالاعدام من قبل عبدالكريم قاسم الذي كان زميلا لك لفترة ما في العمل؟

اجاب: قلت انا الله وانا اليه راجعون، وكنت مؤمنا اشد الايمان بالله وهو الذي ينقذني في احلك الازمات. وكلما تأسفت على تغيير الامور عن الخطة التي وضعت اليها، والانحراف القاسمي الشعوبي الدكتاتوري. وبطبيعة الحال تأسفت على خيانة الزمالة، وخيانة المواثيق والايمان.

سألته: ماهي احاسيسك وانت في السجن الانفرادي؟

اجاب: كنت صابرا مؤمنا وصابرا على الايام، ولكنني كنت متأكداً كل التأكيد من ان النتيجة ستكون كما هي الان، وان رسائلي التي كنت ارسلها خفية من السجن تؤيد ذلك.

سألته: ماهي الكتب التي قرأتها خلال فترة سجنك؟

اجاب: منعت عني كافة الكتب لسنتين ونصف، حتى الصحف، ولااملك الا القرآن الكريم. ثم سمح لي بتفسير القرآن الكريم للطبري، وقبيل الافراج عني سمح لي ببعض القصص والصحف المحدودة جدا، وكانت تقطع في اكثر الاحيان، وقبل ان يفرج عني بخمسة عشر يوما سمح لي براديو ترانسستر. وحين ذلك قلت لمدير السجن: «هيأ الاسباب، سأخرج»، فاستغرب في حينه، ولكنني كنت اعرف لو لم يقرر كريم قاسم بنفسه اخراجي من السجن، لم يسمح بذلك، حيث اعرف اخلاقه اكثر من غيري.

سألته: كيف استطعت ان تلائم بين حياتك البيتية كزوج واب وبين تحركاتك السياسية المجهولة النتائج في بعض الاحيان؟

اجاب: الادارة في البيت قبل ١٤ تموز ١٩٥٨ عربية صرفة، وبطبيعة الحال كانوا يجهلون جميع ماكنت انوي القيام به. ولكن بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ ودخولي السجن اصبت بنكبة كبيرة اذ من الصعوبة بمكان ادارة العائلة وما اعانية سواء كان في سجني او مشاغلي الحالية. ومع ذلك نحن نوفق جهد الامكان بين تربية الاطفال وادارة الاسرة وماتتطلبه المسؤولية، ولكن الاخيرة طغت على امور العائلة التي قد لا اتفرغ لها في كثير من الاحيان.

سألته: ماهو احساسك عندما كنت تقدم على عمل ثوري يعرضك للموت او الاعدام؟!

اجاب: احساس شخص مؤمن بالله وبحق الشعب والامة عليه، فكنت متأكداً من النصر في كل الاحيان، ولا اهتم بالحياة بقدر الذرة.

سألته: ماهي الامنية التي تضرعت بها الى الله على قبر الرسول «ص»؟

اجاب: كل ماتمنيت به تحقق الان من القضاء على الخونة والاذناب والملحدين اي القاسميين الذين تعاونوا مع عبدالكريم قاسم وخانوا الامانة..

اهدافنا القومية والاسلامية بعضها تحقق والاخر ان شاءالله في دور التحقيق.

واما بالنسبة لي شخصيا لم اطلب سوى الغفران ورضاء الباري، وان يجعلني من عباده الصالحين، وان تكون اسرتي ، ومن معي على غرار ذلك، وان يتشفع لنا رسولنا الكريم عند ربنا.

سألته: ماهي مشاعرك تجاه غدر عبدالكريم قاسم بك بعد صداقة وعمل طويلين؟

اجاب: ليس لدي جواب الان على سؤالك هذا.

سألته: كيف استقبلت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢؟

اجاب: لاجواب.

ثم طرحت عليه الاسئلة التالية، فلم يجب عليها .. وهي:

س - كيف استقبلت حادث تأميم القناة؟

س - كيف استقبلت حادث العدوان الثلاثي الاثيم؟

س - ماهي عوامل الازمة الكردية في شمال الوطن برأيك؟

س - ماهو اسلم حل بالنسبة لاوضاع العراق الراهنة للازمة الكردية بنظرك؟

س - هل تحل الازمة الكردية على مستوى عراقي ام على مستوى عربي؟

س - ماهي اهم اعتراضك على الاساليب التي اتبعها عبدالكريم قاسم في حل هذه الازمة؟

وكان الرئيس عبدالسلام محمد عارف يرد على هذه الاسئلة التي طرحتها عليه بكلمة - لاجواب..

قلت له: ياسيادة الرئيس: لماذا لم تجبني على هذه الاسئلة .. هل هناك محظورا على مثل هذه الاسئلة.

اجاب ضاحكا: كلا.. ولكن بعدين اجاوبك عليها..!!

قلت: هل استمر في طرح الاسئلة.. أم نكتفي بذلك؟

اجاب: استمر.. ماكو مانع.

سألته: ماهي اهم المشكلات الاجتماعية التي يجب ان يوضع لها الحلول في عهدكم؟

اجاب: اهم مشكلة هي المشكلة الاخلاقية سواء كانوا القاسميين او الشيوعيين المحليين او غيرهم، كانوا يتصفون بالتفسخ الاخلاقي، فاهم شيء هو تقويم الاخلاق فرديا او داخل الاسرة او المجتمع.

• مشكلة الدين ، فهذه الفترة العصيبة بالاضافة الى الفترة الاستعمارية كان هؤلاء الخونة يحاربون الدين، بل يتأبطوا الالحاد، فلذلك لدينا مشاريع هامة لدرء المحاولات الفاشلة الفاسدة والرجوع الى الله. وديننا الحنيف الذي هو اساس حياتنا.

• الروح الشعوبية واللاقومية، فبفضل الاستعمار واعوانه، اضافة الى الفترة الحرجة لحين قيام ثورة ١٤ رمضان، ثم انحراف بعض القوميين باظهارهم اللافتات والشعارات الزائفة. وعليه لدينا الطرق المثلى للاهتمام بقوميتنا ووحدة امتنا وحدة قومية انسانية.

• النهج لجعل الشعب بتنظيم وشعور واحد للتوجه نحو الاهداف الحقيقية للامة وفي حركة عربية واحدة ولدينا الاسس للعمل بصحة وبدقة على انجاز ذلك.

* واما المشاكل الاجتماعية الاخرى فلها دراساتها الخاصة ، اسوة بباقي الامم المتمدنة واضعين لها انجع الحلول.

سألته: ماهي اهم التشريعات التي تنوي الحكومة اصدارها في القريب؟

اجاب: الدستور المؤقت ، وهو شامل ويحتوي على اسس لقوانين اخرى كالانتخابات والضمان الاجتماعي.

سألته: ماهي اهم المشاريع التي تنوي الحكومة القيام بها لقطع مسافة التخلف التي وقف عندها العراق بحكم الظروف القاسية التي مر بها العراق؟

اجاب: الحقيقة الحكومة مهتمة في امرين اثنين، بالاضافة الى واجبها نحو اهدافها القومية. اولا الامن والاستقرار. ثانيا انماء الحياة الاقتصادية وترتكز الحياة الاقتصادية على القطاعين الرئيسين: القطاع الزراعي والقطاع الصناعي. ونحن سائرون على احدث الاساليب العلمية والعملية لانجاز ذلك وفق مصلحة البلد.

وسألته: ماهي مشاعرك ليلة اتخاذ الامم المتحدة قرارا بتقسيم فلسطين.. واين كنت يوم ذاك؟..

وهنا قال الرئيس عبدالسلام محمد عارف باني لا اجيبك على هذا السؤال ايضا في الوقت الحاضر. وبعد ان شاء الله اجيبك عليه. ثم نظر الى الساعة المعلقة في الجدار المقابل لمكتبه وقال: سألقاك مرة اخرى في القريب.

وخرجت من مكتب رئيس الجمهورية عبدالسلام محمد عارف والاستغراب يحيط بي على عدم اجابته على تلك الاسئلة التي طرحتها عليه، والتي لاتقلق سياسة الدولة من قريب او بعيد - بل كان في اعتقادي وتصوري. ان اجابة رئيس الجمهورية عليها في تلك الفترة - سيكون فيه جانب قومي ووطني يدعم مواقفه السياسية!

وبعد ان اصبح مركز الرئيس عبدالسلام محمد عارف مأمونا تماما في الجيش في ايام حكمه الاخيرة - كما كان يعتقد - بعد تصفية الضباط المنافسين له، والقضاء على كتلة عارف عبدالرزاق، واقتناع جميع عناصر الجيش بان الحكم لن يتردد في الضرب بيد من حديد كل من يشتبه بعدم ولائه واخلاصه..

بدأ رئيس الجمهورية عبدالسلام محمد عارف العمل لكسب التأييد الشعبي لنظام حكمه وراح يتجول في البلاد، ويخطب في كل مدينة وقرية.

وفي الاسبوع الثاني من نيسان ١٩٦٦ بدأ عبدالسلام محمد عارف جولة في المحافظات الجنوبية.

فقد غادر بغداد صبيحة يوم ١٢ نيسان من مطار الرشيد على متن طائرة روسية من نوع (توبيلوف ١٢٤) متوجها الى البصرة ، بقيادة الرئيس الاول (الرائد) الطيار عدنان امين خاكي، يعاونه الرئيس (النقيب) الطيار طاهر صالح التكريتي والملازم الاول الطيار فؤاد القزاز والملاح الملازم الاول جعفر صادق الشكرجي. وكانت الطائرة تحمل رقم ٦٣٤.

ويروي لنا الرئيس الطيار (اللواء فيما بعد) طاهر التكريتي قائلا:

ان سفرتنا وطيراننا كان مريحا. فالطائرة روسية الصنع قد حورت الى كراسي مريحة والحقت

بالرف الجمهوري. وعند وصولنا الى مطار البصرة امرنا الرئيس عبدالسلام بان نعود بالطائرة الى بغداد، وقال: «ارجعوا الى بغداد، وعند عودتنا سنطلبكم، لتعودوا بنا ان شاء الله».

وفي ١٣ نيسان سافر من البصرة الى القرنة بالسيارة.

وفي القرنة حيث حُشد نفر كبير من الاهلين، القى خطابا طويلا في ملعب البلدية استمر الى مابعد غروب الشمس.

وحين عودته في طائرة هليوكوبتر، كان القدر له بالمرصاد، فسقطت الطائرة به وبمرافقيه في ارض النشوة، بالقرب من القرنة. محترقة بمن فيها،!

وهكذا.. انتهت حياة اول رئيس جمهورية في العراق..

وهكذا.. ذهب عبدالسلام محمد عارف مع الغابرين..

ولقي الموت - الذي كان لايهابه في كل مراحل حياته - في ابشع صوره!

وترحم عليه مناصروه ومؤيدوه وبكوه بكل جوارحهم..

اما الذين كانوا يناهضونه فقد انزاح من امامهم، ومن مسرح الاحداث، خصم عنيد جريء الى غير رجعة.

وقال خصومه عند مصرعه: «لقد صعد لحماً وهبط فحماً»!!

لقد استغرق حكم عبدالسلام محمد عارف رئيسا للجمهورية العراقية، ثلاث سنوات وشهرين وستة ايام.. اي ١١٦٢ يوما.

* *

وفي السادس من تشرين الثاني ١٩٨٠ وزعت مديرية التقاعد العامة على ورثة المشير الركن عبدالسلام محمد عارف (هوية اسر الشهداء) وتسلم كل وريث مستحق حصته من راتبه التقاعدي.

اما تركته فقد وزعت على الورثة - بعد بيع الدارين (مسكن الاعظمية ومسكن دور الضباط في زيونة) بمبلغ ٣٥ الف دينار. فنال ابناءه الذكور مبلغا لم يتجاوز الستة الاف دينار، بينما تناول الاناث مبلغا لايتجاوز الثلاث الاف دينار. وخمسة الاف كانت حصة زوجته!

* * *

محاكمتــــه!

وقف عبدالسلام محمد عارف في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت المصادف ٢٧ كانون الاول ١٩٥٨ ـ لاول مرة ـ في قفص الاتهام في المحكمة العسكرية العليا الخاصة التي يرأسها العقيد فاضل عباس المهداوي. وعضوية العقيد عبدالهادي محمد الراوي والعقيد فتاح سعيد الشالي والمقدم شاكر محمود السلام والرئيس الاول ابراهيم عباس اللامي.

وكان يمثل الادعاء العام العقيد ساجد محمد امين.

واعلن (المهداوي) ان محاكمة العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف ستكون جلساتها سرية.

وبعد ان وجهت الاسئلة التقليدية عن اسمه وعمره ومهنته ومحل سكناه وعن اسم محاميه... قال المهداوي:

ـ يتفضل الادعاء العام بالقاء الاتهام.

فوقف العقيد ماجد محمد امين ليلقي بيان الادعاء العام: ـ

سيادة الرئيس... اصحاب السيادة الاعضاء: يسرد الادعاء العام اليوم قصة مؤلمة لخيانة احد الضباط الاحرار الذي عمل تحت لواء الزعيم المنقذ عبدالكريم قاسم منذ سنة ١٩٥٦ حتى انبثاق فجر الثورة التحررية في يوم ١٤ تموز الخالد. ولما ظهر الحق واشرقت شمس الجمهورية الديمقراطية الفتية وعلا صوت الشعب العراقي بعربه واكراده بانت النفوس على حقيقتها. واذا بعبدالسلام السائر خلف زعيم الضباط الاحرار بالامس يتآمر على قتل زعيم الثورة اليوم ويقف بجانب الاستعمار وادعياء القومية المزيفة والطامعين فينا صفا واحدا.. ولم تمض بعد اربعة ايام من عمر الثورة المباركة فكأنه كان معهم على موعد لخيانة الثورة وقائدها والشعب العراقي الحر الكريم.

يقول زعيمنا الشعبي الجرىء عبدالكريم قاسم.. (انني لست وحدي هذا اليوم انما انا معكم وانتم معي وانا مع الشعب والشعب مني وانا منه) بهذا الايمان ياسيادة الرئيس الايمان بالشعب عمل الزعيم الحبيب قبل اكثر من عشرين عاما بكتمان وحذر وحكمة واخلاص.

ومن اجل هذا الشعب حمل رسالة الثورة ونادى بها وصمم خططها وضحى في سبيلها بحياته براحته بزهرة شبابه بصحته يفكر بالشعب وبمصير الشعب يحس بأحساسه ويتألم لآلامه ويفرح لافراحه وكان طيلة هذه الاعوام الطوال لم يهدأ له بال ولم يستقر على حال مادام الاستعمار وعبيد الاستعمار يتحكمون بمصير بلده العزيز عليه وينهبون ثروات شعبه ويزجون بابنائه المواطنين الاشراف في غياهب السجون والمعتقلات.

لم يهدأ له بال.. حتى انقض كالصاعقة ليلة ١٤ تموز بلوائي مشاة على وكر المؤامرات والدسائس ومعقد الاحلاف العسكرية العدوانية وبؤرة الظلم والفساد.. وكر الاستعمار.. وكر عبدالاله وفيصل ونوري السعيد.

ولم تمض ساعات قليلة من صباح ١٤ تموز الاغر واذا بالكيان الاستعماري الدنس ينهار على رؤوس الخونة واذا بالشعب يستجيب لنداء زعيمه الاوحد وينطلق كالمارد الجبار من السجن الكبير وراء سجانيه يفتش عنهم كل شبر من ارض الوطن العزيز حتى قضى الشعب والجيش على رؤوس الخيانة في الحال ودفع بالباقي الى السجون وظل يتعقب الذيول ولايزال لهم بالمرصاد.. فكانت الايام الاولى من الثورة حربا مقدسة بين الشعب من جهة وبين الاستعمار والجواسيس والاذناب من جهة اخرى... بين الحق والظلم.. بين الحرية والعبودية.. بين النور والظلام..

قضاة الشعب.. كان من مكاسب تلك الثورة العظيمة وحدة الشعب وتكاتف وتضامن كافة المواطنين على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ولغاتهم وعقائدهم واديانهم.. هذه الوحدة المباركة التي ادهشت الاعداء قبل الاصدقاء وهذا الاجماع الشعبي الشامل على التمسك بالنظام الجمهوري الديمقراطي والذود عنه وحمايته من اعتداء كل مخرب افاك ومفرق هدام.

وقد شعر الاستعمار والاذناب والخونة والطامعون بخطر وحدة الصف الداخلي على مصالحهم واغراضهم فبادروا على الفور بتدبير المؤامرات الدنيئة لتحطيم الوحدة العراقية المباركة والكيد لها وتفريق كلمة الشعب واضعاف ارادته وتمزيق شمل الامة وتجزئة العراق الحبيب الى اجزاء متخاصمة ولكن خاب فال الاستعمار والمشعوذين والطامعين.. اذ قضى الشعب العراقي الحر بقيادة زعيمه عبدالكريم قاسم على كافة مؤامراتهم وهي في مهدها مما زاد في رص الجبهة الوطنية وفي التفاف الشعب حول زعيمه المنقذ وفي التمسك بوحدة عربه واكراده ونظام جمهوريته الديمقراطي السليم.

وقد شاهدت ساحة محكمة الشعب الكثير من هؤلاء الخونة اعداء الشعب واعداء الجمهورية الديمقراطية اعداء القومية المتحررة يتمرغون في خياناتهم اذلاء مستضعفين تتعثر السنتهم في قول الحق وتسود وجوههم عند سماع الادلة الدامغة.

ويقف المتهم عبدالسلام اليوم في صف هؤلاء اعداء الشعب واعداء الجمهورية الديمقراطية واعداء القومية العربية المتحررة.. دفعه حب الظهور الى التآمر على الشعب وهو في غمرة النضال يكافح تحت قيادة بطل ١٤ تموز الزعيم عبدالكريم قاسم وبدافع مركب النقص هذا انساق لارتكاب ابشع جريمة وهو يرى بعينيه كفاح الشعب العراقي العظيم والتفافه حول جيش الشعب وزعيم الشعب في سبيل القضاء على الجلادين اذناب العهد البائد وركائز الاستعمار.

وقد سمع باذنيه زئير الشعب يشق الافاق هاتفا بحياة الجمهورية الديمقراطية وبحياة جيش الشعب وبحياة الزعيم الاوحد عبدالكريم قاسم محطم الاغلال والرائد الشريف للقومية العربية التحررية والحارس الامين للجمهورية الديمقراطية ونصير السلام في الشرق العربي.

رأى المتهم الحاضر بعينيه كل هذا ولمسه بيده فلم يستطع ضبط نفسه فافلت زمام امورها وغلى الحقد في قلبه وملأ الطيش رأسه واخذته العزة بالاثم واذا به يرى نفسه فوق الشعب لا بل

الشعب لم يكن في حسابه شيئا مذكورا. . فحمل معول الهدم بدلا من مشعل الحرية وتآمر على الجمهورية الديمقراطية الفتية بدلا من اعلاء شأنها وارساء دعائم كيانها. . وحمل لواء الفرقة وتصديع الجبهة الداخلية بدلا من تدعيم وحدة الشعب ورص الصفوف ورفع سلاح الخيانة والغدر لاغتيال زعيم الامة وحبيب الشعب بدلا من تقديم الولاء والاخلاص والطاعة لمن احسن اليه وجعل منه نائبا لرئيس الوزراء ومعاونا للقائد العام للقوات المسلحة ووكيلا لوزير الداخلية. . وهل جزاء الاحسان الا الاحسان. .

قضاة الشعب. . ان دور المتهم في حركة الضباط الاحرار قبل ١٤ تموز يلقي الضوء على نواياه بعد الثورة الكبرى. . اننا نعلم علم اليقين ان المتهم عبدالسلام لم يكن احد مؤسسي هذه الحركة ولا حتى من الضباط الاحرار الاوائل وانما انظم الينا في السنوات الاخيرة. وخلال سنة ١٩٥٦ وقد عارض كافة الضباط في قبوله اذ لم يكن شخصيا محلا لثقة الجميع وهو يعلم قبل غيره انه لم يكن في عداد هذه الزمرة الطيبة من الضباط لولا رغبة واصرار زعيمنا وقائد ثورتنا عبدالكريم قاسم بقبوله. . وانني اترك تفصيل ماقام به من اعمال الى الشهود العقيد وصفي طاهر والعقيد الركن عبدالوهاب امين والعقيد رفعت الحاج سرى والعقيد عبدالكريم الجده نظرا لارتباطه معهم في السابق. . الا انني اورد لكم قضية واحدة نظرا لعلاقتها بموضوع الدعوى وبنشاط المتهم الذي ادى الى شق صفوف الشعب بعد قيام الثورة المباركة. . كان من اهم المواضيع التي بحثت قبل الثورة موضوع تقرير الوحدة ام الاتحاد مع الدول العربية الشقيقة وقد دام نقاش هذا الموضوع ثلاثة ايام وانتهى باقرار وحدة الشعب العراقي عربا واكرادا كخطوة اولى لترصين الجبهة الداخلية والاخذ بمبدأ التضامن والتعاون والتكافل مع الشقيقات العربيات طيلة مدة فترة الانتقال حيث يستفتي الشعب بعد هذه الفترة استفتاء حرا لاختيار النظام الذي ينبثق عن رغبة وارادة اكثرية الشعب سواء في الوحدة ام الاتحاد. فاذا كان الامر كذلك لماذا خرج المتهم وبعد اربعة ايام من قيام الثورة على هذا القرار الخطير؟ وكيف جاز له ان يخرج على ارادة الشعب وهو اصغر فرد فيه.

قضاة الشعب. . قلت سابقا لما ظهر الحق واشرقت شمس الجمهورية الديمقراطية الفتية وعلا صوت الشعب العراقي بعربه واكراده بانت النفوس على حقيقتها واذا بعبدالسلام المفروض فيه ان يسعى لتوحيد كلمة الشعب ورص صفوفه تحقيقا لسياسة زعيم البلاد الاوحد يتنكر الى كل ذلك بدافع من شهوة الحكم والانانية وحب الظهور واخذ يسعى حثيثا منذ الايام الاولى للثورة لجمع رهط ضال من البعثيين ادعياءالقومية المزيفة وغيرهم من الموتورين تحت شعارات مضللة القصد من ورائها تفريق الكلمة وشق الصفوف بغية الوصول الى ناصية الحكم. كما اخذ المتهم يكتل الضباط وينظمهم ويقرب من يدعو لتقديسه ويبعدكل من لايؤمن به ولايعترف بزعامته. وسيطر على مطبعة الشعب والاخبار واصدر جريدة الجمهورية بأسمه الصريح وصار يوجهها بنفسه توجيها يتنافى مع روح الثورة ودستور الجمهورية الديمقراطي الموقت كما اتخذ من مقرها وكرا للمؤامرات والدسائس مما ادى الى انشقاق وبعثرة الجهود في صفوف الوحدة الوطنية الامر الذي احدث ثغرات كثيرة استغلها الاستعمار والرجعية والاقطاع والطامعون لمصلحتهم فكان من جرائها هذه السلسلة من المؤامرات الدنيئة والتي يقصد منها جر سفينة الجمهورية الى شاطىء الخراب والدمار والعودة بنا الى دور العبودية والسير وراء ركب الاستعمار ولعل اكتشاف المؤامرة

التي كان يروم القيام بها العقيد احمد حسن البكر وزمرته الباغية في القضية التي احيلت على محكمتكم المحترمة خير دليل على ذلك.

قضاة الشعب.. ظهر من شهادة العقيد عبدالكريم الجدة والمقدم عبدالغني عبدالستار بان المتهم كان لا يمانع في الاستعانة بالقوات الاجنبية المرابطة في الاردن ولبنان انذاك في التدخل بشؤون العراق الداخلية والقضاء على ثورة الشعب في ١٤ تموز حيث قال المتهم بصدد اصراره على البقاء في العراق وعدم الذهاب الى (بون) بقوله (اريد ان يستفيد الاستعمار خير من ان يستفيد الشيوعيون) ولا ندري من هم الشيوعيون الذين يقصدهم المتهم هل الشعب الذي بارك الثورة في اللحظات الاولى والتف حول زعيمها وظل ولايزال الحارس الامين لكيانها ومبادئها ام ادعياء القومية المزيفة من امثاله الذين تآمروا مع الاستعمار والرجعية والاقطاع والمتفعين والوصوليين على كيان جمهوريتنا الحبيبة وشعبنا العظيم.

وقوله ايضا (كان يجب ان استمر الى الفلوجة ولا انفذ الخطة) وكان يقصد من ذلك خطة ١٤ تموز التي كلفه الزعيم عبدالكريم قاسم بتطبيق جزء منها وقوله ايضا (اني متندم واقرأ الفاتحة على روح نوري السعيد) ابهذه العقلية الرجعية الاستعمارية الاعتدائية الضحلة الاسنة تريد ان تحكم الشعب العراقي الذي انطلق كالاسد الوثوب يوم ١٤ تموز.

تصوروا ياقضاة الشعب لو قدر الله لهذه العقلية ان تستولي لاسامح الله على منصة الحكم، ألم تكن دماء ابناء الشعب الزكية تسيل كالنهران في شوارع بغداد وبقية المدن العراقية الاخرى؟ عقلية تندب حظها على قيامها بعمل شريف وتترحم على حياة نوري السعيد القذرة النتنة وتتمنى قراءة الفاتحة. ماسمعنا هذا حتى من الذين كانوا يعيشون على فتات موائد نوري السعيد.

ولما انكشفت حقيقة المتهم وافتضح امره لجأ الى ابشع الطرق واخسها، طرق الغدر والاغتيال طرق الخبث والجبن فجعل هدفه حياة الزعيم الحبيب عبدالكريم قاسم ومادري بان كل الشعب هو عبدالكريم قاسم وكل فرد فيه حارس لحياة عبدالكريم قاسم.

قضاة الشعب.. ولما فشل المتهم وعصابته المجرمة في القضاء على حياة زعيمنا الغالي استمرت هذه العصابة على العمل في الخفاء وخلال وجود المتهم في بون عمل على ايصال حلقة المؤامرات وربطها بالسلسلة المرسومة لها وصرنا نسمع بان حدثا خطيرا سيتم في ٥ - ١١ وان لهذا الحدث اهميته الكبرى بسياسة العراق الداخلية والخارجية وان المتهم سيعود الى العراق ويشترك في الحكم بعد نجاح انقلابه المزعوم ومما يؤيد صحة هذه الشائعات عودته من بون يوم ٤ - ١١ رغم تبليغه ببرقية وزارة الخارجية المؤرخة ٣١ - ١٠ المعنونة الى السفير علي حيدر سليمان في بون والتي تنص على مايلي: -

(مايلي من سيادة رئيس الوزراء.. ان الموقف في الوقت الحاضر يقتضي بذهابه الى بون وبعد مدة يخبرنا برأيه)

وكذلك تأكيده الشخصي على الطيار جاويد عمر بعدم الاباحة بأسمه وهويته ثم طلبه سيارة تقف جنب الطائرة خلافا لما هو متبع في المطارات لنقله متخفيا عن الانظار الى داره وعلى طريق جسر الصرافية.

قضاة الشعب.. ان الادعاء العام يرى بان هذه الحوادث ماهي الا جزء من تطبيق خطة المؤامرة التي وضع الشعب وزعيمه اليد عليها فازاح ستارها وكشف حقيقتها وكما تأيد لنا من

شهادات الشهود بان ادارة جريدة الجمهورية اخذت تبث الدعوى لهذه المؤامرة وتصرح بان المتهم سيشترك بمظاهرات في شوارع بغداد يوم ٥ ـ ١١ حاملة لافتات وصور للزعيم عبدالكريم قاسم تحتها صورة جمال عبدالناصر كان الغرض منها رفع صورة الزعيم وابراز صورة جمال عبدالناصر بعد نجاح المؤامرة المزعومة.

التكييف القانوني: الادعاء العام يسند للمتهم الافعال الجرمية التالية: -

١ ـ ان المتهم عبدالسلام عارف كان له نصيب في تنظيم وقيادة عصابة موتورة من الضباط تترأس بعض القطعات المسلحة بقصد القيام بثورة ليلة ٤ ـ ٥ تشرين الثاني للقضاء على نظام الحكم القائم وتغييره كما جاء في شهادات الشهود المحفوظة باضبارة القضية كل ذلك مما ينطبق على احكام المادة (٨٠) من قانون العقوبات البغدادي لذا اطلب تجريمه بمقتضاها والحكم عليه بموجبها.

٢ ـ ان المتهم اخذ يتحين الفرص لانفراد بزعيم البلاد واغتياله وقد تأيد من شهادات الشهود: الزعيم المتقاعد فؤاد عارف متصرف لواء كربلاء والزعيم الركن محي الدين عبدالحميد قائد الفرقة الرابعة والعقيد عبدالكريم الجدة بان المتهم سحب مسدسه عندما كان في مقر الزعيم عبدالكريم قاسم قاصدا قتله. ان عمله هذا ينطبق على احكام المادة (٢١٤ ـ ٦ ـ ٦٠) من قانون العقوبات البغدادي. لذا اطلب تجريمه بمقتضاها والحكم عليه بموجبها.

قضاة الشعب.. ان الادعاء العام يطالبكم باسم الشعب الذي تحرر من عبودية العهد الاسود عهد الاستعمار عهد عبدالاله وفيصل ونوري السعيد ان تقطعوا رؤوس الخيانة التي ارادت ان تعود بهذا الشعب الى قبضة الاستعمار والرجعية والاقطاع ان تعود به الى الظلام بعد ان رأى النور والى العبودية بعد ان تنسم عبير الحرية والى السيطرة الاجنبية وتحكم الاقطاع والرجعية بعد ان حطم هذه القيود وعاش حرا مستقلا سيدا.].

المهداوي ـ هل انت مذنب ام بريء؟

عبدالسلام ـ بريء ان شاء الله.

ثم نودي على الشاهد الاول، الزعيم (العميد) المتقاعد فؤاد عارف ـ ٤٥ سنة ـ متصرف كربلاء ـ وبعد ان ادى اليمين ـ سأله المهداوي رئيس المحكمة:

ـ بين شهادتك حول محاولة المتهم عبدالسلام محمد عارف في اغتيال سيادة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء وماهي الدوافع لذلك؟

الشاهد ـ عندما نقل العقيد عبدالسلام محمد عارف الى وظيفة سفير في بون انا كنت يوم الخميس في بغداد ذهبت لزيارته في داره انا والسيد طاهر يحيى ووجدته في داره ولم يتكلم حول ذهابه او عدمه.

في يوم الجمعة جئت الى الزعيم فقال لي ان العقيد عبدالسلام لايريد الذهاب الى بون فأنت بصفتك صديقه وصديق الجميع تذهب لتنصحه بالذهاب الى بون.

جئت صباح السبت انا والعقيد طاهر يحيى الى دار المتهم وتكلمنا معه بالموضوع ونصحته بالسفر فاجاب بان وضعه لايساعد على السفر الى بون في الوقت الحاضر وذلك لمرض اهلي ولا

زلت انا ساكن في الكراج فبعد مناقشة قلت له لنذهب الى الزعيم فوافق على الذهاب. نحن
لسيادة الزعيم انا وطاهر يحيى والمتهم وعند وصولنا نزل طاهر يحيى ولم يرافقنا الى سيادة
الزعيم فذهبت والمتهم ولم نجد الزعيم لانه كان خارج فجلسنا في غرفة السكرتير. حوالي ربع
ساعة وبعد ذلك ذهبنا الى الزعيم احمد صالح العبدي فجلسنا هناك فقلت لاحمد صالح العبدي
انت تكلم مع العقيد عبدالسلام بلزوم الذهاب لان الظروف تتطلب ذلك وحاول احمد صالح
العبدي اقناعه فلم يتمكن مجيبا اني لا اذهب.

وبعد ذلك جاء الزعيم فكان الزعيم ينصحه وانا واحمد صالح العبدي فكان يتذرع بشتى
المعاذير بعدم تمكنه من الذهاب الى بون وفي حوالي الساعة الحادية عشر خرج احمد صالح وذلك
لوجود موعد له مع السفير التركي وبقينا انا والعقيد عبدالسلام والزعيم في غرفة الزعيم
عبدالكريم وخرجت انا من الغرفة لافسح المجال للزعيم ربما وحده يمكنه ان يؤثر عليه. وعند
خروجي قال لي الزعيم اين ذاهب؟ فقلت له ذاهب خارج الغرفة وسأعود فعلمت من كلامه
بانه لايرغب بخروجي ورجعت حالا الى الغرفة. وكانت المحاولات لاتزال جارية وكان الزعيم
ينصحه ويقول له بانك شطرت البلد الى قسمين ويجب ان تسافر الى خارج العراق حتى تهدأ
الامور وترجع وكان جوابه بان وضعه لايساعد وكان في ذلك الوقت الجو حار وانا كنت داخل
الغرفة لمدة خمسة ساعات وكنت واقف انطلع الى الصورة وظهري بمواجهتهم وفي هذه الاثناء
سمعت الزعيم يقول ماذا تعمل ياعبدالسلام وعندما استدرت وجدت عبدالسلام داخل الغرف
وجالس على الكرسي ويده تحت الستره والمسدس ظاهر من يده والزعيم عبدالكريم ماسك بيده
فهجمت عليه واخذت المسدس من يده.

الرئيس ـ المسدس خارج الغلاف؟

الشاهد ـ خارج الغلاف لكنه تحت الستره لم يخرج خارج السترة فلم اره لان الزعيم ماسكه من
معصمه. وبعد ذلك دخل الزعيم محي حميد وانا بعد ان اخذت المسدس من يده انسحبت الى
الجانب وافرغت المسدس. وعندما دخل الزعيم محيي سأل قال ماذا بعبد السلام وكان عبد
السلام في وضع متألم مضحك، وقال الزعيم عبدالكريم، عبدالسلام يريد قتلي. فأجاب عبد
السلام لا العفو اني لا اقتلك ولا يمكنني قتلك فقال له الزعيم كيف تثبت انك تريد قتل نفسك
ولماذا لم تقتل نفسك في بيتك تأتي الى هنا لتقتل نفسك؟ هذه المحاولة التي حصلت عندها دخل
العقيد امر الانضباط وقال اخاف لديه مسدس اخر فتشوه فلم يجدوا

الرئيس ـ امر الانضباط عبدالكريم الجدة؟

الشاهد ـ نعم... فدخل الجماعة الباقين جميعهم الزعيم احمد وقواد الفرق الاربعة وناجي
طالب فجلسنا جميعا وتقدم الزعيم كريم الى عبدالسلام وقال له: عبدالسلام عفيت عن هذا
الشيء الذي صدر منك ومصلحة البلد تقتضي ان تسافر خارج العراق لان البلد انشق الى
قسمين لاني اريد ان ابعدك عن اشخاص السوء وعندما تستقر الامور ترجع. فأجاب باني لا
اسافر..

الرئيس ـ عمن يبعده؟

الشاهد ـ اذا كنت تقول اني لم اعمل شيء فابتعد عن اشخاص السوء وكان يتذرع بان وضعه

لايساعد واعذار اخرى وعندما حان وقت الغذاء تغذينا وبقينا حتى الليل فاقترحت ان نتركه والزعيم عبدالكريم يتكلم معه لربما يؤثر عليه فخرجنا الى خارج الغرفة ولم نعرف مادار بينه وبين الزعيم وبعد ذلك دخلنا الى غرفة رئيس اركان الجيش فوجدناه جالساً بالقرب من الزعيم عبدالكريم فقال اني سأسافر وفعلا سافر صباح يوم ٩ ـ ١٠ ـ ١٩٥٨ وانا والزعيم اوصلناه الى المطار.

الرئيس ـ ماهو الدافع الذي جعلك تبكي في حادثة سحب المسدس من قبل المتهم على الزعيم؟
الشاهد ـ كل واحد له ضمير وشرف يتألم لهذه الظروف الحالية لاني كنت اعرف علاقة عبدالسلام مع الزعيم عبدالكريم مثل اخ او ابن ووالد. فسحب المسدس في تلك الظروف حقيقة تألمت وحدث لي شعور غريب.

ثم نودي على الشاهد الثاني الزعيم (العميد) محي الدين عبدالحميد ـ ٤٤ سنة ـ ضابط في الجيش ـ وبعد ان ادى اليمين سأله المهداوي رئيس المحكمة عن دافع عبدالسلام عارف لمحاولة اغتيال الزعيم عبدالكريم قاسم. فأجاب قائلا:
ـ سيادة الرئيس كنا مجتمعين بلجنة ترقية الضباط وارسل علينا رئيس اركان الجيش للحضور في غرفته فحضرنا نحن قواد الفرق في غرفة رئيس اركان الجيش فشاهدنا هناك سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم واخبرنا ان عبدالسلام عارف بالوقت الحاضر موجود في غرفته وممتنع عن السفر الى الخارج بعدما تم الاتفاق على سفره وطلب سيادة الزعيم من عندنا ان نعقبه بعد ذهابه الى غرفته بعد دقيقة واحدة من ذهابه فلما ذهب سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم الى غرفته فنحن قواد الفرق تبعناه كنت انا اسير في المقدمة ودخلنا غرفة السكرتير فكان على باب غرفة الوزير الذي بين غرفة السكرتير والوزير كان العقيد وصفي فطلبنا منه ان ندخل ففتح الباب ودخلنا فكنت اول الداخلين فشاهدت عبدالسلام عارف جالس على الكرسي امام الباب وسيادة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم منحني عليه والزعيم المتقاعد فؤاد عارف بجانب الكرسي فلما تقدمت الى الكرسي في هذه الاثناء رأيت فؤاد عارف يأخذ المسدس من يد عبدالسلام وذهب الى جانب والزعيم الركن عبدالكريم قاسم كان ممسك بيده وهو قابض وثم فؤاد عارف اخذ المسدس فبقي عبدالسلام عارف في محله واستدار الى الخلف وانا جلست بجانبه والزعيم الركن عبدالكريم قاسم جلس وكان عبدالسلام يبكي وكان الموقف حرج جدا ولا نعرف الاسباب ماهي وسألته

لماذا هذه الاشياء لماذا هذه الحوادث تحصل باعتبار انه هو كان لما دخلنا وطلبنا سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم على اساس هو بدل رأيه بالسفر. امتنع عن السفر بعد ما تم الاتفاق وبقينا نتداول الحديث وبعدئذ جاءت فترة الغذاء وبعد ذلك اخذنا عبدالسلام عارف الى غرفة رئيس اركان الجيش حتى نترك سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم الى اشغاله وكان من وقت الى اخر يحضر الزعيم عبدالكريم قاسم الى الغرفة وبقينا حتى الساعة العاشرة ليلا من الساعة الحادية عشر والنصف صباحا حتى الساعة العاشرة مساء وبعدئذ قرر عبدالسلام عارف السفر، وفي اليوم الثاني ودعناه في المطار هذه خلاصة الحادث الذي وقع والذي شاهدته.

الرئيس ـ الكلمات التي تفوه بها المتهم والزعيم الركن عبدالكريم قاسم في هذا الحادث في حادث سحب المسدس من قبل المتهم على الزعيم؟

الشاهد ـ الحديث دار خلال هذه المدة كثير ولكن في بداية الامر كان الزعيم يعاتبه عن الاسباب الداعية الى سحب المسدس فرد عليه عبدالسلام عارف انا اريد اقتل نفسي فقال له تريد تقتل نفسك اقتل نفسك في بيتك وليس هنا في غرفتي تسحب مسدس هذا في بداية الامر بعد سحب المسدس مباشرة.

الرئيس ـ هل كان في المسدس عتاد وهل العتاد كامل؟

الشاهد ـ نعم كان فيه عتاد ولا اعرف هل كامل العتاد ام لا.

الرئيس ـ هل كان شعور الزعيم بان المتهم يروم قتله؟

الشاهد ـ نعم سأله لماذا تسحب المسدس علي؟ فادعى انه يريد الانتحار اجابه الزعيم بان الانتحار لايكون هنا في غرفتي.

ثم نودي على العقيد عبدالكريم عبدالرحمن الجدة ـ ٤٠سنة، آمر الانضباط العسكري. وبعد ان ادى اليمين سأله المهداوي رئيس المحكمة عن شهادته حول محاولة عبدالسلام محمد عارف اغتيال الزعيم عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء، وماهي الدوافع لذلك، فاجاب قائلا: - ـ عندما تبلغ العقيد الركن عبدالسلام عارف بالذهاب لاستلام مهام منصبه في بون سمعنا انه رفض وابى الذهاب فجاء وطلب الزعيم فحضر في وزارة الدفاع في الساعة العاشرة من اليوم الذي سبق قبل سفره الى بون. وبقي هناك وكان قادة الفرق الاربعة مجتمعين ورئيس اركان الجيش الزعيم احمد صالح وكانوا يأخذوه مرة الى غرفة الاجتماع ومرة الى غرفة الزعيم ونحن واقفين على الابواب في الخارج. من جملتهم عبدالغني عبدالستار ـ سكرتير وزارة الدفاع والرئيس الاول الركن جاسم العزاوي والمرافقين الموجودين منهم وصفي طاهر وكانت المحاولات في اقناعه بالسفر واستمر هذا الموقف من الساعة العاشرة صباحا وحتى الساعة الحادية عشر ليلا. وهو يتكلم معهم ويريدون اقناعه ومن جملة الكلام الذي دار فيما بينهم عندما دخل الزعيم كنت واقف في الممر وكان غني عبدالستار واقف بجانبي والرئيس الاول جاسم رآني المتهم قال لي كريم انا اليوم اردت ان آتي اليك حتى تعتقلني قلت له لماذا اعتقلك لماذا لاتسافر معزوز مكروم قال لي انا لا اسافر. قلت له ان القضية تتطلب اطاعة الاوامر والسفر لان هذا الخلاف وعدم اطاعة الاوامر يشق الشعب ويفيد الاستعمار واذناب الاستعمار قال لي انا اريد الاستعمار واذناب الاستعمار يستفيدوا قلت له لماذا قال لانني ندمت كان لازم استمر بالسفر الى الفلوجة ولا انفذ الخطة وفي الوقت الحاضر اقرأ الفاتحة على نوري السعيد.

والله وبالله وثلاث اسماء الله هذه العبارة هو الذي قالها بعد ذلك في الواقع انا اصطدمت كشخص مثله يتكلم مثل هذه الكلمات. بعد ذلك هو دخل ناداه الزعيم وكان مع الزعيم فؤاد عارف انا بقيت بالباب فسمعت صوت الزعيم قائلا تسحب تسحب مسدس؟ فحالا دخلت وفتحت باب الغرفة ودخلت رأيت سيادة الزعيم ماسك عبدالسلام من يديه وفؤاد عارف يفتش

عن المسدس انا حالا قمت بالتفتيش تحت السترة فوجدت غلاف المسدس ولا يوجد فيه المسدس فقال لي فؤاد عارف كريم انا اخذت المسدس وبعد ذلك دخل رئيس اركان الجيش وقادة الفرق ومحي حميد والزعيم العقيلي واحدهم قال لي كريم تأكد اخاف لديه مسدس ثاني فتشته فلم اجد مسدس ثاني

الرئيس ـ ماذا تعتقد هل حقيقة كما يدعي بانه يريد الانتحار ام يريد اغتيال الزعيم؟

الشاهد ـ المحكمة هي التي تقدر، الزعيم مستدير الى الخلف وهو يسحب مسدس اما هو بعد ذلك عندما مسكوه واخذوا المسدس منه قال انا اريد الانتحار. فهو ينتحر في غرفة الزعيم ام في بيته؟ هذا يترك تقديره للمحكمة..

الرئيس ـ المحكمة تقدر كل شيء سواء اراد الانتحار او اغتيال الزعيم ولكن رأيك الشخصي؟

الشاهد ـ في رأي الشخصي هو لم يريد الانتحار بل اراد قتل الزعيم.

ثم نودي على العقيد رفعت الحاج سري ـ ٤١ سنة، مدير الاستخبارات العسكرية. وبعد ان ادى اليمين سأله المهداوي رئيس المحكمة عن دور عبدالسلام محمد عارف قبل الثورة وبعدها. فأجاب قائلا: ـ

الشاهد ـ في اول نشاطنا وتكتلنا ضد العهد البائد لم يكن العقيد عبدالسلام عارف منتمي الى تنظيماتنا ولكن في سنة ١٩٥٦ حسبما اعتقد فاتحه سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم في الانتماء الى تشكيلاتنا وهذا ما اثار استغرابنا لانه لم يوجد لنا ثقة بالعقيد المتقاعد من ناحية حبه للظهور وعدم تكتمه، وكان يثار بقليل من المديح بالشيء الموجود لديه، ولم التق به الا قبل الثورة بشهرين في احدى الاجتماعات وفي ذلك الاجتماع رأيته متجاوب معنا بالشعور ومتجاوب مع اهداف وسياسة الثورة، وحتى استغربت في ذلك الاجتماع موقفه هذا وصارحته برأيي هذا، بان انطباعنا عنه كان سيء جدا، وفي هذا الاجتماع رأيت تفكيره وسياسته بالنسبة لاهداف الثورة جدا طيبة وكان متفق معنا باكثر الاسس التي بحثت. هذه قبل الثورة بحوالي شهرين تقريبا حتى انه في ذلك الاجتماع بين بانه ليس له مطمع خاص وغاية خاصة للتضحية في سبيل البلد وانه يبقى اذا نجحت الثورة كآمر لواء لا يريد منصب اكثر من امر لواء وهذا الذي صارحته به. ثم عند نجاح الثورة رأيناه خرج عن الحدود والاتفاقات التي كنا متفقين عليها فحب ان يظهر ويبرز وركبه حب الظهور واعتز بنفسه كثيرا حسبما بين في خطاباته خصوصا واعتقد ان الهتافات والتصفيق الشعبي هو الذي اخرجه عن طوره الطبيعي فدفعه الى الظهور والتوصل الى الحكم المطلق وهذا الذي جعل الاكثرية تنسحب من جانبه وخصوصا الخطب التي القاها كانت تدل على ضحالة وتستفز الغير ان كان في الخارج او في الداخل وكثرة اساءته.

الرئيس ـ وضح بالنسبة للدول الخارجية والداخل؟

الشاهد ـ في الخارج استفز ايران مع انه كان شخص مسؤول.

الرئيس ـ في اي عبارة.. اذكرها؟

الشاهد ـ لا اذكر النص ولكن تهجمه على ايران وامريكا وعلى انكلترا وتركيا ولا اذكر النصوص.

الرئيس ـ الفكرة؟

الشاهد ـ ذكر حركة مصدق فاستفز ايران وامريكا بالاسم ذكرها بالدول الاستعمارية ولكن

كشخص مسؤول يذكر الشيء العام عن الدول الاستعمارية ولايخصص ثم بالداخل استفز الاهالي بتكتله بجانب فئة من الفئات كحزب البعث استند عليهم حتى يبرز وهؤلاء هم الذين غروه في تصفيقهم وبذلك شق الشعب الى شقين وهذا هو جرمه الاساسي الذي اعتقد. كان الشعب كتلة واحدة في يوم الثورة ولكن بعد ذلك انشق وحتى الان لاتزال اثارها بادية، كل هذا من تصرفاته تلك. ثم لما كثرت اساءاته وكان يعرفها الزعيم نقله الى سفير، ثم رجوعه من هناك، فالطريقة التي عاد بها من النمسا كانت غير طبيعية ولاتصدر عن شخص مسؤول. وقبل مجيئه سبقت اشاعات كثيرة ان هناك مؤامرة ويوم الخامس في ذلك الشهر سيأتي عبدالسلام عارف وعنده مشروع مؤامرة وبالحقيقة لم نكن نصدق هذه الاشاعات الكثيرة لانه ليس بأمكانه العودة من دون امر ومع من يتآمر؟ ليس له رصيد في الجيش والشعب كله لايؤيده بالموضوع وجاء فعلا في اليوم الخامس من ذلك الشهر وكانت هذه هي نتيجته. هذه معلوماتي قبل الثورة عنه وبعد الثورة.

الرئيس - بصفتك مدير استخبارات هل كان يحضر عندك وتبين له المحاذير التي كانت توجدها تصرفاته سواء كانت في الجيش او الشعب؟

الشاهد - لما شعر ان اخطاءه كثرت ولم يبق له سند في الجيش قبل نقله كان يمر علي وكان يعترف باخطائه هذه، كنا نتذاكر فيها ويعترف بها، وقال انه اخطأ فعلا وهو على استعداد بالشيء الذي يقرره سيادة الزعيم او نقرره نحن بالاتفاق وتكرر تردده علي.

الرئيس - عندما عين سفير في بون وكما سمعنا من شهادة الشهود انه كان باتفاق مع كبار الضباط المسؤولين وسيادة الزعيم ومعك لماذا امتنع عن السفر الى بون في مقر وظيفته الرسمي؟

الشاهد - هو امتنع ولكن اسباب امتناعه غير واضحة، اما ان تكون لديه غاية من امتناعه هذا وهذه الغاية اذا نحقق بها لانرى لها اساس، فاما تكون لديه قطعات من الجيش يستند عليها واما تكون لديه كتلة شعبية يستند عليها والاثنين غير موجودة حتى البعثيين كانوا متنصلين من عنده. وفي الجيش لايوجد من يسنده وما يسنده من الضباط لايتجاوز اصابع اليد الواحدة اما ان يكون مغرور بالهتافات التي صدرت بأسمه في اول ايام الثورة واعتقد بانه اذا اصدر كلمة واحدة فالشعب كله من ورائه، واما ان يكون بوضع غير طبيعي اي تفكيره غير متزن.

الرئيس - بالنسبة لوظيفتك المهمة في الجيش هل ان سياسة الزعيم عبدالكريم قاسم كانت تدعو المتهم الى ان يختلف معه مثل هذا الاختلاف او ان يعارضه او يعمل ضده؟

الشاهد - كلا. لا اعتقد ان سياسة الزعيم تختلف معه الا من ناحية واحدة، سياسة العقيد عبدالسلام الرئيسية انه يريد الوحدة المباشرة مع الجمهورية العربية المتحدة، وسياسة سيادة الزعيم عبدالكريم ان الظروف هي التي تملي وتبت بذلك هذا هو الاختلاف الجوهري.

الرئيس - وضح؟؟

الشاهد - بالنسبة له يريد اتحاد مباشر ووحدة مباشرة مع الجمهورية العربية.

الرئيس - بصورة فورية؟

الشاهد - نعم بصورة فورية.

الرئيس - هل قررتم انتم ضباط الثورة ذلك قبل حدوث الثورة المباركة؟

الشاهد - هذه السياسة كنا متفقين عليها على اساس ان الظروف والايام هي تثبتها وتحددها لان هذا اتجاه حتمي (قضية الوحدة) لايمكن ان تبقى الدول العربية كلها متفرقة ولكن في سياسته

هذه الاخيرة رأى ان تكون الوحدة مباشرة وفورية.
الرئيس - هل كان قبل الثورة مقرر ان تكون فورية؟
الشاهد - كلا لم تكن مقررة ان تكون فورية. كانت مقررة ان الظروف هي التي تحددها وتمليها ولكن نتيجتها حتمية.

ثم نودي على الشاهد الخامس العقيد الركن عبدالوهاب الامين - ٤٠ سنة، ضابط في الجيش الذي بين للمحكمة دور عبدالسلام محمد عارف قبل الثورة واثناءها وبعدها. وتحامل في شهادته على المتهم لان الاخير كان ضده وناقشه عبدالسلام في ذلك.

ثم نودي على الشاهد السادس العقيد وصفي طاهر - ٤٠ سنة، مرافق رئيس الوزراء الزعيم عبدالكريم قاسم. الذي بين دور عبدالسلام محمد عارف قبل الثورة وبعدها. وهاجمه في شهادته ذاكرا بعض تصرفاته الشاذة.

ثم نودي على الشاهد السابع الرئيس الاول الركن جاسم كاظم العزاوي - ٣٤ سنة، سكرتير وزير الدفاع الزعيم عبدالكريم قاسم، الذي شرح دور عبدالسلام عارف قبل الثورة وبعدها وتصرفاته في مجلس الوزراء وقال: «مرة من المرات كان صديق شنشل - وزير الارشاد - يشكي للزعيم الركن عبدالكريم قائد الثورة ورئيس الوزراء يقول له: تصور انه يقول لنا عبدالسلام (يا الله وزراء صار وقت الاجتماع).. وانه يتكلم مع الوزراء بشدة».

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الاحد ٢٨ كانون الاول ١٩٥٨ عادت المحكمة العسكرية العليا الخاصة برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي للنظر بصورة سرية في قضية عبدالسلام محمد عارف.
فنودي عليه فحضر القاعة وادخل قفص الاتهام.

ثم نودي على الشاهد الثامن الرئيس الاول الركن صبحي عبدالحميد - ٣٤سنة ضابط. الذي بين دور عبدالسلام محمد عارف قبل الثورة واثنائها وشرح للمحكمة ردا على سؤال وجهه (المهداوي) اليه عن محاسبة العقيد وصفي طاهر المتهم عن اقواله وخطبه فقال: «قال له لما كنت تذهب تخطب في الالوية لم تكن تذكر اسم الزعيم. انت اهملت الزعيم. نحن الجميع نعتبره قبل الحركة وبعدها هو الزعيم فانت اخذت تدعي الزعامة لنفسك».

ثم نودي على الشاهد التاسع الرئيس الاول الركن عبدالستار عبداللطيف - ٣٢ سنة، ضابط في الجيش، بين دور عبدالسلام محمد عارف قبل الثورة وفي اثنائها وبعدها، وعن المشادة التي حدثت في غرفته بين عبدالسلام والعقيد وصفي طاهر حول موضوع اسماعيل العارف وعن تصرفاته وعن خطبه وعدم ذكره للزعيم عبدالكريم قاسم. وشرح ماحدث لهم في دمشق في الاسبوع الاول للثورة وعن مشاهداته هناك ومسموعاته.

ثم نودي على الشاهد العاشر المقدم عبدالغني عبدالستار - ٣٨سنة، ضابط، فبين للمحكمة

عما يعرفه عن محاولة الاغتيال. وشرح اتصالات عبدالسلام محمد عارف بالاذاعة من دون علم الاستاذ صديق شنشل وزير الارشاد، واعطاءه الاوامر الى العقيد طه محمد امين مباشرة.

ثم نودي على الشاهد الحادي عشر علي حيدر سليمان - ٥٣ سنة، سفير بالخارجية، فبين مالديه من معلومات حول اقوال وتصرفات عبدالسلام عارف خلال مرافقته اياه بالسفر الى بون، وكيفية عودته الى العراق والاسباب الداعية لذلك.

ثم نودي على الشاهد الثاني عشر الرئيس محفوظ احمد شوكت - ٣٧ سنة ضابط، فاكد ان ليس له علاقة بالمتهم «سوى كوني انا ضابط واستدعائه لي بالمطار اني كنت اشتغل بالمطار وبالوقت الذي جاء هو به لم اكن انا موجود بالمطار. وانا كنت ضابطا في فوجه في جلولاء سابقا، ولاتوجد علاقة لي به».

ثم نودي على الشاهد الثالث عشر المقدم ابراهيم عبدالرحمن الشيخلي - ٤٣ سنة ضابط، فذكر في شهادته انه كان في المطار يقوم بواجباته عند وصول عبدالسلام محمد عارف الى بغداد وانه طلب سيارة قرب الطائرة لنقله الى مسكنه.

ثم نودي على الشاهد الرابع عشر صباح عبدالله الفياض - ٢٣ سنة، معاون مراقب جوي، فبين انه تلقى من الطيار جاويد عمر مكالمة يطلب فيها سيارة تكسي وتكون جاهزة حين نزوله من الطائرة.

ثم نودي على الشاهد الخامس عشر الملازم الاول عباس رشيد العامري - ٣٠ سنة، ضابط - فبين مشاهدته عبدالسلام عارف راكبا وحده في السيارة في المطار ولم يكن احد معه.

ثم نودي على الشاهد السادس عشر المفوض صلاح الدين حميد - ٢٨ سنة، مفوض أمن - فافاد بانه عندما هبطت الطائرة تقدم نحوها بصفته مفوض جوازات وكان اول من نزل منها هو المتهم وكان يحمل بيده حقائبه الشخصية وطلب اليه جواز السفر فاجابه: «هل يوجد لزوم «قلت له نعم سيدي، فمد يده واعطاني جواز السفر وسجلته حسب الاصول».

ثم ادلى الشاهد السابع عشر شاكر محمود - ٣٥ سنة، مرشد زراعي، بشهادته حول الاجتماع الذي حصل في دار عبدالرحمن احمد السامرائي واسماء المجتمعين وتاريخ اجتماعاتهم والدافع لمراقبتهم من قبله وعلاقة عبدالسلام بذلك. وقد نفي عبدالسلام محمد عارف الحادثة نفيا قاطعا وقال: «بامكان المحكمة ان تستفسر من الاشخاص الذين عدهم الشاهد، أذا كنت موجوداً واعلم بهذا الحادث».

ثم نودي على الشاهد الثامن عشر عبدالرحمن البزاز - ٤٦ سنة، عميد كلية الحقوق - فسأله المهداوي: عن الغاية من الدعوة التي اقيمت في دار عبدالرحمن السامرائي في ابي غريب وتاريخها ومن هم المدعوون؟». فذكر البزاز بان الدعوة اقيمت لاجراء المصالحة بينه وبين الدكتور محمد

صالح محمود وزير الصحة، كان خلافا قد حدث بينهما سابقا. وان عبدالسلام لم يكن موجودا.
وقد جرت مناقشة حادة بين عبدالرحمن البزاز وبين الادعاء العام، حتى ان ماجد محمد امين - رئيس الادعاء العام - تهجم على البزاز، مما اضطر البزاز ان يطلب الحماية من المحكمة، من الادعاء العام وتهجماته عليه كشاهد.

ثم نودي على الشاهد التاسع عشر الرئيس عمر فاروق - ٢٨ سنة - ضابط. فبين انه كان ضابط خفر في السجن العسكري وان المتهم حاوره عن الشائعات التي تدور في البلد حول قضيته. وان الشائعات تقول بانه مهزوم او مختطف وان المتهم ذكر واقعة اختطاف موسوليني من معتقله في شمال ايطاليا.

ثم نودي على الشاهد العشرين عبدالرحمن احمد السامرائي - ٣٦ سنة، موظف. فبين علاقته بالموظف شاكر محمود. وشرح اسباب الدعوة التي اقامها في بيته في (ابو غريب). وان المتهم عبدالسلام لم يره منذ عام ١٩٥٥.

وفي يوم الاثنين ٢٩ كانون الاول عقدت المحكمة في الساعة العاشرة صباحا جلسة سرية اخرى للنظر في قضية عبدالسلام محمد عارف.

فنودي على الشاهد الحادي والعشرين الزعيم الركن ناجي طالب - ٤١ سنة، وزير الشؤون الاجتماعية - فبين للمحكمة ان دور عبدالسلام عارف قبل الثورة: «كان احد الاخوان الذين زاملونا بالموضوع من الاول الى الاخير. وبعد الثورة كان وزير الداخلية ونائب القائد العام ودوره معلوم والكل يعرفه، واعتقد ان المحكمة تفهمه تماما».
وبين كذلك ان عبدالسلام كان يتصرف تصرف وزير طبعا، ولم اجد اي شذوذ لتصرفاته، على كل حال يتصرف تصرف وزير مهم، وكان له دور مهم بالثورة لا اكثر ولا اقل.
وسأله المهداوي: هل صحيح انكم صرحتم امام سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم بان اشتغال المتهم معكم قبل الثورة كان غير مرغوب به؟
ناجي طالب: غير مرغوب فيه؟.. هذا لا اعتقد به صحيح.
المهداوي: ماهو التعبير؟

ناجي طالب: انه كان يستقل في ارائه..
المهداوي: ماهي هذه الاراء؟!
ناجي طالب: هذه الاشياء التي كانت تتعلق في الاجتماعات التي قبل الثورة وللاعضاء في مجلس الضباط اراؤهم الخاصة، وان كان ليس لهم صفة رسمية عندئذ فهو مثلا كان يفرض على الاخرين رأي معين، ويفرض ان يقبل بدون مناقشة وهذا شيء لم يكن مقبولا.
ونفي ناجي طالب في شهادته من ان عبدالكريم قد فرض عبدالسلام عارف عليهم فرضا قبل قيام الثورة في الهيئة التأسيسية العليا للضباط الاحرار.
ونفي كذلك ان يكون عبدالسلام عارف قد سحب مسدسه لاغتيال الزعيم عبدالكريم قاسم «وربما سحب المسدس تهورا من عنده، وهذا هو الاكيد لاجل ان يضرب نفسه».

ثم نودي على الشاهد الثاني والعشرين اللواء الطبيب محمد الشواف ـ ٤٤ سنة، فبين في افادته عن ماجرى في غرفة الزعيم عبدالكريم قاسم بعد ان سحب عبدالسلام عارف مسدسه. وكيف امتنع عن السفر الى بون فقال: «قلت له ـ اي لعبد السلام ـ يا اخي انك مسلم ومصلي بنفس الوقت، هل تتذكر سيدنا عمر بن الخطاب عندما اصدر امره الى خالد بن الوليد وكان قائد القوات للجيوش الاسلامية؟ كيف صدع ذلك القائد العظيم لامر عمر بن الخطاب واطاعه. وما ذلك الا لعدم اعطاء المجال للتصدع في صدر الاسلام. وان ثورتنا ومانقاسيه من يد الاستعمار ومن يد الاجانب ومن يد الانتهازيين والشعوبيين في داخل بلدنا، والاستعمار الذي يحيط بنا من الخارج كلها بدأت تدخل بالفتحة التي بدأت تفتحها».

وردا على سؤال وجهه المهداوي اليه عن اعتقاده بان المتهم كان يروم قتل الزعيم؟». اجاب اللواء الطبيب محمد الشواف قائلا:

ـ والله انا كطبيب، ولي قسم ـ من معلومات في علم النفس، حوادث الانتحار لاتكون امام المجموع. الانتحار يكون دائما في غرف مقفلة... الانتحار بتاريخ الطب الشرعي لم يحدث امام المجموع من الناحية الطبية ـ حسب معلوماتي. اما ان الاخ قصد الانتحار في غرفة شخص ثاني، وفي مقر رسمي لرئيس الوزراء، لا استطيع كطبيب ان افسره على اساس انتحار. ولو انه اخبرني اثناء اجتماعنا انه يروم ضرب نفسه بالقدح».

ثم نودي على الشاهد الثالث والعشرين الزعيم الركن عبدالعزيز العقيلي ـ ٣٩ سنة، فبين اتفاق قواد الفرق والحاضرين في غرفة الزعيم عبدالكريم قاسم بعد المحاولة على سفر المتهم لمصلحة البلد. وان الكل اصروا على سفره. كما اكد بان الزعيم عبدالكريم قاسم قد تعهد لعبد السلام عارف باعادته من الخارج بعد ثلاثة اسابيع، وان ذلك جرى امامهم.

ثم نودي على الشاهد الرابع والعشرين العقيد طاهر يحيى ـ ٤٣ سنة ـ فبين للمحكمة انه لم يكن حاضرا عند سحب المسدس من قبل عبدالسلام عارف وانه كان متوجدا انذاك في دعوة لدى وزير الاشغال والمواصلات بمناسبة قدوم الملا مصطفى. ثم شرح للمحكمة كذلك توصيله عبدالسلام عارف الى المطار بالسيارة ومنها سافر وذهب بالطائرة وتوديعه من قبل الوزراء والزعيم. وقال: «والله في الحقيقة علاقة العقيد عبدالسلام عارف بالزعيم عبدالكريم علاقة اعتقد سيادة رئيس المحكمة يعرفها ايضا، والحقيقة انه حتى لو ان الامر الذي حصل بسحب المسدس لو اراه بعيني، في الحقيقة بالنسبة لما اعهده بعبدالسلام من اخلاص وتضحية وعلاقة بالزعيم كريم لما صدقت، حتى لهذه الدرجة. انا اعرفه على انه شخص مخلص ومتمسك بالزعيم الى اقصى حد، وانه اي مشكلة تحدث عنده واي حدث ولو كان عائلي يمكن ان اقول انه كانت تسند الى الزعيم كريم لاجل حلها».

ثم نودي على الشاهد الخامس والعشرين العقيد نعمان ماهر ـ ٤٠ سنة ـ فبين كيفية تعيينه رئيسا لهيئة مراقبة الصحافة. واصداره بعد ذلك تعليماته، بعد اجتماعه بالصحفيين، عن اهداف الثورة وطرق ذكر اخبار وفعاليات المسؤولين حسب التدرج في المكانة. وبين ايضا تنبيه

المسؤولين عن جريدة الجمهورية، التي كان يرأس تحريرها العقيد عبدالسلام عارف بعدم المبالغة في نشر الاخبار وعدم تبريز الاشخاص حسب تسلسل المسؤولين بينما ينشر خبر صغير او صورة صغيرة لرئيس مجلس السيادة او سيادة رئيس الوزراء «وبعد عدة ايام صدر امر باعادتي الى وظيفتي السابقة التي كنت امارسها قبل تعييني في منصب رئيس الرقابة. وقد علمت ان العقيد عبدالسلام عارف كان وراء ذلك».. ثم ذكر الشاهد بان تصرف عبدالسلام عارف ووضع اسمه على جريدة الجمهورية لايتلاءم مع اهداف الثورة.

ثم نودي على الشاهد السادس والعشرين الزعيم الركن ناظم الطبقجلي ـ ٤٤ سنة، قائد الفرقة الثانية، فبين للمحكمة انه اقترح ان يسافر العقيد عبدالسلام الى شمال افريقيا «وعرضت الموضوع على سيادة الزعيم ووافق مبدئيا، واتصور في اليوم التالي حصل تعقيد بالموضوع، على اساس انه لايزال المحذور قائم بالنسبة الى الغرب من ناحية قتله ام غدره». ثم قال: «الاتفاق الذي تم في الحقيقة انه يذهب وينبأ بالعودة ويرجع. وانا سمعت من سيادة الزعيم انه لم يصدر له امرا بالعودة فعاد من تلقاء نفسه، واتصور كانت مفاجأة لانه كلام شرف الذي وعد به حتما كان ينفذ».

ثم نودي على الشاهد السابع والعشرين الزعيم الركن احمد صالح العبيدي ـ ٥٤ سنة، رئيس اركان الجيش ـ فبين للمحكمة «ان الزعيم عبدالكريم عندما كنا مجتمعين في الغرفة اعطاه وعدا ونحن اتفقنا على هذا الشيء ان يستدعيه بعد مضي ثلاثة اسابيع. فهو عاد الى العراق قبل انقضاء مدة ثلاثة اسابيع وعلمنا بوصوله المطار رأسا».

ثم نودي على الشاهد الثامن والعشرين الزعيم الركن خليل سعيد ـ ٤٠ سنة. فبين معرفته بالعقيد عبدالسلام عارف قبل الثورة وبعدها وشرح بتفصيل ذلك، متحاملا على بعض تصرفاته.

ثم نودي على الشاهد التاسع والعشرين الطيار جاويد عمر ـ ٣٢ سنة فشرح للمحكمة طلب عبدالسلام عارف منه عند عودته بالطائرة الى بغداد وهم فوق انقرة توفير سيارة له في مطار بغداد. واتصاله بالسيطرة في بغداد. فقال: «اتصلت بالسيطرة وقلت لهم يوجد شخص مهم بالطائرة يجب ان توفروا له واسطة نقل عند وصولنا المطار، ويريد الذهاب بها. وان هذا الشخص لايرغب بذكر اسمه، ولكن انتم سترونه عند نزوله من الطائرة. فاحضروا السيارة بالقرب من باب المطار، وعندما هبطت الطائرة نزل منها. وبعد ذلك ذهب بالسيارة. خلال السفرة والوصول لم يتصل باحد».

ثم نودي على الشاهد الثلاثين المقدم وجيه عبدالرحمن ـ ٣٩ سنة فذكر للمحكمة انه كان في المطار وان نزول العقيد عبدالسلام من الطائرة كانت مفاجأة بالنسبة لهم «لاننا لم يكن لنا علم بعودته، لانه عادة وفي اكثر الاحيان عندما يسافر شخص مهم او يعود الى المطار من الخارج

يخبرونا اما دوائر الامن او دائرة الاستخبارات او الشرطة المحلبة الموجودة هناك فيكون عندنا علم او تأتي هيئة مستقبلة».

ثم نودي على الشاهد الحادي والثلاثين العقيد عادل جلال - ٤٠ سنة - قائمقام زاخو - فبين معرفته بعبد السلام قبل الثورة وبعدها وكان متحاملا في شهادته لان عبدالسلام قد عينه بعد ذلك قائمقاما لزاخو وناقشه المتهم عبدالسلام محمد عارف موضحا بان تعيينه بهذا المنصب «بموافقة سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم لانه يجيد العربية والكردية والتركية.

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء ٣١ كانون الاول ١٩٥٨ عقدت المحكمة العسكرية العليا جلسة سرية للاستماع الى افادات الشهود.

نودي على الشاهد الثاني والثلاثين الرئيس الاول الركن سليم الفخري - ٣١ سنة - فبين للمحكمة تصرفات عبدالسلام عارف في شؤون الدعاية عندما كان في المسؤولية - وتحامل عليه وعلى القومية العربية.

ثم نودي على الشاهد الثالث والثلاثين الملازم فالح الناصري - ٢٣ سنة - فبين للمحكمة ان هناك جماعة في وزارة الدفاع كان لايعرف اسمائها تخطط لفكرة انقلاب لصالح المتهم عبدالسلام عارف بعد عودته من الخارج.

ثم نودي على الشاهد الرابع والثلاثين الملازم محمود فرج - ٢٨ سنة فانكر وجود خطة انقلاب يوم ٤ - ١١. واجرت معه المحكمة مناقشة حادة، شارك فيها الادعاء العام. وحاولوا استخلاص اقواله بان الرئيس الاول الركن صالح مهدي عماش كان قد خطط لاجراء تغيير في وزارة الدفاع والضغط على الزعيم عبدالكريم قاسم اوقتله.

ثم نودي على الشاهد الخامس والثلاثين الملازم الاول شهاب احمد - ٢٨ سنة - فانكر هو الاخر وجود اية خطة للانقلاب. واكد بانه لايعرف بان عبدالسلام عارف سيعود وانه لاعلاقة به. وحاولت المحكمة الضغط عليه من خلال مناقشته لاستحصال اعتراف منه عن خطة اعدها صالح مهدي عماش. ولكنه اقسم بانه لايعرف عن الخطة شيئا، وان عماش كل ماقاله لهم: «ان الوضع ان شاء الله يتحسن».

وفي الساعة الثانية عشرة والربع من ظهر يوم الاربعاء ٣١ كانون الاول ١٩٥٨ - نودي على المتهم عبدالسلام محمد عارف فحضر قاعة المحكمة وادخل قفص الاتهام - وطلب اليه المهداوي رئيس المحكمة ان يبين افادته بخصوص مانسب اليه من اتهام.

ابتدأ عبدالسلام محمد عارف افادته قائلا:

- بسم الله الرحمن الرحيم... (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا)..
محكمة الشعب الموقرة: ان من يقف امامكم اليوم ليقول لكم الحق كان بالامس احدكم ومن ضباط ثورتكم واول من هلل وكبر وبشر بقيامها في يوم ١٤ تموز الخالدة بقيادة زعيمه الكريم وادع للمحكمة تقدير دوري بالثورة المباركة وبناء على ماذكر اثناء المرافعة بخصوص تاريخ حياتي ولما كانت هذه المرافعة تعتبر وثيقة تاريخية فاقول للمحكمة المحترمة بغاية الايجاز، انا العقيد الركن عبد السلام بن الحاج محمد عارف البزاز من بغداد ومن الكرخ ومن محلة سوق حمادة وانتمي الى عشيرة الجميلة، وترعرعت مابين الكرخ وبين عشيرتي زوبع والجميلة، وانا من عائلة عربية معروفة في جهادها في ماضيها وحاضرها فلقد غدر الانكليز بعمي السيد عباس وقتلوه في الرمادي. واما مقتل (لجمن البريطاني) فمعروف لدى العالم، وقد انتقم الانكليز واذنابهم من خالي المرحوم الشيخ ضاري شر انتقام ولكنه ذهب شهيدا لوطنه وفي جنات الخلد.
واني درست وكافحت الحياة بشرف وجهاد منذ كنت تلميذا الى ان وصلت رتبتي ومنصبي الاخير قبل الثورة وزادتني الثورة شرفا بالمناصب التي اشغلتها، وقد تكلم عني وزراء وقادة وضباط معروفين فاكتفي بذلك وتقاريري الشخصية واعمالي محفوظة في اضبارتي في وزارة الدفاع وبالامكان الرجوع اليها وشاهدوا عما كتب عني وخاصة تقارير زعيمنا ولقد سبق ان عرض على المحكمة المحترمة ان الشخص لايقبل انتمائه للهيئة العليا لضباط الثورة الا بعد تزكيته والحمد لله قد زكاني من هو ثقة الشعب وزعيمنا وقائد ثورتنا ولي الفخر.

وتنويرا للحقيقة اوجز النقاط التالية:
السفر الى بون: - يوم ١١ - ١٠ - ١٩٥٨ استدعاني سيادة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء بواسطة الزعيم فؤاد عارف والعقيد طاهر يحيى فذهبت اليه وحدثني بشأن سفري الى بون فبينت له محاذير سفري ومنها ان المانيا الغربية محتلة باعدائنا الاستعماريين واخشى خيانتهم، وسمعت فعلا بل والعالم سمع باغتيال ممثل الجزائر في بون بنتيجة المؤامرة الفرنسية بواسطة العميل التونسي، ولمرض عائلتي وعدم استقرارهم اذ كنا نسكن في كراج كما بين الزعيم فؤاد بشهادته واهم من ذلك فراق بلادي العزيزة وجمهوريتنا الفتية، وتركك ايها الاخ العزيز. الا انه كان يصر على سفري وانا اعتذر فتأثر مني وشعرت بتأثره الشديد ولما كنت غير مرتاح نفسيا بل وفي تهيج عصبي تجسمت بي الامور واصبحت بوضع لا ارادي نظرا لما اكنه نحو هذا الاخ الاكبر من الود والاخلاص فطرأ على بالي آنيا ان انتحر افضل مما اؤثر زعيمي وفعلا هو ذهب الى باب الغرفة ليخرج فاغتنمت الفرصة لانتحر فمددت يدي فوق مسدسي فقلت له اريد انتحر دعوني وغيرها من الكلمات الانتحارية. فمسكني من يدي التي كانت على الغلاف وساعده الزعيم فؤاد فأخذوا المسدس من جانبي الايسر بعد اخراجه من الغلاف وانا اردد الكلمات الانتحارية، وهنا نقطة هامة فالمسدس لم يخرج من الغلاف بتاتا ولم يسحب واني بوضع الجلوس على كرسي الراحة والزعيم كان في طريقه للخروج من الغرفة وقرب الباب وهذا يدل دلالة واضحة ان العمل موجه لي لا لغيري ولا اتمكن الا رمي نفسي وقد حصلت لدي الفكرة آنيا وثبت لديكم من افادات الشهود فلا يوجد اي شاهد رأى بعينه رفع او سحب المسدس فكلها سماع من فلان لفلان وياليتها يحضر سيادة الزعيم ويروي الحادث بنفسه وعلى كل فيؤيد كافة الشهود سماعهم ايضا تردد كلمات الانتحار وبعدها عاتبني الزعيم على عملي لماذا تقتل نفسك في

غرفتي وايد ذلك الشهود فبكيت لتأثري بل لشدة تأثري وتألمي الا انه لاطفني وقبلني وقال نحن اخوان هذه بسيطة واعرفك تحبني وبكل بشاشة وضحك وهدوء وارتياح وهذا دليل قاطع على اطمئنان الزعيم بان الحادث كان موجها لي والا فكيف يضحك وهو يهدئني والى مابينت مما قام به امام كافة الشهود. ثم ذهبنا الى الغداء الذي لم اتمكن من اكله وبالمساء اعاد قادة الفرق على الكرة بقبول المنصب وكنا حينذاك في غرفة رئيس اركان الجيش فكنت اعتذر لنفس الاسباب مع العلم اني اشعر بالتهيج العصبي والالم النفسي وعبر عنه بعض الشهود بالهستريا ورووا عني سأرمي نفسي من الطائرة وفعلا حاولت ضرب نفسي بالقدح الزجاجي والصحن الفرفوري الذين كانا بجانبي فرفعا، وشهد الدكتور بأرهاقي العصبي بالاضافة الى باقي الشهود واخيرا قال اخي الاكبر للحاضرين هذا اخي وانا مسؤول عنه فدعونا لوحدنا وفعلا جلسنا على انفراد وبين لي مادام الامر قد صدر وحجزت الطائرة وعلم الجميع بسفرك فاطلب منك ان تسافر وسوف تعود بعد ٢١ يوما فقط ولم يذكر ثلاثة اسابيع شفهيا. فقلت له انا لا التحق الى بون فقال نعم، وكما قلت الحديث بيننا فقط فأجبته لاجل عيونك اذهب الى الموت وانت تعرفني وجربتني فعلا وقد قبلني ودخل الحاضرون وشاهدونا بهذا الوضع المريح وعرف لهم الوضع وجلب لي الحليب بنفسه فسر القادة وقبلوني جميعا لاطاعتي اخينا الاكبر مع العلم تكرر الكلام امامهم جميعا بان سفري وقتيا وساعود بعد ٢١ يوما وانتهت القضية وسافرت في صباح اليوم التالي وقد انتهى الحادث ولا توجد قضية انتحار بالمسدس ولا اغتيال او عدم تنفيذ بل ان الاخ الزعيم قال لي بالنص انا ليس عندي اي شيء ونحن اخوان وهو في غاية الهدوء والراحة والانشراح واوكد ذلك بعدم فتح اي محضر تحقيق ان كانت هناك جريمة او محاولة قتل او انتحار ولم يسجل اي حادث بالتاريخ المذكور وهذه السجلات الرسمية سواء كان في مقر وزارة الدفاع او في الانضباط بل وحتى دوائر الشرطة والتحقيق وبالامكان الاطلاع عليها والتأكد، وبعد ما تفضل زعيمنا الجليل وقال باعتبار كل شيء منتهي وليس لي اي حق لوقوع الحادث في غرفتي لانه حادث اخوي وبعد مرور هذه المدة الطويلة وسفري الى اوربا ثم عودتي يطلب الادعاء العام تجريمي فاذا كنت مجرما كيف سافرت وقد كان توديعي رسميا بحضور سيادة رئيس الوزراء والوزراء ورئيس اركان الجيش وقادة الفرق وكثير من الضباط والاخوان؟ فاعتقد ان المجرم والذي يروم الاغتيال وعمل الشر لزعيمه ووطنه لايمكن السكوت عنه ولا تقام له المراسيم وهذا دليل قطعي لايقبل الشك لنفي الحادث المزعوم. وقد يقول الادعاء العام هذا من حقي فاقول له لقد قال رجل الدولة قوله وهو ذو الصلاحية باحالة وغلق الدعوى (ووعد الحر دين) هذا من جهة ومن الجهة الاخرى يعلم الجميع ان هناك اتصالا روحيا بيني وبين اخي الزعيم الركن عبدالكريم قاسم يفوق هذا الوصف وسيبقى ذلك الى الابد انشاء الله فاني عشت معه منذ سنة ١٩٤٢ في البصرة بالاضافة الى التلمذة ونقلنا لنفس السبب من البصرة فبعد شكايته على امر اللواء في حينه نقل الى جلولاء وجاء دوري بعد وحوكمت من قبل اللواء الركن المتقاعد بهاءالدين نوري متهما لي باني كنت المخبر للرئيس الركن عبدالكريم قاسم بوقته، وبالنهاية اكتفوا بنقلي الى الناصرية واشتغلنا سوية حسب الاتفاق في زمرة تدريب الجيش ومنذ سنة ١٩٥٤ عملت بامرته كآمر فوج في اللواء التاسع عشر ولم يفرق بيننا اي شيء بل روح واحدة في جسدين، وحتى اعمالنا الشخصية كان لاتتم الا بالمذاكرة والاتفاق وكانت نتيجة ذلك ثورتنا المباركة يوم ١٤ تموز العظيم واذكر كلمة زعيمي لي في احدى الليالي بالنص (سلام مصيرنا واحد مهما تقلبت الظروف والاحوال) وان تطبيق خطة الثورة لاكبر شاهد ودليل على اخلاصي لزعيمي ولبلادي واود ان اذكر للمحكمة

المحترمة بان قسمنا نحن ضباط الثورة كان ينص على عدم مساس اي عضو من ضباط الثورة باذى مهما كانت الاسباب لاحاضرا ولا مستقبلا بل ونتكفل مساعدته العائلية وتأيد ذلك بشهادة العقيد الركن عبدالوهاب الامين فكيف اذا تسول لي نفسي القيام بعمل ضد زعيمي وانا مسؤول عنه حتى في المستقبل وهو مسؤول عني؟ فحاشا لله ومن الذي يؤيدني فالجيش والشعب كله وراء زعيمنا كما اثبت الشهود فكيف يصدق العقل ان اقوم بهذا العمل الجنوني ومثلي بالنسبة اليه، وايد جميع الشهود ان اخلاصي وتعلقي بزعيمنا يتعذر وصفه واني متأكد انه نفسه يؤيد ذلك ويعلم الجميع باني حين قيام الثورة المباركة كنت في اللواء العشرين ولست باللواء التاسع عشر اي لواء الزعيم ولكن هذا لايعني التخلي عن مبادئي وارتباطي بزعيمي بل بالعكس تمكنا من السيطرة على لواء اخر في الجيش وهذا ما حدث في الثورة وان ما جاء على لسان احد الشهود باني احد ضباط ركن الفريق المتقاعد رفيق عارف فهذه اضبارتي تدل على عدم اشتغالي بأمرته مباشرة كضابط ركن ولكني انور المحكمة المحترمة، فلقد كانت هناك خطة مدبرة بيني وبين زعيمنا لستر الفعاليات قبل الثورة فيقال على الزعيم انه عائد لنوري السعيد ويقال عني اني عائد لرفيق عارف وبهذا نخلص من شر الجواسيس وفعلا نجحنا بذلك وان اجتماعي برفيق عارف كان بحضور الزعيم وهو يعرف كل شيء وبذا يظهر للمحكمة المحترمة اني صافي النية ومخلص للجمهورية ولزعيمي راجيا المحكمة ان تتلطف بدعوة سيادة زعيمنا للتفضل بالحضور والادلاء بشهادته اذ انه شاهد الدفاع الاصلي الذي استند عليه في جميع الدعوى وهو الاول والاخير، ولماذا سمع فلان وقال اخر، وبشهادته الطيبة لي كل الثقة بانقاذي وبراءتي انشاء الله واني لارجو الحق من اهل الحق.

قصة الثورة: - ابا الثورة هو زعيمنا الركن عبدالكريم قاسم ومن تشدق بغير ذلك فهو مارق، ولابد انكم سمعتم عنها وكل يدعي الوصل بها وفعلا فقد ساهم الكثيرون فيها بل انها ثورة شعب، وكثيرا ما كانت تعقد الاجتماعات للهيئة العليا وتكون النتائج نظرية ومعظمها تكون جدلا، وفعلا قد انسحب كثير من الضباط من الهيئة وهم يعرفون انفسهم فكنت اتألم واصر على رأيي لتنفيذ الثورة وبأقرب وقت، وزعيمنا يؤيدني، وقد ظهر ذلك للمحكمة المحترمة من افادات الشهود، واخير قال لي الزعيم دعنا نجاملهم كأخوان وكي لانفرط باخوتنا وننفذ قسمنا الذي نوهت عنه سابقا ولكن العمل الحاسم بيني وبينك، وفعلا حاول كثير من ضباط الثورة معرفة وقت ويوم الحركة فأبينا الاجابة وكانت غايتنا الاساسية الكتمان والمباغتة وانما اكتفينا التبليغ الضباط القليلين جدا والذين عليهم واجبات التنفيذ وقد عهد لي زعيمنا بالتبليغ والتنفيذ والمحكمة المحترمة على علم بذلك فكان واجبي ايضا ان اسيطر على جحفل اللواء العشرين واعزل مقر اللواء واستلم قيادة جحفل اللواء بتنفيذ السيطرة على بغداد بينما كنت امر الفوج الثالث من اللواء. واللواء لايملك العتاد عدى فوجي الذي دبرت له ذلك من قبل وحسبت حساب اللواء والقطعات الملحقة بتموينهم، وكانت قطعات التنفيذ في بغداد بمعسكر الرشيد لاتملك العتاد ايضا، فكانت الاشارة بيننا بتطبيق الحركة بارسالي انا العتاد اليهم، وفعلا تم ذلك بواسطة الملازم ياسين العبدلي وكذا وزعت العتاد على بقية الوحدات، وقد تأخرت الحركة بسبب تأخر اعتقال امر الفوج الثاني العقيد الركن ياسين محمد رؤوف من قبل الرئيس فاضل الساقي والملازم كريم جاسم المكلفين بهذا الواجب فاضطررت الذهاب بنفسي وعرضت عليه الاشتراك معنا ولكنه رفض فاعتقلته واعلنت نفسي امرا للجحفل، وبهذا الوقت كان قد تم عزل

مقر اللواء العشرين حسب الخطة وبسبب ضياع الوقت كاد الضباط الذين كنا على اتفاق معهم بالتنفيذ ان يعودوا لولا اصراري غير انهم تلقوا الواجبات بطيبة خاطر وبوطنية صادقة وساروا مع القطعات المخصصة بتنفيذ وتمت السيطرة على بغداد والاهداف المطلوبة حسب الخطة المرسومة ونجحت الثورة المباركة بقيادة زعيمنا في كل مكان من العراق، وكان مقري في الاذاعة منتظرا زعيمنا وقائدنا المظفر واخبرته بالموقف وعالجنا موقف اللواء الاول توجه بعناية الله الى وزارة الدفاع ثم طلبني وذهبت اليه وقمت بالواجبات المعهودة لي وكان اشتغالي معه والله يشهد روحيا ووطنيا واخلاصا اخويا، والا فما الدافع لي بالقيام بهذه الاعمال والتي قبلها اتصلنا بسوريا والاردن والمحاولات الاخرى في جلولاء والمنصور وبغداد، والله كنا زاهدين في كل شيء واني طلبت ان ابقى آمرا للواء العشرين كما جاء بالافادات امام المحكمة المحترمة ولكن ارادة زعيمنا الكريم ايدت الا ان نكون سوية دوما ونفذت ما اراد فصرت نائبا ومعاونا ووزيرا له واني لا ابغي منصبا او امتيازا او رتبة والايام ايدت ذلك واخي الاكبر يشهد لي بذلك واني قد قدمت استقالتي من الوزارة بعد تشكيلها بشهر ولكن ارادة اخي الاكبر اجبرتني على البقاء، وكنت قد اعلنت منذ اليوم الاول للثورة برجوعنا الى الثكنات فكيف تقاس هذه التضحية وقد تركت سبعة اطفال وزوجة ورضائع وايتام وابا شيخا، وقد اطلعتم والرأي العام على وصيتي بوقتها وتوكلنا على الله وقمنا بالثورة وبأمرة زعيمنا عبدالكريم، فهل يعقل بعد هذا ان يقوم عبدالسلام جزء من عبدالكريم الذي لاينفصم منه بعمل يسيء الى زعيمه والى جمهوريته؟ حاشا لله وانما كانت كافة اعمالي باخلاص وحسن نية والخدمة لوجه الله والدعوة لوحدة الصفوف واعلاء شأن الجمهورية ومحاربة جميع اعمال العدو والعمل يدا واحدة وان ثقة الزعيم بي معلومة لدى الجميع وان زرع الثقة ليس بالامر اليسير وقد اطلعت المحكمة الموقرة على افادات الشهود بهذا الشأن وان عبدالسلام يمثل الزعيم في كل شيء والله اسأل ان تقف المحكمة المحترمة وهم من ضباط الثورة ويعلمون الحقائق عن اخوة واخلاص العقيد الركن عبدالسلام لزعيمه الزعيم الركن عبدالكريم قاسم وتفانيه لجمهوريته، وماهذه الا سحابة صيف وامتحان للعباد وكلنا اخوان وفي خدمة الشعب والجمهورية.

الحزبية: -

آ - انا كرجل عسكري لم يكن لي اتصال بالاحزاب قبل الثورة وان ماجاء بشأن اتصالي بجماعة وتقديمها على اخرى فهذا لاصحة له بتاتا، وقد ثبت ذلك بالاسئلة التي وجهتها امام المحكمة المحترمة للقادة كمسؤولين والزعيم فؤاد عارف كمتصرف ومدير الشرطة والحاكم العسكري، كما انه لم يكن هناك اي شاهد اثبات في هذا الصدد واوضح للمحكمة المحترمة ان توجيه الزعيم لي قبل الثورة بعدم اتصالنا بالمدنيين خشية انكشاف امرنا وبعد الثورة لم نكن نعرفهم جيدا واني اصر على عدم وجود اي علاقة خاصة بل كل الشعب سواء وبهذه المناسبة فان الشخص الذي كان يزودنا باخبار الاحزاب قبل الثورة ومنهم البعثيين هو العقيد الركن عبدالوهاب الامين.

ب - اني لم أتعرف على السيد فؤاد الركابي الا بعد اشتراكه في الوزارة وزعيمنا يعلم بذلك حق العلم وان كان يقوم المومى اليه بضبط محضر جلسات مجلس الوزراء من الصدف ان يجلس بجانبي وبحكم الزمالة والاشتراك في المسؤولية كنا نتحادث شأن الوزراء الباقين وكشخص مسؤول عن الاعمار كان يذهب معي في بعض الجولات ليرى شكوى المسؤولين وابناء الشعب في

الالوية من وجهة الاعمار ويقدمها لمجلس الوزراء للنظر فيها باقرب وقت اذ ان الثورة تطلب الانتاج السريع.

ج ـ بامكان المحكمة المحترمة السؤال من المحامي عبدالامير العكيلي والذي كان يجلب لي قوائم المبعدين والمسجونين السياسيين او المسقطة عنهم الجنسية فهل كنت احقق معه عن انتساب الاشخاص الى اي فئة او حزب او جماعة وهذا مما يؤيد عدم انتسابي لاي جماعة او تفضيلي فئة على اخرى.

د ـ كان من قرار مجلس الوزراء اعادة المعلمين المفصولين لاسباب سياسية وبصفتي وزيرا للداخلية في الامكان السؤال من مدير الداخلية العام ان كنت قد اخرت تعيين احد ما بسبب انتمائه لجهة او كنت اسأل عنه لاي فئة يعود وهذا دليل واضح اني فوق التحزب والحزبيات.

هـ ـ لقد كانت تعرض بعض الاسماء للتعيين في مجلس الوزراء فيمكن الاستفسار هل كنت امانع في بعضهم بسبب حزبية او الانحياز الى فئة معينة؟ بل اني رجوت رئيس الوزراء بالعطف على الرئيس الركن المتقاعد سليم الفخري بتعيينه بوظيفة ما مع العلم اني اوصيت المومى اليه بعدم الانحياز لاي جهة او حزب واقسم بالتنفيذ، هل هذا معنى اني منحاز الى جماعته او الذين ضده، وايد ذلك سليم الفخري.

و ـ كنت ادعو دائما الى وحدة الصفوف وخدمة الجمهورية ويدا واحدة من الشمال والى الجنوب ومن الشرق والى الغرب فهل معنى هذا اني ادعو لفئة معينة بل اني اقول نحن حزب واحد وهدف واحد وغاية واحدة وان حزب الله هم المفلحون وهذه آية قرآنية، وبذا يظهر للمحكمة المحترمة بالاضافة الى الشهود اني بعيد كل البعد عن اي فئة خاصة بتاتا وان مايقال ما هو الا افك وافتراء.

الخطابات: ـ كان همي في خطاباتي هو الألتفاف نحو الجمهورية والشعور بشعور واحد ولا حزبية ولا طائفية ولا غيرها بل كلنا شعب واحد، وحتى تكلمت بالكردية، وفي الجنوب تكلمت بلهجة الجنوب وقصدي من هذا واضح. اما ما يفسره البعض حسب اهوائه فهذا يعود اليهم واني ان ناديت الشعب بما يطلب فليس بذنب فنحن من الشعب والى الشعب ولا نعمل الا بارادة الشعب كما جاء واضحا بتصريح زعيمنا وكررته مرارا بعده. لم تكن هذه الخطابات سرية بل كانت بعلم الجميع وبعلم مجلس الوزراء بسفراتي وكنت استأذن رئيس الوزراء وبأمر منه فاذا كانت كلماتي لا توافق سياسة الحكومة لماذا لم امنع بعد الجولة الاولى لماذا لم امنع بعد الجولة الثانية او لماذا لم امنع بعدما شعروا بذلك خاصة واني حديث عهد بالسياسة، وكنت اتقبل كل انتقاد وتوجيه واعترف بكل خطأ كما تبين لكم من سير المرافعة وايده الشهود. كانت كافة الخطب تبدأ بالايات القرآنية وقد جاء في دستورنا نحن دولة اسلامية وكلماتي بسيطة وخالية من التعقيد لانها شعبية وببساطة قلب ونية صافية صادقة وتبين من افادات بعض الشهود انها ترضي

من يرضى، وقد لايرضى عنها احد ولايوجد شخص في الكون يتمكن من ارضاء الجميع وان المحكمة المحترمة تقدر ذلك وفي كل الاحوال حاشا ان يكون المقصود تبلبل الاراء وانما المقصود وحدة الصفوف والتوجيه الطيب لخدمة الشعب والجمهورية.

افاد البعض لغرض خاص، كان ذكرك الزعيم قليلا. فاقول امام المحكمةالمحترمة ان زعيمنا ليس ميال للتهريج ومن رأيه ان الاعمال هي التي تجل الانسان ومع ذلك فمن الذي قال انا عبدالسلام قاسم وابن عبدالكريم قاسم؟ اما بشأن ذكر الرئيس جمال عبدالناصر في المناسبات فكان ذلك من ضمن خطتنا اذ كانت حكومة العهد البائد تسيء للجمهورية العربية المتحدة والى الرئيس جمال بالذات فلتوثيق عرى الاخوة وارتباطنا مع شقيقتنا كنت اذكره كما تذكره المحكمة الموقرة وابناء الشعب في كثير من المناسبات وان في هذا خير للبلاد العربية اجمع وضربة دامغة للاستعمار الذي حاول تفريق الصفوف. الا فليعلم الجميع نحن لسنا بعبدة اشخاص بل نحن حملة مبادىء وعقائد وزعيمنا اعلم بذلك. وبذا يظهر للمحكمة المحترمة ان جميع مابينته من كلماتي كان بحسن نية وسلامة قلب واداء خدمة والله من وراء القصد.

الوحدة والاتحاد: - انا لست ممن يجبرون الرأي العام على قبول اي شكل من الحكم وخاصة نحن في فترة انتقالية فان كان لي رأي فأني كاحد المواطنين. اني لم اصرح بتاتا بالوحدة فورا وهذه كلماتي وبامكان المحكمة الرجوع اليها بل اني كنت اقول نحن نحتاج الى دراسة وزمن طويل والى صبر واناة وان مايريده الشعب هو الذي يؤخذ به. واذا نظرنا الى دستورنا فالمادة صريحة فيه ان العراق جزء لايتجزأ من الامة العربية فاذا نحن فوق الوحدة واكثر تماسكا فقد تكون الوحدة على عدة اشكال ومنه مانراه اليوم في الجمهورية العربية المتحدة مقسمة الى اقليمين بينما ينص دستورنا صراحة على عدم التجزأة. والامة العربية امة واحدة جمعاء وليس هناك من حدود او اقليمية او تجزأة فجمهوريتنا لاتتجزأ من الامة العربية بتاتا وهذا ليس رأيي فقط بل وسياسة الحكومة الصادقة فلو كنا امة واحدة من الخليج الى المحيط لما عانينا الامرين من الاستعمار وهذا الوضع الاجتماعي والاقتصادي.

جريدة الجمهورية: - جاء ذكر جريدة الجمهورية اثناء المرافعة وليس بخاف على المحكمة المحترمة ان احداث ثورة او انقلاب ليس بالامر اليسير ويجب تحمل المسؤولية فعندما بدأت جلسات مجلس الوزراء في عهد الثورة وتقرر غلق الصحف المأجورة لم تبق صحيفة تعبر عن الحقائق وخاصة عن ثورتنا المباركة فعرضت فكرة الجريدة في المجلس وقد ايد ذلك رئيس اركان الجيش في افادته والحقيقة كان ترتيبها ارتجاليا واني قبلت امتيازها ضانا ان الصحف من واجبات وزارة الداخلية ويجوز للوزير اصدار صحيفة كما كانت جريدة العمل سابقا، ولكن بعد صدورها ببضعة ايام وعرف الوزراء واجباتهم اعطيتها بعلم المسؤولين لشخص راغب فيها وانه ذو ماض طيب وضابط متقاعد ولا ينتمي الى اي حزب حسبما اعرف هو الرئيس رشيد فليح الذي سجنه العهد البائد واحاله على التقاعد بسبب حركات ١٩٤١ الوطنية. وكانت حسابات الجريدة في بادىء الامر لدى مديرية الاستخبارات العسكرية على ما اعلم وبعد انتقالها لصاحبها الجديد لا اعرف مصيرها كما لم تكن لي علاقة بها بتاتا وان الوثائق الرسمية تثبت ذلك. وكما نوهت حينما عرفت ان الصحافة من واجبات وزير الارشاد كنت استغرب من مراجعة بعض

الاشخاص لمنحهم امتياز صحف، لذا لم امنح اي امتياز من قبلي، وبذا يظهر للمحكمة المحترمة ان الغرض كان في بادىء الامر سالما ووطنيا ولخدمة الجمهورية ليس الا.

العودة من فينا: ـ بينت في اول الكلام ان الزعيم اوعدني ببقائي في اوربا لمدة (٢١) يوما فقط والعودة مباشرة الى بغداد. وان اتصال السفير السابق السيد علي حيدر سليمان حول التحاقي بمنصبي وكنت حينذاك في فينا جعلني باحراج. اذ ان الزعيم قال امام الجميع لا ترسل اوراق اعتماد اليه وعلى كل اوعدت السفير بالجواب قبل يوم ٧ ـ ١١ وذلك حسب طلبه وكانت المخابرة يوم ٣ ـ ١١. ومعنى ذلك لدي اربعة ايام وبامكاني الاتصال مباشرة بالزعيم لاعطاء القرار للسفير المنقول وبينما انا في هذا الحال وردت برقية من وزارة الخارجية هذا نصها (مايلي من سيادة رئيس الوزراء لاطلاع سيادة العقيد بان الموقف في الوقت الحاضر يقضي الذهاب الى بون واعلامنا من هناك برأيه) وهذه البرقية تؤيد بصراحة الاتفاق الذي بيني وبين الزعيم.

برجوعي مباشرة الى بغداد وعدم الذهاب الى بون والا فلماذا هذه البرقية اذ كان المفروض بعد انتهاء زيارتي اتوجه الى بون ومع ذلك للتأكد من موقف المؤسسة في بون كما اشارت البرقية اتصلت بالسفير السابق، قال ان كل الامور اعتيادية وسأبقى معك عشرة ايام. وكما نوه في افادته ان الاصول تقضي بسفر السفير السابق قبل الجديد وبالامكان طلبها، وعليه قررت السفر فورا وعلى حسابي الخاص لاكون على بينة من الامر وأقف على الحقيقة. وان ترك موظف لدائرته ليست بجريمة وانما يحاسب من قبل رئيسه وفعلا سافرت ليلة ٣ ـ ٤ /١١ مع العلم قد تم اخبار الحكومة من قبل المسؤولين كما جاء في افادة السيد علي حيدر سليمان. اما سبب عدم اظهار شخصيتي في الطيارة فكما تعلمون ان الطائرة تحتوي على مختلف الاجناس ومنهم اجانب ونحن نيام والوقت ليل اماسبب طلبي السيارة فكما بين الطيار في شهادته اذ قال من المحتمل عدم وجود سيارات لذا طلب احضار سيارة قريبة لاخلص من الاستقبالات وغيرها، وكذا لم يذكر الطيار اسمي عند طلب السيارة لنفس السبب (لغيرها اقصد التجمهرات ويعيش ويسقط) وكما بينت ان سفرتي كانت معلومة وليست متخفية وانما ببرقيات ايدها السيد علي حيدر سليمان وفعلا نزلت من الطيارة واخذوا مني جواز السفر الذي لم يعد لي لحد الان وبنفس الوقت قدمت لهم الجنط اليدوية التي كانت معي وقلت للمسؤولين فتشوها ونظرا لصغر حجمها وخفتها اكتفوا بالنظر اليها. وقد عقبت طريق الصرافية في الذهاب الى البيت كما هو شأني دوما لخلو هذا الطريق من ازدحام السابلة لا كما عبر عنه. وقد ايد العقيد طاهر يحيى اتخاذ نفس الطريقة سابقا وكنت مزمعا بعد غسل وجهي ووضع حقائبي التوجه لسيادة رئيس الوزراء وبينما انا في هذا الحال جاء العقيد طاهر فقال ان الزعيم يطلبك فقلت له حاضر انا في طريقي اليه وحتى لم اغسل ولم افتح الحقائب ويشهد آمر الانضباط اذ قد اعطيته المفاتيح بعدئذ وسلمها بدوره الى البيت فلما شاهدت الزعيم قلت له سيدي برقيتك حيرتني فاين اتفاقنا الخاص بالعودة مباشرة ورويت له قصة اتصالي ببون وطلبت منه الجواب وحل القضية حسب الوعد السابق. فقال لي ماذا تريد ان تشتغل فقلت له بأي واجب تنسبه حتى جندي كاتب تحت يديك فالمهم القيام بالخدمة واذا لا ترغب فاجلس في بيتي كمواطن مع العلم اني لا اريد لا راتب ولا منصب ولا امتياز فأجابني

الزعيم لابد من سفرك فقلت له اين ذهب اتفاقنا وعقب بعدئذ بعرض عدة سفارات فقلت له سيدي الاسباب لازالت كما هي واني اريد منك تنفيذالوعد فلم يوافق واجاب عبدالسلام راح نفترق فأجبته سيدي اني لا اتفارق ابدا وانا ذلك المخلص الامين لك وللجمهورية فأجابني اذهب مع آمر الانضباط وصفي فكرك وبعدين ازورك وبقيت انتظر زيارته للوصول الى حل يوافق عليه سيادته او يأمر به ولكن الذي حصل اني فوجئت بصباح اليوم الثاني بنبأ اعتقالي فقلت انا لله وانا اليه راجعون ولشدة تأثري اضربت عن الطعام فأين الزيارة والانتظار وما هذا البيان فجاءني آمر الانضباط بعد يومين ووجدني صائما فذكرته بكلام الزعيم ووعده فقال المسألة بسيطة ضروري الان تأكل لقمة واحدة معي حتى نذهب سوية فلم اكل غيرها. ومن المؤسف ان آمر الانضباط لم يأخذني للمواجهة بل قال لماذا لا تكتب رسالة تبين له فيها رأيك وحالك واسلمها بيدي الى الزعيم وحينذاك يقرر مايقرر، فعملت بما اراد ومن المؤسف لم احصل على نتيجة ومن ثم جاءني الدكتور الشواف لعيادتي وحبذ ارسال رسالة اخرى وقد تكون اكثر فائدة والنتيجة لم تحصل المواجهة فانتظرت وانتظرت وجاءني الدكتور الشواف ثانية واقترح تجديد رسالة اخوية وايد آمر الانضباط بطلب الزيارة والمواجهة حسب الوعد وها انا امام المحكمة الموقرة ومع ذلك فاني صابر وكلي ثقة بزعيمي لاني اعرفه حق المعرفة. ولقد ظهر من سير المرافعة اني لم اتصل بأحد ولا ادري بالموقف وماهي المؤامرات وما هي علاقتي بها فليس من شيمتي ولست خائنا ولله الحمد بل اني مخلص للاخوة وجمهوريتي ما استطعت، والايام بيننا وادع تقدير ذلك للمحكمة المحترمة واني لا اصف اعتقالي ولكني اقول لمحكمة الشعب بان ما ألاقيه اشد من السجن والله مع الصابرين.

الاشاعات والدعايات: ـ ثبت من سير المرافعة باني لم اكاتب احد اي كان حينما كنت في خارج العراق، ولم اتصل الا بالموظفين العراقيين الرسميين، ومهما حاول الصحفيون والسينمائيون والمصورون ومندوبو التلفزيون والاذاعات الاتصال بي الا انهم فشلوا. اما عن اخبار تنقلاتي فواضحة فاني امر بالمطارات والكمارك وجوازات السفر وجواز سفري صريح، الامر الذي يكشف هويتي فورا وكشخص له صفة سياسية تذاع اخباره فورا وهل يعد هذا ذنبا؟ وهل بمقدوري اسكات الاذاعات مهما كان نوعها؟ اما بصدد اشاعة قدومي الى بغداد فالامر ليس بسري كما نوهت في اول الكلام اذ ان الزعيم اوعد بعودتي امام جميع الحاضرين ومن المحتمل انهم قدروا يوم عودتي هو يوم ٥ ـ ١١ وتناقلتها الالسن والدعايات المغرضة ومع ذلك فقد كذبت الاشاعة لاني وصلت يوم ٤ ـ ١١ وليس يوم ٥ ـ ١١ وان الذي حقق موعد الوصول هو تأريخ مرور الطائرة فلو تأخرت لتأخرت ولم يثبت لدى المحكمة ولم اجد اي شاهد قد تحدث وقال بأني قلت له او خبرته بأني سأعود للعراق بتاريخ معين بل اني نفسي لم اكن اعرف عودتي وان الدعايات والاشاعات المغرضة هذا شأنها. فلو ضربنا مثلا باذاعة الاردن فالعراق اليوم ليس بجمهورية وانما اعدام الزعيم الركن عبدالكريم قاسم والعقيد الركن عبدالسلام وغيرها وكما ان عضو مجلس السيادة السيد خالد النقشبندي قد تقدم برتله المزعوم وقضى على الجميع واعاد الحالة كالسابق، فهل هذا صحيح؟! وهذا مثل بسيط. ولنقس غيره عليه لاسيما وان مفرقي الصفوف والاستعماريين واذنابهم موجودين وقد سمعت اثناء سير المرافعة بحدوث حدث

يوم ٥ - ١١ فاين هو الحدث وكما بين سيادة رئيس المحكمة بين يوم واخر تصلنا احاديث وحوادث واشاعات فهل نصدق بها ثم مامدى علاقة الاشخاص بها. ومع ذلك فاني اعلن امام المحكمة الموقرة بان ليس لي اتصال (وقد ثبت ذلك) بأي شخص سواء كان في العراق وانا بالخارج او اي شخص اخر ينتسب لدولة اجنبية او دعاية او اذاعة او صحافة وما شاكلها فانا حاضر لتلقي التبعة والمسؤولية ان ثبت ذلك. هذا وان تنقلي جرى وفق الخطة المرسومة وبرفقة الموظفين العراقيين الذين نوه عنهم السيد علي حيدر سليمان في افادته، كما ان اخبار العراق كانت مقطوعة عني تماما اذ لم اشاهد اي شخص قادم من العراق حينما كنت في اوربا ولم اسافر الى اي قطر عربي كما زعمت به الدعاية الصهيونية المسمومة وبامكان المحكمة المحترمة التأكد من ذلك.
اما اسباب عدم شرائي الملابس المقتضية للسفراء والسيارة فالكل يعلم نحن في بغداد نتمكن من تجهيز بيت كامل في بضع ساعات فكيف في اوربا، والعادة الجارية شراء جميع اللوازم حاضرة من المخازن ومنها الملابس وهو الاسلوب الاعتيادي واما شراء السيارة فما اسهله في اوربا وخاصة في المانيا سواء كان من المعامل او الشركات هذا واني انفي نفيا قاطعا بأي اتصال مع حزب او منظمة او اشخاص يخشى من اعمالهم على سلامة الجمهورية وقد ثبت لدى المحكمة المحترمة بعد كشفها المؤامرات ان من مثلي ومن ضحى بحياته وعائلته وكل عزيز عليه لتنفيذ خطة قائدنا الكريم وتكوين جمهوريتنا وان هذه المرافعة لتأييد لما نقوله ونعمله بحسن نية وخدمة صادقة انشاء الله.

شهادة الشهود - ظهر للمحكمة الموقرة من سير المرافعة كان اكثر كلام الشهود سماعيا. سمع عن فلان وعن فلان ولايخفي ما لأثر الزيادة والنقص في الكلام بالاضافة الى التحريف وهذا له اثره الضار ولكن ثقتي بعدالة المحكمة تزيل الشكوك. ثبت للمحكمة المحترمة من بعض افادات الشهود انه كان متحاملا بل اظهر احدهم استعمال كلمات غير لائقة وانا بحماية المحكمة تكرر ذلك مع العلم اني قد تنازلت عن حقي وفاء للاخوة التي بيننا وترفعا عن الصغائر ولا حاجة لتبياني تقدير اهمية مثل هذه الشهادات وصحتها ولنكن عند حسن الظن دوما ونأمل تمحيص هذه الاقوال لهؤلاء الشهود.
ظهر من بعض الشهادات افتراء وزور كشهادة السيد شاكر محمود الموظف الزراعي مشاهدته لي في دعوة ابو غريب وعين ملابسي وحملي الكامرة بينما قد ثبت لدى المحكمة الموقرة كذب شهادته من اولها الى اخرها فيما يخصني وان مثل هذا القول ينطبق على شهادة الرئيس عمر فاروق من الانضباط العسكري الذي لم يقم بدوره اي من الضباط الثلاثة الاخرين وافترى علي باني طلبت منه المساعدة لخلاصي وناقض نفسه ولم يثبتها وقال (حينما سألت العقيد اذا نزلوا عليك اشخاص بالبرشوت هل تذهب معهم فأجابني بالرفض وانه يبقى في بلاده ولايقوم بمثل هذه الاعمال التي لاتناسبه) وكما موضح حينما سألني عن الزعيم بادرته باظهار حبي واخلاصي لزعيمنا. لقد نسبت لي بعض الاقوال التي لا اذكر باني قلتها يوم سفري الى بون فأبين للمحكمة انه لم تصدر مني مثل هذه الاقوال لاسيما وقد ثبت للمحكمة الموقرة الحالة النفسية التي كنت فيها والتهيج العصبي فكيف اعطف على نوري السعيد وانا من اولئك الضباط الذين قاموا بواجبهم المطلوب تجاه نورى السعيد وزمرته. بل انا في وقت نوري السعيد كتبت كتابا رسميا على ذوي

نوري السعيد واتذكر جملة منه مشهورة لدى الجيش (من كان بيته من زجاج فلا يرمي الناس بالحجارة) وقد ترتب على ذلك اجراءات رسمية ومجالس تحقيقية، ولولا التزام آمري في ذلك الوقت وهو زعيمنا المنقذ الذي اغلق القضية فكيف اذكر نوري السعيد اليوم فحاشا لله.

الاتصال بالسياسيين غير العراقيين: - بينت للمحكمة المحترمة واثبتته بافادة الشهود عدم انحيازي لاي جهة او فئة معينة لذا فعند ذهابي للشام لم اتصل اي اتصال فردي بل اني لم اكن اعرف الساسة جيدا واؤكد للمحكمة بان المقابلات كانت رسمية وبحضور الوزراء الذين كانوا معي وبالامكان السؤال منهم.

قدوم وفد الجمهورية العربية المتحدة للتهنئة بالثورة كان يعلم رئيس الوزراء ودلالة وزير الارشاد واني لم ار الوفد الا مرة واحدة في مجلس الوزراء ولا اعرف معظمهم وكانت المقابلة رسمية وتبودلت الكلمات بين سيادة الفريق الركن نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة ورئيس الوفد واني لم اذهب الى اي دعوة اقيمت على شرفهم وحتى اني لا اعرف جيدا من يضم الوفد اما الاتصالات بالسياسيين العراقيين الذين كانوا بالشام كالسيد رشيد عالي وغيره فانفي ذلك نفيا قاطعا ويؤيد ادعائي الوزراء الذين كانوا معي وبامكان المحكمة المحترمة السؤال منهم وعلى ما اتذكر سلم علي فقط من العراقيين السيد عزيز شريف.

شهادة سيادة رئيس اركان الجيش: - لقد ايد سيادة رئيس اركان الجيش بشهادته مايلي: -

أ - ان الغاية من اعادة العقيد نعمان ماهر لوزارة الدفاع لرفع مجلة الجندي ومحاولة اصدار مجلة القوات المسلحة واعلم المحكمة باني لم اصدر امرا باعادته ولست مسؤولا عن ذلك وليس من صلاحيتي. وكان الكتاب موقعا من رئيس اركان الجيش.

ب - لم اتدخل ولم اتحزب الى اي جهة معينة او فئة وذلك بصفته حاكم عسكري.

ج - لم اتدخل في المطبوعات وشأنها بل انها كانت تعود اليه بصفته حاكم عسكري عام.

د - لم اتدخل في اي اعتقالات او الافراج عن اي كان لانها من صلاحية الحاكم العسكري

هـ - ايد بانه جرى بحث جريدة الجمهورية في مجلس الوزراء لانه كان يحضر الجلسات ولايخفى على المحكمة الموقرة ما تدحض هذه الشهادة من الاقاويل الفارغة التي لا تمت الى الحقيقة بصلة.

شهادة الزعيم الركن خليل سعيد: - اعتقد لم يظهر اثر لوجود اسم الزعيم الركن خليل سعيد في الهيئة العليا لضباط الثورة واني متأكد من ذلك وقائد الثورة والهيئة العليا تعرف ذلك. حلل شخصيتي بسوء تفاهم مع مقر القوة الالية ونقلي ضابط وابين للمحكمة المحترمة اني اعتد بضباطي والتزمهم على الحق مهما ادى بي الامر وبخصوص نفس الضابط المنقول اصررت على عدم انفكاكه لان نقله كان على شكل سرقة وكان زعيم الثورة امر لوائي حينذاك فأسندني لاني على حق ولم افك الضابط المنقول من الفوج الا بعد رجاء زعيمي. واما الحسنات والتعاون

والاخوة فوضعها في سلة المهملات وعلى كل هؤلاء أمرهم ولكي اعطي فكرة بسيطة عن الموما اليه واعماله المثبتة رسميا احب السؤال منه اولا : ـ من الذي تجسس على الضباط ووشى بهم حينما اخذ الفوج من المرحوم الزعيم الركن امين خاكي وهل كان عمله وطنيا في حينه؟
ثانيا : ـ من الذي اتصل باليهود في حركات فلسطين سنة ١٩٤٨ واخذ كاميرة منهم كهدية ونحن في حربنا المقدسة معهم وفي ذلك الوقت العصيب؟ وجرى التحقيق معه ولولا شفاعة الشافعين لعلم ما جرى به واني اقول ذلك وفي غاية الالم لان المسألة انحرفت الى اقارب وخصوصيات وكلامات عامية لايقولها شخص مسؤول وبوسعي ان ابحث وابحث ولكني اترفع اكراما للثورة واحتراما للمحكمة المحترمة. اما ماجاء بخطة لواء التاسع عشر الذي زعم اني لا اعرفها فالامر نودعه الى زعيم الحركة بل وهل يتذكر الموما اليه غداءنا سوية لدى العقيد محمود عبدالرزاق في الفوج. اما ما جاء بخطة اللواء الخامس عشر فاسألوا زعيمنا في اي ساعة من الليل وصل جلولاء وكم بقي عندي في البيت وماذا طلب مني؟ وفعلا حضرت له كلما اراد وكانت لدي سرية تذهب في الصباح الباكر الى بغداد وآمرها المقدم ابراهيم قسطو ظاهرها مكافحة الجراد وباطنها ماقرره زعيمنا علي ان اعقبها بالقوة المطلوبة واسألوا الرئيس فاضل الساقي من الفوج الثاني لواء العشرين ألم يصلني الساعة الرابعة صباحا ورأى كل شيء حاضر وقال سيدي العزيمة اجلت اذ كان هو ضابط الارتباط وهذا يعني ان الحركة تأجلت.

خطة كلية الاركان : ـ بامكان المحكمة المحترمة ان تسأل العقيد الركن عبدالغني الراوي الذي جاء بالغدارات وعرض الفكرة وكيف تم اتصاله بي وكيف اخذته للزعيم ولم تحصل الموافقة على العمل وكان ذلك بحضور العقيد فاضل محسن الحكيم. افاد الزعيم خليل حول الخطة واللجنة واني اقول كان عليه ان يسأل اللجنة هل هي وضعت الخطة ام لا والجواب عند زعيمنا وقائدنا الذي كانت في جيبه الخطة وبالرغم من تنقلات الزعيم خليل بين اربيل وكركوك وجلولاء وبغداد كان يستلم الكتب من عبدالسلام ويتصل بعبدالسلام فشكر له ان اهم خبر لديه انه قد علم بالثورة المباركة من الراديو على المحكمة المحترمة تقدير شهادته. جاء في افادته حول مجلس قيادة الثورة وذكر قبلا من قبل العقيد الركن عبدالوهاب امين بأن الزعيم ارسله الي واعلن امام المحكمة المحترمة الجواب من اختصاص الزعيم نفسه. اما ما جاء بساعة وصول الفريق الركن نجيب الربيعي فلم يكن اي شخص يعرف ساعة الوصول بالضبط وكان جوابي صحيحا اذ اني ذهبت مع سيارة زعيمنا ووصلنا مع الاسف متأخرين ويجوز ان يكون قد وصل الزعيم خليل قبلنا اما ماجاء بافادته بوجود برقية تفيد ان العقيد عبدالسلام وضباطه يبايعون فاني انفي نفيا قاطعا صدور مثل هذه البرقية مني لا امرا ولا كتابة ولا توقيعا ولاتخويلا ولا اعرف عنها كل شيء واني مستعد لتحمل المسؤولية ان ثبتت لي اي علاقة بها بل اني اعتبرها دسا علي وبذا يستبان للمحكمة المحترمة اهمية شهادة الزعيم المذكور والاستنتاج منها. واني لا اعرف اخيه ولا غيره ولا سيارته فالاخ كأخيه فان كان الاول يهرول بين اربيل وبغداد فما اسهل هرولة الثاني بين بغداد وبعقوبة ولم يكن همنا البطولات والظهور على المسرح ويعلم زعيمنا الكريم بذلك فهناك اسرار الثورة التي لايعرفها الا الله والراسخون في العلم والايام بيننا وقد ثبت للمحكمة ان عبدالسلام مندفع ومتحمس فاني نذرت نفسي لوجه الله ولخدمة بلادي قولا وفعلا وبشرت شعبنا

الكريم بجمهوريته الغالية يوم ١٤ تموز الخالد وانا واثق من النجاح لاني كنت اعمل تحت ثيادة زعيم حكيم ورحمة ونصر رب رحيم.

افادة العقيد عادل جلال: ـ ان ما جاء فيها اني احب ضباطي فهذا امر مفروغ منه وكل آمر يجب ان يحب معيته بصورة عامة ويعطي ذي حق حقه، وكل قدر قدره. فكان يريد الموما اليه ان اطلعه على كل شيء بالنسبة للثورة وهذا لايمكن تنفيذا لامر زعيمنا للمحافظة على الكتمان والسرية، حتى انه اعترف بان الزعيم قال له خذ اوامرك من العقيد الركن عبدالسلام. اما بشأن احالته على التقاعد بعد تعيينه قائمقام فهذا امر قانوني شمله وشملني ايضا فكل ضابط ينقل الى وظيفة مدنية يصبح متقاعد بالنسبة للجيش ولكنه رجاني بتأخير ذلك فعرضت ذلك للزعيم. وان امر اختياره قائمقام كان برغبته ويأمل النقل الى مندلي ولايليق بي ان اجيب على بقية شهادته لعدم الاهمية وانما هذا جزاء الاحسان.

افادة الرئيس الاول الركن سليم الفخري: ـ شهد بأني مواطن شريف ومخلص حينما كنت معه واني كنت اعمل ضد الاوضاع البائدة بل حتى وزعت المناشير ولم يستطع بل ولم يجزم على رأيي وفكرتي او انحرافي على مبادئي في الوقت الحاضر وقد استقبلته استقبالا حسنا ولم اطلب منه اي توقيع على وثيقة فلدي لسان وانا اعبر عن نفسي لاغيري وقد اكد ذلك، واما تعيينه فقد بين انه صديقي وجاءني بحالة هو يصف نفسه ووضعه وملابسه، فأشفقت عليه اخوة، وذهبت لزعيمنا قلت له هذا ضابط من الجيش ونكب من العهد البائد وكان يرغب سليم ان يكون في الخارجية الا ان وزير الخارجية اعتذر واعتذر بل وابى بتعيين سليم في الخارجية والوزير موجود وبالامكان السؤال منه، فتوسط لدى الزعيم بتعيينه على الاقل كمترجم في الاذاعة للاستفادة من لغته فوافق الزعيم تلطفا منه ومع هذا لما جاء الي واشتغل في الاذاعة بين اني لا اميل الى اي حزب او اي جماعة وقلت له هدف واحد حزب واحد شعب واحد ولا اتجاهات معينة انما اتجاه الجمهورية وايد ذلك في افادته كما انه بين بأني كنت اتقبل كل نصيحة والاعتذار عن الاخطاء لاني بشر والرجوع عن الخطأ فضيلة. اما مخابرته بشأن شريط الامير البدر فالغاية واضحة لاننا كنا لانريد نقول وحدة او اتجاه وظهور شريط من قبل شخصية في الاذاعة له بعض التأثير ولذلك تمت المداولة مع رئيس الوزراء وبعدما فحص الشريط سمح باذاعته واما بشأن الصحف فكما بينت ان الصحف ليست من واجبي ولذلك كل من يراجعني لطلب صحيفة امتنع لست مسؤولا، ومن ثم ان الصحف كانت تابعة الى مجلس الوزراء وجاء ذكر السيد كامل الجادرجي ومما يدل على اخوتي وبساطتي وسلامة نيتي قلت له ليس بيننا شيء سوى اننا لم نر الاخر ولم يسلم الواحد على الاخر وبالامكان الملاقاة والتصافح والاخوة وفعلا قام بهذا الدور. وقد ايد ذلك بسلامتي وبساطتي حينما اخبرني ان الشيخ احمد لم يكن مرتاح جدا من مقابلتي فقلت له لماذا قال اعتقد كانت الترجمة خطأ فتألمت لهذا الحادث وقال من البساطة ان اذهب اليه واعتذر له وقلت له اني ارغب في رؤية الشيخ احمد ومع ذلك قام بدوره والشيخ احمد كان مسرورا لهذا الاعتذار بل اني قمت له بكل واجب حتى اوصلته الى اربيل ومع الاسف اني هنا في المحكمة ولكن لدى

رسائل من الشيخ ومن ابنائه تؤيد صداقتي معهم بل واخوتي معهم واما الدعاية التي جرى الكلام عنها فليست تابعة لي فقط وانما دعاية هناك وزير ارشاد وهناك مجلس وزراء وهناك توجيه ولست مسؤولا عن ذلك. كما اثبت الرئيس سليم الفخري ان خطبتي كانت بسيطة ولا تدل على اي اتجاه او ميل او تحزب او فئة معينة.

افادة الملازم فالح الناصري: ـ ايد الضابط المذكور بانه لم يسمع باسم عبدالسلام وليس لعبدالسلام علاقة او وجود انقلاب او ماشاكل ذلك.

اما الملازم الاول محمود فرج فأيد عدم وجود انقلاب في يوم ٤ ـ ١١ ـ ٥٨ واكد بان عبد السلام لم يذكر اسمه بتاتا واما ما عدد بشأن تعيين اشخاص لمناصب فهذا تابع لمدير الشرطة العام وذلك تابع لوزير المعارف والاخر لوزير الدفاع ولست مسؤولا عنهم ابدا والمهم ان اذكر المحكمة المحترمة بذلك الشاهد واعطى افادته والمصيبة انه يبنى استنتاجات على عبدالسلام فندع الاستنتاجات لتقدير المحكمة المحترمة.

اما الملازم الاول شهاب احمد فقال انه لم يشاهد عبدالسلام قبلا ولم يسمع باي خطة انقلاب او غيرها وان الاشاعات لاتدور على عبدالسلام بل دارت على نقل غيره، وان اسم العقيد الركن عبدالسلام لم يذكر بتاتا كما انه افاد بان رأيه لايصلح العقيد عبدالسلام كسياسي ورأي شخص اخر ايضا لا اتذكر اسمه ايضا ان العقيد عبدالسلام لايصلح كسياسي وهذا يثبت للمحكمة المحترمة كيف يكون التام بين العقيد عبدالسلام ومثل هؤلاء.

الانقلاب: ـ ثبت من افادة الملازم فالح الناصري والملازم الاول محمود فرج والملازم الاول شهاب احمد بعدم وجود انقلاب او مؤامرة، لم يذكر اسم العقيد عبدالسلام محمد عارف بتاتا. لايصلح العقيد عبدالسلام كسياسي وعليه فكيف يمكن ان تكون اجابة او علاقة او اتفاق او مايسمى بتبديل او انقلاب او اي تغيير اخر فهذا دليل واضح واثبات قطعي على براءتي ولست متهم باتصال لاني بريء. لم نجد اي شاهد اثبات او اي افادة ذكرت اسمي او وجود علاقة مع اي شخص او اجتماع او توجيه مباشر او بالواسطة لما يسمى تآمر او تبديل وهذا مما يثبت براءتي بل اني بعيد كل البعد عن هذه الافكار والاعمال الزائفة وعليه فاني اتأمل من المحكمة الموقرة الالتفات الى هذه الناحية وتبرأة ساحتي.

وختاما ابدي لقضاة العدل وامامهم العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف ابن الرابع عشر تموز واول صوت غرد في عهد الحرية واذاعة الجمهورية ولابد من ذكر الاعمال التالية والتي ظهرت للمحكمة المحترمة جلية اثناء المرافعة:

اولا ـ اشتغالي بكل اخلاص بأمرة زعيمنا والقيام بالاستعدادات والمتطلبات للثورة سواء كان داخل العراق او خارج العراق.

ثانيا ـ تأيد للمحكمة المحترمة بأني الممثل الدائم لاخي الاكبر وزعيمنا في كل مناسبة بل موضع ثقته الدائم وان علاقتي به قوية فوق الوصف.

ثالثا ـ اعتقلت اول مجرم ضد الثورة والسيطرة على فوجه وهذه باكورة نجاح الثورة.
رابعا ـ سيطرت على جحفل اللواء لتنفيذ خطة الثورة.
خامسا ـ نفذت خطة قائدنا بمسك الاهداف المطلوبة في بغداد وقيام جمهوريتنا الغالية وكان صوتي اول صوت نادى بالحرية والجمهورية ورافعا اسم زعيمه الكريم. وبعد فان الله قد اعطى لنا امنيتنا وحقق آمالنا وسحق الاستعمار ويعلم الجميع ان مثلي من زعيمي كمثل اسماعيل من ابراهيم الخليل بل وقصتي كقصة اسماعيل عليه السلام فقد بلغت مع زعيمي الثائر فأنه راى ان يذبحني وفي ذلك مصلحة للشعب والجمهورية فاقول له بكل طيبة خاطر افعل ماتؤمر وستجدني ان شاء الله من الصابرين، وقد اسلمت لك نفسي ومصير عائلتي والله يشهد باني لك ولجمهوريتنا العزيزة من المخلصين واني مؤمن من محكمة الشعب الموقرة ان تبرىء اخيها في الجهاد وتنجيه من الكرب العظيم وانها تقدر تضحيته واعماله وتنقذه من براثن الاستغلاليين والاستعماريين ومفرقي الصفوف وذوى الداعايات والاقاويل الفارغة وبهتان التآمر المزعوم والانقلابات الخيالية فحاشا ان من ضحى بكل ما اوتي في سبيل وطنه وقيام جمهوريته وبأمرة زعيمه ان يقوم بما يمس زعيمه او جمهوريته، واني لبرىء وقد ثبت ذلك في اثناء المرافعة وبشهادة الشهود وان كافة اعمالي كانت بحسن نية وخدمة صادقة والله من وراء القصد، وادعو لجمهوريتنا الغالية ولشعبنا الكريم بالتوفيق وبزعامة زعيمنا المنقذ الزعيم الركن عبد الكريم قاسم والله ولي التوفيق والسلام عليكم.

(وفي الساعة الثانية عشرة اعلن الرئيس رفع الجلسة للاستراحة لمدة ربع ساعة. وفي الساعة الثانية عشرة والربع عادت المحكمة ثانية للانعقاد).

الرئيس ـ المتهم عبدالسلام عارف. (نودي على المتهم عبدالسلام عارف فحضر القاعة وادخل قفص الاتهام)

الرئيس ـ قبل توجيه اسئلة المحكمة اليك ذكرت بدفاعك بانك تلاقي في سجنك ما تلاقي فهل عذبت؟

المتهم ـ بوصفي انا كمعتقل والمعتقل ليس كالسجين فالمعتقل يجب ان يقرأ يجب ان تعطى له الحرية في الخروج من الغرفة يجب ان يزوره اهله يجب ان يكون له الحق في التمشي على الاقل الصبح ساعة والعصر ساعة وهذه الامور حرمت منها.

الرئيس ـ هل هذا كل ماتلاقيه؟ وقبل الدخول في الاسئلة اود ان اذكر ابيات لشوقي طبعا قالها قبل وفاته في سنة ١٩٣٤ حسبما اذكر وبنفس السنة مات شاعر النيل حافظ ابراهيم قال: ـ

الى ما الخلف بينكم الى ما   وهذي الضجة الكبرى علاما
وفيم يكيد بعضكم لبعض   وتبدون العداوة والخصاما
فأين الفوز؟ لامصر استقرت   على حال ولا السودان داما

فان الفكرة العامة سواء في المحكمة او لدى الشعب العراقي العظيم بان من يسيء الى اهداف

الشعب الحقيقية سواء كان في العهد البائد الذي قضى عليه الشعب والجيش وسواء كان في العهد الجمهوري الخالد سواء كان ذلك من قبل من قام واشترك في ثورة ١٤ تموز الخالدة، ان من يسيء الى اهداف الشعب الديمقراطية الحقة لايفرق في جرمه ان ثبت عن اي شخص مجرم في العهد البائد لذلك اقول ان مايدور في هذه المحكمة هو عن انحراف في اهداف الثورة قد اتهم بها المتهم ومحاولة لاغتيال الزعيم الاوحد عبدالكريم قاسم ثم ان ماسمعناه في دفاع المتهم لايترك حاجة لعنجهية الخطب والتهريج، فنرجو ان يكون الجواب بقدر السؤال سواء في الاجابة او بشكلها والسؤال هو: -

- ماهي الدوافع الحقيقة للشروع في اغتيال سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء من قبلك؟

المتهم - لم يكن هناك اي شروع.

الرئيس - اذا كان الهدف انتحارك كما تقول فلماذا اخترت تلك الساعة والمحل بالذات؟

المتهم - بينت في افادتي وكررتها بان الفكرة جاءتني آنياً واصبحت لا ارادي الشعور.

الرئيس - لماذا سحبت مسدسك خلسة وانتخبت اللحظة التي كان فيها سيادة الزعيم مستدير ظهره ومنشغلا عنك بالتحري عن اوراق تحت ساعة موضوعة على منضدته؟

المتهم - لم اسحب المسدس بتاتا.

الرئيس - اذا كنت تقصد الانتحار بداخل الغرفة فلماذا لم تختر ركنا من الغرفة لتحقيق غايتك بصورة اكيدة وتبعد عنك تهمة اغتيال سيادة الزعيم لاسيما وان المنتحر يخرج عن طوره؟

المتهم - بينت قبل ان الفكرة جاءتني آنيا وليست مرتبة وبصورة لاارادية فمن يدبر يمكن ان يحكم عقله ولا يقدم على الانتحار..

الرئيس - العوامل التي دفعتك الى اغتيال سيادة الزعيم واضحة حسبما ظهر من تصرفاتك لاسيما وانك اصبحت موتورا بعد اعفائك من مناصبك وابعادك حسب رأيك المغلوط فما قولك؟

المتهم - في رأيي لم اكن موتورا ولا اكون موتورا وان اعفائي من المنصب لايؤثر علي بتاتا وانما اردت من زعيمي الاكبر ان لم يجعلني كجندي كاتب، فاكون كمواطن في بيته واعتقد في عهد الحرية في عهد الجمهورية للمواطن ان يجلس في بيته.

الرئيس - جاء في دفاعك، الخلاصة، انك تحب الزعيم الى درجة كبيرة وانه كأخيك وجاء ايضا بأفادة الشهود واقوال اكثرهم يظهر لهم ان اتصالك اتصال قوى جدا وخاصة قبل الثورة ببضعة اشهر وعند ليلة التنفيذ كما تدعي انك نفذت خطته فهل من الاخلاص والاخاء عدم اطاعة الزعيم وحتى لو كان في ذلك الموت؟

المتهم - والله اني اطعته على الموت ولكن المهم رأيي الشخصي كنت اريد البقاء قرب الزعيم حتى اكون فداء للزعيم.

الرئيس - لماذا كنت تريد البقاء وتكون فداء للزعيم؟

المتهم - لان البلد محاط بالاجانب والجواسيس والمدمرين فبهذا الوقت الجمهورية تحتاج الى ايدي عاملة فكنت افضل ان اكون تحت متناول يده للاستفادة مني.

الرئيس - هل هذا من واجبك الاساسي؟

المتهم - على كل هذا رأيي وانا اقول رأيي صراحة وقلبيا والله يشهد.

[واستمرت اسئلة رئيس المحكمة العقيد فاضل عباس المهداوي الموجهة الى المتهم العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف. على هذا المنوال، محاولا انتزاع اعترافا من ان الزعيم عبدالكريم قاسم هو المخطط لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. وان العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف لم يكن غير منفذ لخطة (الزعيم)!].

ثم سأله المهداوي:

- **الاتعتقد** ان تصرفاتك هذه اوجدت البلبلة في صفوف الشعب؟!

المتهم - لا اعتقد لاني ابن الشعب.

الرئيس - واذا كنت ابن الشعب؟

المتهم - فيجب ان اساوى كأبناء الشعب.

الرئيس - كيف تساوى وانت تعمل ضد مصلحة الشعب؟

المتهم - لم اعمل ضد الشعب.

الرئيس - الشعب باجمعه يقول بانك اول من اراد ان يشق الشعب ولكن الشعب بقي وحدة تجمع العرب والاكراد وتحت لواء الجمهورية العراقية فقط الى ان تنتهي فترة الانتقال وعند ذلك تبدأ فترة الحياة الديمقراطية باستفتاء شعبي حر فيقرر الشعب مصيره لا انت ولا غيرك الحكم للشعب وحده واذا كنت ابن الشعب وتسيء الى الشعب ألم يكن المجرمون في العهد البائد هم من ابناء الشعب؟

المتهم - انا لست بمجرم وان التاريخ سيثبت وانت ستثبت اني لست بمجرم.. انا عبدالسلام.

الرئيس - واذا كنت عبدالسلام تعمل ضد السلام والحرية؟

المتهم - انا عبدالسلام لست بمجرم انا من ضحى بكل شيء.

الرئيس - اذا ضحيت وانحرفت عن اهداف الثورة.

المتهم - لم انحرف بتاتا ويستحيل ان انحرف.

الرئيس - عملت على انشقاق الشعب في سبيل غاياتك وفي سبيل اهدافك الشخصية ومصلحتك الشخصية لامصلحة العرب او الشعب او الوطن او الجمهورية مطلقا.

الادعاء العام - عندما اعفى المتهم من مناصبه هل عمل اجتماعات في داره وحضرها بعض الوفود والمواطنين ام لا؟

المتهم - انا شخص عربي وانا شخص من هذه الامة فاذا جاء واحد وقال السلام عليكم هل اقول له لا عليكم السلام.

الرئيس - اجب على قدر السؤال لا حاجة الى الخطابة.

المتهم - انا لم اجمع اي جماعة.

الرئيس - لاتنتهي الانفس عن غيها مالم يكن منها لها زاجر

الادعاء العام - هل تتذكر الخطابات التي حصلت في دارك مساء يوم٣ - ١٠ - ٥٨ يوم الجمعة بالذات.

المتهم - لاتوجد خطابات كل من يأتي اقول له اخلص لجمهوريتك نحن كلنا اخوان.

الادعاء العام - هذا نموذج من الخطاب الذي حصل عصر ذلك اليوم.

(حضر عدد من البعثيين والقوميين ورددوا هتافات وخطب فقام احد البعثيين وقال (اننا نعاهدك على ارجاعك الى المناصب) فقام المتهم ورد على الخطابات والهتافات بخطاب اخر هذا بعض ماجاء فيه (هناك خربطة وقشمريات وانني اطمئن الحاضرين انني لن اذهب الى المانيا) واستشهد بالنبي محمد الذي لقى العذاب في سبيل مبدأه. ان العراق كما يبدو بحاجة الى اكثر من ثورة واحدة وانني تركت المناصب لهم).

الرئيس - فما هذه الثورات التي ترى العراق بحاجة اليها؟ ومن هم الذين تركت لهم المناصب؟

المتهم - انا لا اعرف بهذا الكلام الذي يستند على السماع وقد يكون دجال الذي اعطاك هذا.

الادعاء العام - اذكرك بالحادث في نفس اليوم وفي نفس الاجتماع حضر دارك كل من ناجي طالب والركابي وجابر عمر وفيصل الحبيب الخيزران وقدوري السيد علي وحسين احمد الصالح رئيس حزب التحرير وانور ثامر وقد اختليت بكل من ناجي طالب والركابي بغرفة بجانب محل الاجتماع فهل تتذكر هذا الحادث؟

المتهم - انا لا اتذكر ابدا وجود اجتماعات لكن اتذكر ان ناجي طالب جاءني وفؤاد الركابي وهم كوزراء اجلسناهم بمحل اخر وكان عندنا نساء في البيت ونحن اناس محافظين كيف اجلسهم بالقرب من النساء فجلسوا بالصالون.

الرئيس - والاخرين الذين ذكرهم المدعي العام؟

المتهم - احد الذين ذكرهم هو ابن خالتي فهل يجوز ابن خالتي لايأتي الى بيتنا اما البقية فلا اعرفهم.

الادعاء العام - ان اصراره امام الحفل في عدم الذهاب الى المانيا تؤيده الحوادث التي حدثت فيما بعد اول حادث استشهد فيه اصراره التام من الساعة العاشرة حتى الساعة الحادية عشر رغم قادة الفرق ورئيس اركان الجيش والزعيم وكل من كان حاضراً في ذلك الوقت.

الرئيس - من العاشرة صباحا الى الحادية عشر نيلا طبعا (حوالي ثلاثة عشر ساعة).

الادعاء العام - نعم. ذهابه الى المانيا الغربية وعودته المفاجئة تلقى ضوء على اصراره في البقاء وقد ايد ذلك عدد من الشهود بما فيهم السفير نفسه (علي حيدر سليمان) يؤيد ايضا ذلك الاشاعات التي دارت بوقوع حدث خطير في يوم خمسة وايد ايضا ذلك عندما حصل علم السفير وهو في بون بان المتهم سيذهب الى بغداد هذا اليوم اتصل تلفونيا وافاد الشاهد بحضوركم بانه اخبر المتهم بانه سمعت بانك ستذهب اليوم وانا انصحك بعدم الذهاب لان هذا يسبب لك المشاكل نتيجة لما حصل لديه من معلومات. المتهم اخفى وانكر انه سافر في ذلك اليوم وفي الساعة العاشرة مساء ذهب بنفسه وحجز المحل بالطائرة وعاد الى بغداد. اصراره الاول وهذه الحوادث كلها ترتبط وتجعل القضية واضحة بسيطة لاتقبل اللف ولا تقبل الكذب ولاتقبل الدوران هذه ناحية. اما من الناحية الثانية وهو الانقسام الذي حصل لايمكن ان يقبل النكران فانا اقول له وهو قبل اقل من ساعة ذكر بدفاعه قال انا من حملة المبادىء والعقائد ما هو المبدأ الذي تدين به وما هي عقيدتك؟

المتهم - مبدأي جمهوري وعقيدتي مسلم.

الادعاء العام ـ هل انت كنت تدعو بكافة خطاباتك الى هذه الدعوة؟
المتهم ـ والله لا اعرف وانت تعرف بماذا ابدأ خطاباتي.
الرئيس ـ الجمهورية بمعناها كل المبادىء بها الديمقراطية والاشتراكية الوطنية هناك مبادىء محدودة والجمهورية فوق المبادىء والاحزاب اي الميول، معنى الميول المبادىء، والجمهورية فوق الميول والاتجاهات كما يقول الزعيم عبدالكريم قاسم فالشعب واعي متحرر ولايمكن سواء كان للاجانب او الذين كالخفافيش يريدون ان يطيروا في الليل ويختفوا في النهار لايستطيعون ذلك فالشعب جميعا كحارس قوي متنبه يقظ تجاه الاجانب او اعوانهم لاي غرض كان. ان الجمهورية فوق الجميع هذا الانقسام لايمكن ان يدوم وسيقض عليه قريبا وحتما اوشك ان يقضي عليه بالفعل بفضل وعي الشعب ويقظة الامة واخلاص المخلصين لا الذين همهم المناصب او الغايات المعينة لغرض الشعوذة والدجل باسم القومية المزيفة او الوطنية الكاذبة او الوحدة المضللة الرجعية الدكتاتورية لايمكن ان تحقق الوحدة العربية الا بتحقق ديمقراطي شعبي.
الادعاء العام ـ اقدم دليلا اخر على اتجاهه اتجاه معين يقول ضمن دفاعه انه كان مصرح له في التجوال داخل العراق من قبل رئيس مجلس الوزراء والوزراء كلهم يعرفونه فهل حصل اتفاق من مجلس الوزراء باستصحابه الركابي في كافة جولاته واستصحابه الملحق العسكري للسفارة المصرية هذه الجولات مع هؤلاء الناس اخذ الشعب يتحسس وابتدأ الانقسام منذ اصدار جريدة الجمهورية ومرافقته جماعة ذات اتجاه حزبي معين من دعواته وخطاباته من امتناعه عن الذهاب الى بون من المؤامرات التي تحاك الان من الهتافات في الفلوجة والرمادي وفي جانب الكرخ.

(وفي الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الظهر اعلن الرئيس رفع الجلسة).

وانعقدت المحكمة في الساعة العاشرة صباح يوم الخميس الاول من كانون الثاني ١٩٥٩ برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي، ونودي على المتهم عبدالسلام عارف فحضر القاعة وادخل قفص الاتهام. وبعد ان استمعت الى افادة الشاهد السادس والثلاثين السيد عبدالامير العكيلي ـ ٣٩ سنة، رئيس الادعاء العام ـ الذي تكلم حول اصدار عبدالسلام محمد عارف بوصفه وزيرا للداخلية مرسوما جمهوريا للعفو عن السياسيين وجماعة اهل الحي. وقال بان المتهم من حقه كوزير للداخلية ان يناقش هذه القضايا، ومن حقه ان يستثني اشخاص ويترك اخرين.
الرئيس ـ (موجها الى عبدالسلام محمد عارف). هل لك مناقشة مع الشاهد؟
المتهم ـ كلا
الرئيس ـ المحامي يتقدم لالقاء دفاعه.
المتهم ـ عندي طلب
الرئيس ـ حول اي شيء؟!
المتهم ـ لي طلب خاص من المحكمة المحترمة فاني اعتبر ان شاهد الدفاع الاصلي لي بل هو السند الاساسي الذي استند عليه في براءتي وانقاذي هو سيادة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء فارجو طلبه وتفضله بالحضور لاداء الشهادة لانه شاهد العيان الوحيد وانه اعرف الناس بعملي ونيتي سواء كان في هذه القضية او غيرها واشكركم.

الرئيس ـ ستنظر المحكمة في ذلك وتقرر في حينه.

ثم طلب العقيد فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة الى محامي الدفاع لالقاء دفاعه.

وقف المحامي محمد العبطة الوكيل عن عبدالسلام محمد عارف ليلقي دفاعه، فقال:
سيادة رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة المحترم، قضاة الشعب.. ارى لزاما علي في **معرض** الدفاع عن احد الضباط الاحرار من الذين اسهموا في الثورة ان احي بكل اكبار واعتبار **احي** ابي الاحرار سيادة الزعيم المنقذ عبدالكريم قاسم الذي كان والشعب العراقي في سجنه **الكبير** وطغيان العهد البائد في غلوانه وعنفه يعمل دائبا في صمت وتضحية ثم اشرق بشروق ١٤ **تموز** رافعا لواء الثورة مناضلا في كفاحه المرير داكا عروش التفسخ والفساد، والذي لاذ به **الشعب** الذي هو منه ومعه فسار قدما في تيار الثورة التي لايقف امام تيارها احد فمن يقوى على **وقف** عجلة التاريخ اننا اليوم في اليوم الاول من عام ١٩٥٩ وبعدها سينبع التاريخ في ركن من **اركان** هذه الدنيا العريضة ليسجل اعظم احداثها وفاصل ايامها فسوف لا يجد ولا ريب اعظم **حدثا** من ثورتنا الجبارة هذه التي تبقى وستبقى تدوي في مسمع الزمن وتهدر في انحائه تلمع في **صفحات** التاريخ حتى طي السجل للكتب. لقد احيل موكلي العقيد الركن المتقاعد عبدالسلام **محمد** عارف الماثل امام محكمتكم المحترمة لمحاكمته بتهمة وفق الفقرة السادسة من المادة (٢١٤) **بدلالة** المادة (٦٠) من قانون العقوبات البغدادي وبتهمة وفق المادة (٨٠) من قانون العقوبات **البغدادي** ايضا، وقد استمعت محكمتكم الموقرة الى مطالعة مقام الادعاء العام المحترم الذي **طالب** الحكم عليه وتجريمه بموجبها كما وقد استمعت محكمتكم المحترمة الى شهادة شهود الاثبات **ومناقشة** موكلي المتهم لهم وافادته، لذا وعلى ضوء كل ماتقدم يرى الدفاع ان يناقش قضية موكلي **هذه** بتهمتيها من ناحيتين:
اولا ـ الناحية الشكلية. ثانيا ـ الناحية الموضوعية او الوقائع.
الناحية الشكلية: ـ
أ ـ تهمة الشروع في القتل وفق الفقرة السادسة من المادة (٢١٤) بدلالة المادة (٦٠) من قانون **العقوبات** البغدادي على مايلي: (يعاقب مرتكب القتل قصدا بالاعدام بالاحوال التالية ثم تعدد **المادة** سبعة احوال وردت على سبيل الحصر فيها. والحالة او الفقرة السادسة الموجهة لموكلي وهي **تنص** على مايلي (اذا كان المجني عليه في القتل موظفا عموميا قتل اثناء تأدية وظيفته او بسبب **تأدية** وظيفته) اما المادة (٦٠) من ق. ع. ب. فهي تنص على عقوبات الشروع في الجنايات **والجنح** هذا وان المادة (٥٩) من ق. ع. ب. تعرف الشروع (بانه البدء في تنفيذ فعل بقصد **ارتكاب** جناية او جنحة اذا اوقف او خاب اثره لاسباب لا ارادة للفاعل فيها) وعلى ضوء هذا **التعريف** فالذي يقابل ويشابه الى حد كبير تعريفي القانونين المصري والفرنسي للعقوبات رأي **فقهاء** القانون الجنائي وقضائه ان لابد لانطباق الشروع في اي جريمة من توافر اركانه الثلاثة **وهي** اولا: الركن المادي البدء في تنفيذ فعل. ثانيا: الركن المعنوي اي القصد الجنائي. ثالثا: **ان** يوقف الفعل او يخيب اثره لسبب خارج عن ارادة المتهم.
الركن المادي: ـ ان واقعة سحب موكلي المسدس وردت بشهادة الزعيم فؤاد عارف والشهود **الاخرين** والمتهم ينكرها والذين حضروا بعد انتهاء واقعة سحب المسدس وشاهدوا المسدس **سواء** بيد سيادة الزعيم رئيس الوزراء او بيد الزعيم فؤاد عارف واعتراف موكلي انه لم يسحب

المسدس لكي يقتل الزعيم وانما لينتحر بعد ان ارتبك وضاقت نفسه وضاقت عليه الدنيا وتجسمت في مخيلته حملات الصحافة الاجنبية التي جارت كثيرا وتناقلت خبر تعيينه سفيرا في الغرب بحملة اشاعات مغرضة اقول تجسمت في مخيلته هذه الحملات على ان الغرب واعوانه واذناب عملائه من بقايا العائلة المالكة المتسكعين في اوروبا سينهو حياته حتما فأراد ان يموت في بلده ويدفن في تربته وقد اراد ان يموت تلك الساعة بل تلك اللحظة الشرود لانه كان كله امل لقوة وشائج الاخوة التي تربطه بسيادة الزعيم لعل سيادته ان يتراجع ويعدل عن قرار تعيينه ولكن لما ان رأى ان لامناص من ذلك وان سيادته سوف لايتراجع عما قرره بوجوب سفره لتعلق ذلك بالمصلحة العامة في تلك اللحظة فقط قطع الامل وقرر ان يموت وهذا هو سبب عدم انتحاره في بيته او في بدء سماعه امر تعيينه سفيرا في بون قبل هذا بأيام. ان اعتراف موكلي لايمكن ان يعتبر او يمثل الركن المادي للجريمة وهو البدء بتنفيذ الفعل بما ينطبق وحالة الفقرة السادسة من المادة (٢١٤) ق.ع.ب. بأعتباره مقرا بسحب المسدس بقصد ارتكاب الجريمة مادام اقراره هذا بالسحب ينطوي بقتل نفسه فاذا ذهبت المحكمة الى الاخذ بان اقراره بسحب المسدس كافي لتوفر الركن المادي وهو البدء بتنفيذ فعل انما بهذا ذهبت الى تجسيم جهة الاقرار وهذا لا يجوز، فعليها ان تأخذ الاقرار برمته لا الاقسام التي ضد المتهم فقط وذلك طبقا للمادة (٢٢) من قانون ذيل قانون اصول المحاكمات الجزائية البغدادي رقم ٤٢ لسنة ١٩٣١ التي تنص على المحكمة ان تقبل الاقرار برمته لا الاقسام التي ضد المتهم فقط متى قبلته كبينة وعليها ان تقدر الاقسام المختلفة منه.

الركن المعنوي:- وهو القصد الجنائي. ان قانون العقوبات البغدادي لم يعرف القصد الجنائي كسائر القوانين العقابية الاخرى وذلك لانه بالحقيقة يستمد من وقائع القضية ومجريات الدعوى وظروف الحادث والقاضي الجنائي يستقصيه من كل ذلك، غير ان فقهاء القانون الجنائي عرفوه ومنهم اغلب الشراح الحديثين بانه (عبارة عن تطرف ارادة الجاني الى ارتكاب الجريمة بالشروط التي نص عليها القانون او بعبارة اخرى هو ارادة الاعتداء على الحق الذي يحميه القانون ويعاقب على انتهاكه والمفروض علم الشخص بالقانون) عن الدكتور مصطفى الفلكي في المسؤولية الجنائية. وعلى هذا الرأي كارو وكارصون واوتولان وفيدال هامش صفحة ٨٣. ولو طبقنا تعريف هذا الركن على قضية موكلي فيجب لانطباق الشروع ان يكون لدى المتهم نية الاعتداء، اي نية تنفيذ الركن المادي للجريمة لاسامح الله، وهو ارادة تعمد الفعل المادي المفض للجريمة ولقد جاء في كتاب شرح قانون العقوبات لمؤلفه الدكتور كامل مرسي والدكتور السعيد مصطفى السعيد في بحث القصد الجنائي مايلي (ويختلف القصد الجنائي عن الارادة في ان الارادة هي تعمد الفعل المادي او الترك اما القصد هو تعمد النتيجة المترتبة لذا فهو اخص من الارادة) فالقصد الجنائي يستلزم حتما توفر الارادة اما توافر الارادة فلا تستتبع توفر القصد الجنائي دائما هذا وان موكلي يدفع التهمة بان ارادته قد انصرفت الى الانتحار قد سمعه الشاهد فؤاد عارف الذي كان الشاهد الوحيد مع سيادة الزعيم والمتهم وقد اضاف الشاهد ان المتهم قد بكى في تلك اللحظة فابكى الشاهد معه وكذلك الرئيس الاول جاسم العزاوي وان الشاهد العقيد وصفي طاهر شاهد المتهم يبكي وسيادة الزعيم يهدء به كما ان الشاهد العقيد عبدالكريم جدة جاء بعد الحادث وفتش المتهم وسمعه يقول اريد ان انتحر وان الشاهد محي الدين عبدالحميد جاء بعد الحادث ايضا وشاهد سيادة الزعيم يعاتبه قائلا لماذا تعمل هذا الشيء واذا كنت تريد قتل نفسك اقتل نفسك في بيتك. وايد الشاهد ان المتهم كان مرتبك وحالته النفسية غير طبيعية هذا ولعدم

شهر المتهم المسدس ولتأييد ذلك من الشاهد الوحيد الزعيم فؤاد عارف ان المتهم اخرج المسدس من غلافه فقط فيعتبر القصد الجنائي غير متوفر لان التعمد في القتل كما جاء بقرار محكمة النقض المصرية انه التوجيه اليه بارادة احداثه ولا يعد القتل عمدا اذا انتفت هذه النية مهما كانت درجة احتمال حدوثه. اما الشهود الاخرين قد جاءت شهاداتهم كلهم على السماع اي انهم لم يشاهدوا واقعة سحب المسدس من قبل المتهم وحيث انه يجب اعتبار الشهادة ان تكون صحيحة قانونا ان يكون الشاهد قد شاهدها باحد حواسه وطبقا لما جاء في المادة (٢٥) من قانون ذيل قانون اصول المرافعات الجزائية البغدادي رقم ٤٢ - ١٩٣١ التي توجب اعتبار الشهادة وامكان الاخذ بها كدليل للادانة والحكم ان يكون الشاهد قد شاهدها باحدى حواسه.

٢ - تهمة التمرد والعصيان: - ان التهمة الموجهة وفق المادة (٨٠) ق. ع. ب. والتي تنص على مايلي (يعاقب بالاعدام كل من نظم او ترأس اية عصبة مسلحة هاجمت فريقا من سكان البلاد او قاوم بالسلاح تنفيذ القانون بواسطة مأموري الحكومة او شرع في استعمال قوة ظاهرة للقضاء على الحكومة او تغييرها وتكون العقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة او الحبس للاشخاص الذين انظموا للعصبة دون ان يشتركوا في تنظيمها وان يكون لهم سياسة فيها) ان المادة (٨٠) ق. ع. ب. تقابل المادة (٩٣) من قانون العقوبات المصري والمادة (٩٦) الفقرة الاولى من قانون العقوبات الفرنسي وقد ذكر الدكتور مصطفى القللي لدى شرحه هذه المادة في المسؤولية الجنائية (ص ١١٣) طبعة ١٩٤٧ مايلي: هذه المادة تعاقب من تولى رئاسة او قيادة عصابة مسلحة او اشترك فيها كعضو بشرط القبض على العضو في محل الواقعة ويجب ان تكون غاية العصابة شيئا مما نص عليه في المادة وهو اولا اغتصاب او نهب الاراضي او الاموال المملوكة للحكومة او لجماعة من الناس هذه الفقرة خاصة بالمادة المصرية. ثانيا: مقاومة القوة العسكرية المأمورة بمطاردة مرتكبي هذه الجنايات ويذكر الدكتور القللي تعليقا على ركن المقاومة بانه في هذه الحالة لايكفي مجرد مقاومة القوة العسكرية ايا كانت مهمتها بل يجب ان تكون القوة العسكرية مكلفة بتعقيب العصابة اما عن التطبيق الموجه وفقا للمادة (٨٠) ق. ع. ب. فان الفقرة الثانية من هذه المادة وهي (او شرع باستعمال قوة ظاهرة للقضاء على الحكومة او تغييرها) فقد اضيفت بموجب بيان تعديل قانون العقوبات البغدادي رقم ٢ لسنة ١٩٢٠ ولم يلاحظ المشرع سياق العبارة الاصلية في الانكليزية اذ يجب قراءة كلمة شرع على اعتبارها فعلا مبنيا للمجهول اي شرع والا ضاع قصد المشرع اذ كانت هذه المادة مقتصرة على عقاب رئيس العصابة التي ارتكبت جريمة من الجرائم الثلاث المبحوث عنها فيها واركان هذه الجريمة:

١ - ان تكون هناك عصبة.

٢ - ان تكون العصبة مسلحة.

٣ - وان تشرع في استعمال قوة ظاهرة ويشمل تعبير القوة كافة اعمال العنف التي تقع تحت طائلة القانون.

٤ - ان يكون الغرض من ذلك القضاء على الحكومة او تغيرها ولا يراد بالحكومة الا معناها العام اي نظام الحكم المقرر الذي يعينه الدستور لكل دولة وفي هذا المآل قد عين دستورنا الموقت الصادر في اوائل الثورة الميمونة ان النظام هو نظام جمهوري فاذا كان هدف العصبة المسلحة القضاء على الحكومة اي تبديل نظام الحكم فيها او ما اشبه فتنطبق هذه المادة لذا فيجب لتطبيق هذه المادة وادانة مرتكب جريمتها ان يشرع فعلا في استعمال قوة ظاهرة. فعلانية وظهور القوة

شرط اساسي لتطبيق هذه الفقرة وذلك للقضاء على الحكومة او لتغييرها وهذا هو القصد الجرمي لها. وتطابق هذه الفقرة المادة (٨٧ من قانون العقوبات المصري) التي تنص على كل من شرع بالقوة لقلب دستور الدولة او شكل الحكومة او نظام توارث العرش او تغيير شيء من ذلك وتطابق (المادة ٧٨ من قانون العقوبات الفرنسي) التي تتضمن العقاب على محاولة قلب نظام الحكم ويذكر الدكتور القللي ان تستعمل القوة وتنصرف نية الجناة الى غاية من الغايات التي عددتها المادة وهي قلب الدستور او شكل الحكومة او تغيير شيء من ذلك ويضيف الدكتور القللي انه اذا كان اثبات الركن المادي في هذه الجريمة هينا فأن اثبات القصد الجنائي فيها عسير بل قد يكون احيانا من غير المستطاع وعلى هذا الرأي ايضا الفقيه الفرنسي (كارصون) ولقد جاء في الموسوعة الجنائية للمرحوم جندي عبدالملك (الجزء الثالث صفحة ١١٧) لدى شرحه (للمادة ٨٧) مصري التي تقابل كما قلت الفقرة الاخيرة من المادة ٨٠ ق. ع. ب. ان هذه المادة تحمي شكل الحكومة المصرية كما قرره الدستور وان قلب الدستور هو هدمه وبالتالي استبدال الحكومة النيابية بحكومة مطلقة واما تغيير الدستور فهو تعديل او حذف حكم او اكثر من احكامه او اضافة احكام اخرى اليها وقلب شكل الحكومة هو استبدال الحكومة ملكية مثلا بحكومة جمهورية ان الشرح هو قبل ثورة ٢٣ يوليو واما تغير شكل الحكومة فيكون مثلا بالغاء مجلس الشيوخ او تقييد حقوق الملك او المجلسين وعلى هذا الرأي (كارو) وتنص المادة (٨٧) على عقاب كل من شرع بالقوة فلا يتكون هذا الشروع الا اذا وقع فعل مادي من افعال القوة فالمقالات والكتابات التي تتضمن تحريض على ارتكاب امر من الامور المنصوص عليها في المادة (٧٨) لاتكفي لتحقيق الفعل المادي المكون للشروع المذكور وانما يعاقب عليها كجريمة خاصة بعقوبة اخف اذا لم يترتب على التحريض ولا يوجد الشروع بالقوة الا اذا كان هناك بدء بالتنفيذ ولايعاقب عليه كشروع الا اذا اوقف او خاب اثره لظروف خارجة عن ارادة الفاعل. اما العمل التحضيري فلا عقاب عليه ولم يبين الشارع ما هي افعال القوة التي يجب توافرها لتكوين الجريمة وما كان في استطاعته حصر كل هذه الافعال لكثرتها وتباينها وانما بين الشارع الغرض الذي يجب ان ترمي اليه هذه الافعال وهو قلب او تغيير دستور الدولة او شكل الحكومة فتحقق الجريمة كلما ثبت ان المتهمين قد ارتكبوا اعمالا مادية من اعمال القوة ايا كانت هذه الاعمال بغية الوصول الى غرض من الاغراض الجنائية المذكورة (كارصون مادة ٨٧ وكارو) يتبين من كل ذلك ان المادة (٨٠ ق. ع. ب) عددت حالات اوردتها عل سبيل الحصر فيجب ورودها ذاتها لانطباق اركانها ولايجوز القياس عليها او الاجتهاد بتفسيرها حيث لايمكن الاجتهاد في القضايا الجنائية وفقا للمبدأ المعروف بان لا(جريمة ولاعقاب الا بنص). . سيدي الرئيس لو طبقنا الوقائع في الدعوى المستمدة من افادات الشهود الذين استمعتهم المحكمة المحترمة وعلى ضوء شروح فقهاء القانون الجنائي لاركان (المادة ٨٠ ق. ع. ب.) القانونية لما وجدنا الانطباق حاصل. ان موكلي المتهم عبدالسلام محمد عارف لم ينظم او يترأس اية عصبة مسلحة كما انه لم يهاجم اي فريق من سكان الجمهورية العراقية ولم يثبت انه قاوم بالسلاح تنفيذ القانون كما انه لم يثبت انه شرع في استعمال قوة ظاهرة للقضاء على الحكومة او شرع بتغييرها هذا اذا لم نقل انه ممن اسهموا مع اخوته في بناء كيان الحكومة الحاضرة.

الناحية الموضوعية او الوقائع: ـ ان الوقائع التي وردت في هذه القضية سواء التي وردت في مطالعة مقام الادعاء العام المحترم او على لسان الشهود بافاداتهم المعطاة امام المحكمة المحترمة والمعزى تسببها للمتهم يمكن تلخيصها بما يلي: ـ

١ ـ **البلبلة** التي احدثتها خطبه غداة الثورة في شعب الجمهورية العراقية.

٢ ـ **تسببه** بالانشقاق الشعبي بسبب انحيازه الى فئة دون اخرى.

٣ ـ **اشاعة** وجود مؤامرة يوم ١٩٥٨/١١/٥ لدى رجوعه من فينا.

٤ ـ **قضية** دعوته للوحدة الفورية.

البلبلة: ـ ان نجاح الثورة العارم منذ فجرها الاول هو اكبر غنم لهذا الشعب الذي انتظر هذا الفجر بمرارة وصبر منذ ٤٠ عاما تحمل خلالها اصنافا من الاذى واشكالا من الظلم وانماطا من الحرمان والجوع والفقر على ايدي المستعمرين واذنابهم والمتفسخين من رجال العهد البائد فلما اشرق نور الثورة وكشف عن مساوىء العهد الماضي وحكامه ذهب موكلي المتهم وزيرا مسؤولا واحد رجال الثورة الاحرار يجوب انحاء قطر الجمهورية ليعلن مبادىء الثورة ومواثيق العدل والمساواة والاخوة والديمقراطية الصحيحة ولكن خطبه واقواله كما قال الشهود انها كانت مرتجلة غير منسقة فهب له ناصحون من اخوانه يهيبون به ان يقصر باقواله ويبخل من تصريحاته ويحرر خطبه ويسجلها فارتدع ووقف عند حده ولكن بعد ان تبلبلت اراء الناس كما ذكر بعض الشهود وعلى فرض وجود صحة هذا التبلبل فهل يكون ذلك مسؤولية جنائية؟ ان موكلي موظف مسؤول ووزير متضامن مع باقي وزراءالجمهورية وان الخطب التي كان يخطبها والجولات التي كان يقوم بها انما كانت كما افاد موكلي بافادته بعلم من سيادة الزعيم واذن منه ثم ان الخطب كانت بضع عشرة خطبة امتد امدها حوالي الشهر فاذا كانت لاتنسجم وسياسة الجمهورية يومئذ فلم لم يمنعه الوزراء وينصحه الناصحون فيكف عنهاوهو المخلص للثورة وجنديها المناضل من اول خطبه انها على فرض كل ذلك حالة دستورية تحكمها القواعد العامة في الفقه الدستوري من النظم الديمقراطية ذلك ان الوزير مسؤول متضامن مع باقي الوزراء فاذا نشز في سياسته عن سياسة مجلس الوزراء تطلب منه الاستقالة او يقال او يعفى من منصبه فكان ما يجب ان يكون فاعفى من منصبه كوزير ولكن ذلك لايوجب كما قلت او يشكل مسؤولية جنائية يحاكم من اجلها.

اما عن تسببه في الانشقاق الشعبي ـ الذي احدثه المتهم في جماهير الجمهورية من جراء ميله الى فئة دون اخرى من ابناء الشعب والذي ذكرته المحكمة ان المتهم كان بعثيا اي من العاملين على نشر افكار حزب البعث العربي الاشتراكي ولقد جاء ذلك على لسان بعض الشهود ايضا فينفيه موكلي نفيا قاطعا في افادته المعطاة امام محكمتكم المحترمة واني لاحسب ان نفيه هذا لم يجيء لدفع التهمة عنه كمتهم الان فحسب وانما خطبه التي كان يخطبها في اوائل ايام الجمهورية تنفي ميله الى الاحزاب قاطبة فلا احزاب ولاطائفية كما كان يقول في خطبه ولم يتأيد انه فصل او نقل احدا من الناس لانتمائه لطائفة دون اخرى كما لم يثبت انه حابى شخصاً لميله الى فئة معينة هذا بصورة عامة. اما من الجهة القانونية فان الحزبية والاحزاب والإنظمام اليها ومؤازرتها عمل مادي وهو ان يسجل نفسه فيها او يعثر على اسمه في سجلاتها ومستنداتها ويعمل على بث فكرتها

باحدى وسائل العلانية المنصوص عليها في المادة ٩٨ من ق. ع. ب. وقد تأيد للمحكمة انه لم يوجد ضد موكلي شيء من ذلك ابدا. اما عن اللافتات التي كانت ترفع والهتافات التي كانت تردد فان البلد لايخلو خاصة في اوائل ايام الجمهورية من اناس يتحينون الفرص ويصطادوا المناسبات ليبثوا افكارهم التي لم تكن تنسجم والمصلحة العامة للجمهورية، والثورة بعدها في فجرها المجيد فما ذنب موكلي ومسؤوليته عن امثال هؤلاء المصطادين.

اما عن مؤامرة يوم ١٩٥٨/١١/٥ التي استفسرت محكمتكم المحترمة عنها من موكلي نظرا لتواتر اشاعات قدومه في او قبيل هذا اليوم فاحسب ان الدفوع التي بينها موكلي في افادته كافية لدحض كل ماقيل عن ذلك خاصة وقد عززها بالبرقيات بكتاب مجلس الوزراء القاضي بتجوله مدة ثلاثة اسابيع وصدور هذا الامر قبل سفره وان العناد الذي تمسك به موكلي في عدم السفر اول الامر وتوسل الضباط والقادة به لمدة ١٣ ساعة ثم قبوله السفر بعد ذلك جعل الضباط يستبشرون ويتحدثون بوعد سيادة الزعيم له ان بقاءهم لايزيد على ثلاثة اسابيع تنتهي ١٩٥٨/١١/٥ والرأي العام الواعي يتحسس الازمات وكانت ازمة امتناعه عن السفر من معضلات الساعة لان بقاءه في العراق مضرا للمصلحة العامة الى حد كبير ورجوعه بعد هذه المدة قد يكون فيه ضرر اكبر فانطلقت الاشاعات التي لادخل له هو نفسه بها فكان رجوعه وكانت المظاهرات التي خرجت يوم ١١/٥ والتي كانت ضده لا له ابدا ان الاشاعات تنطلق في كل بلد واعي والرأي العام يتعقب اخبار الساسة كما يتلهف على اخبار نجوم السينما وغيرها وما تكذيب المسؤولين في البلاد في اقطار العالم المتمدين لكثير من الاخبار والاشاعات الا دليل على وجودها في كل قطر ومجتمع.

قضية الوحدة: ـ لدى الرجوع الى افادات الشهود وخاصة الضباط الاحرار فقد وجدت انهم قد اجابوا بصدد الوحدة وبناء على سؤال المحكمة المحترمة لهم عما اذا كانت الوحدة قد درست من قبل هيئاتهم ام لا؟. اجابوا ثلاثة انواع من الاجابات، منهم من قال ان الوحدة لم تكن موضع درس من هيئة الضباط وانما تركت على مدى نجاح الثورة، ومن ثم استقرار الجمهورية ووحدة شعب الجمهورية واستقرار الامن وصيانة الحقوق وارتفاع مستوى المعيشة للمواطنين بعد مرور فترة انتقال تطول وتقصر حسب مقتضيات الظروف والاحوال يدرس موضوعها بعد هذه الفترة ويقررها الشعب بنفسه عن طريق الانتخاب. ومنهم من قال انها درست من قبل هيئة الضباط الاحرار دراسة عميقة مستفيضة ومن كافة الوجوه وقرر انها لاتكون الا بعد مرور فترة انتقال تطول وتقصر حسب الظروف ويقررها الشعب بنفسه وبالطرق الديمقراطية. منهم من لم يؤمن بالوحدة الفورية الا في حالة وجود خطر محدق حال من الدول الغربية او من رجال العهد البائد على الثورة فتقرر الوحدة لكي تتحمل الجمهورية العربية عنا الخطر وتساهم معنا في صده اما في حالة عدم وجود خطر على الثورة ونجاحها كما نجحت والحمد لله فتقرر الوحدة كما جاء في الرأيين السابقين اي بعد فترة انتقال تمتد حسب الظروف ويقررها الشعب بالطرق الديمقراطية الصحيحة هذا وحيث ان موكلي هو فرد من هؤلاء الاحرار الذي عاهدوا الله والوطن على ان ينقذوه من ايادي المستعمرين القذرة وهو متضامن معهم ومؤمن بقوانين الثورة ومقررات الضباط الاحرار التي لم يكن منها الوحدة الفورية وقد ثبت انه نفذ وضحى في سبيل

تحقيق مواثيق الثورة فهو والحالة هذه ملزم بها وبمواثيقها واقسم مع اخوانه على تنفيذها فيكون ملزم بها ولم يخرج عنها اضافة الى تأكيده الصريح انه لم يدعو الى الوحدة الفورية ابدا.
قضاة الشعب: - يحضرني وانا أبحث الناحية الموضوعية هذه ما جاء بافادة الشاهد الزعيم الركن محي الدين عبدالحميد حينما قدم سيادة الزعيم المنقذ العقيد الركن المتقاعد عبدالسلام الى الضباط الاحرار قائلا اعتبروه اخي ومثلي وكذلك الشاهد الزعيم فؤاد عارف والشاهد الزعيم الركن ناظم الطبقجلي الذي افاد انه من اصدق اصدقاء سيادة الزعيم ويحبه كأخيه وكان يغبطها على ذلك اكثر الشهود من الضباط الاحرار قد ابدوا واكدوا هذه الاخوة المتينة والذين اكدوا على ان سيادة الزعيم اصطفاه اخا وارتضاه صديقا صدوقا ومعاونا له في الجهاد بل واحسب ان هذه الثقة والاخوة والاعتماد هي التي اهابت بسيادة الزعيم فجعله نائبا عنه لرئاسة الوزراء ومعاونا له في قيادة القوات المسلحة ووكيلا لوزارة الداخلية. وهو الذي كان يروم الرجوع الى ثكنته بعد نجاح الثورة، لايمكن ان تكون هذه الثقة وهذا الاخلاص يخفي على ألمعية وعبقرية سيادة الزعيم يوم وضعها عند عبدالسلام واصطفاه اخا ونائبا عنه الا بعد أن لمس بالتجارب الطويلة مدى اخلاصه وتفانيه بل واذهب ابعد من هذا لادل على متانة وشائج الاخوة والحب بين سيادة الزعيم العطوف انه قد صافحه واوصله الى الطائرة يوم ان وافق على السفر بل وكان يناوله الحليب ,بيديه في ذلك اليوم، ان هذا انما يدل على متانة الوشائج التي يقرب امدها من عشرين عاما وحتى اخر لحظة يوم السفرحيث افاد الشاهد علي حيدر سليمان ان سيادة الزعيم استدعاه فامره ان يصحب عبدالسلام في غدوه ورواحه ويعينه على كل مايحتاج. قضاة الشعب انكم تحاكمون الان اخا من اخوانكم ومجاهدا من رعيلكم وفارسا صال كما صلتم وجال فجمح به جواده وكبى، فليس له الا انتم لتقيلوا اعثاره وتأخذوا بيده وتعفوا عن كثير، واخيرا اطلب ملتمسا براءته ولكم فائق الاحترام].

وانتهت مرافعة وكيل الدفاع الاستاذ محمد العبطة.
الرئيس - (موجها كلامه الى المتهم) هل لك شيء تقوله للمحكمة؟.
المتهم - عندي شيء لايتعلق بالمحكمة اذا سمحتم ارجو ان تطلبوا من الانضباط العسكري ان يعاملوني كسجين.
الرئيس - نحن سألنا الشهود والمتهمين هل يوجد تعذيب بمعنى الكلمة فلم يشتكي احد من ذلك بينتم يوم امس ان الصحف منعت عنكم واشياء اخرى ما هي؟
المتهم - المقابلات.. واريد ان يعتبروني كسجين لا اكثر ولا اقل.
الرئيس - سنحقق في طلبكم ونعمل بما تتطلبه العدالة لان العدالة فوق الجميع.

(وفي الساعة الحادية عشر صباحا اعلن الرئيس رفع الجلسة لوقت سيعلن في حينه لاصدار قرار التجريم والحكم).

وفي الساعة السابعة من مساء يوم الخميس ٥ شباط ١٩٥٩ عقدت المحكمة العسكرية العليا الخاصة جلستها السرية. وقد افتتح الجلسة الرئيس العقيد فاضل عباس المهداوي باسم الله وباسم الشعب!

الرئيس ـ المتهم العقيد الركن المتقاعد عبدالسلام محمد عارف.
(نودي على المتهم العقيد الركن المتقاعد عبدالسلام محمد عارف فحضر القاعة وادخل قفص الاتهام).
الرئيس ـ عند احالتك الى المحكمة وجهت اليك تهمتان وفق المادة (٨٠) من ق. ع. ب. وهي التآمر ووفق المادة (٢١٤) بدلالة المادة (٦٠) من ق. ع. ب. وهي محاولة اغتيال سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم على ان امر الاحالة اضاف له القائد العام للقوات المسلحة تخويل المحكمة بحينه في هذه العبارة (والمحاكمة عن جميع الوقائع التي قد تظهر اثناء المحاكمة وتطبيق المواد القانونية بذلك على ان توجه المحكمة التهمة التي تراها مناسبة).
وقد وجدت المحكمة انطباق فعل الاغتيال على احكام المادة (١١) من مرسوم الادارة العرفية رقم ١٨ لسنة ١٩٣٥ فاستمع اليها.. (يعاقب بالاعدام): -
أ- (كل من حمل السلاح او اية آلة جارحة ضد الحكومة او قواتها العسكرية على اختلاف انواعها او قوات الشرطة او استعمل السلاح ضد اي موظف من موظفي الحكومة او مستخدميها) فماذا تقول بالتهمة الموجهة اليك بموجب هذه المادة مع العلم ان المحكمة اكتفت بشهود الاثبات حيث ان واقعة محاولة الاغتيال لسيادة الزعيم الاوحد عبدالكريم قاسم لم تتبدل اجب علي مايلي: -
الرئيس ـ هل تعترف بهذه التهمة ام لا؟
المتهم ـ لا اعترف.

الرئيس ـ الاتعترف ان الاحكام العرفية معلنة؟
المتهم ـ لا اتذكر ان كانت معلنة ام لا؟!
الرئيس ـ والان هل هي معلنة؟
المتهم ـ لا اعرف فانا مقطوع عن العالم من زمان.
الرئيس ـ الاحكام العرفية معلنة الا تعترف بان سيادة الزعيم الاوحد عبدالكريم قاسم له سلطات عديدة فهو زعيم البلاد والقائد العام للقوات المسلحة ورئيس الوزراء ووزير الدفاع.
المتهم ـ طبعا اعترف.
الرئيس ـ (موجها كلامه للمحامي) هل لك شيء تضيفه حول مادة الاتهام الاخيرة؟
المحامي ـ لا اضيف شيء عما قلته في دفاعي السابق بالنسبة للتهمة وبالنسبة لشهود الاثبات وشهود الدفاع وافادة موكلي.
الرئيس ـ تختلي المحكمة بعض الوقت لاصدار القرار ويمكنك ايها المحامي ان تواجه المتهم اذا طلبك.

(وفي الساعة السابعة والدقيقة العاشرة مساء اعلن الرئيس رفع الجلسة بعض الوقت لاصدار قرار التجريم).

(وفي الساعة الثامنة مساء عادت المحكمة الى الانعقاد)

الرئيس ـ المتهم عبدالسلام محمد عارف.

(نودي على المتهم عبدالسلام محمد عارف فحضر القاعة وادخل قفص الاتهام)

الرئيس ـ (موجها كلامه للمتهم) هل لديك شيء تقوله للمحكمة؟

المتهم ـ **اؤكد على دفاعي السابق كما اني اؤكد اخلاصي وولائي لجمهوريتنا الغالية ولزعيمنا الكريم.**

الرئيس ـ (موجها كلامه للمحامي) هل لديك شيء اخر؟

المحامي ـ **اؤكد** واكرر دفاعي السابق.

الرئيس ـ كاتب الضبط مهدي صالح السلمان يقرأ **قرار التجريم.**

قرار التجريم

بأسم الشعب العراقي: تشكلت المحكمة العسكرية العليا الخاصة ببغداد يوم ١٩٥٩/٢/٥ برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي وعضوية كل من العقيد فتاح سعيد الشالي والمقدم شاكر محمود السلام والمقدم حسين خضر الدوري والرئيس الاول ابراهيم عباس اللامي واصدرت قرارها الاتي: ـ

الاحالة ـ احيل المتهم العقيد الركن المتقاعد عبدالسلام محمد عارف لمحكمتنا بموجب امر الاحالة المرقم ١٣٢ والمؤرخ في ١٩٥٨/١٢/٩ ليحاكم وفق (المادة ٨٠ من ق. ع. ب.) والمحاكمة عن جميع الوقائع التي قد تظهر اثناء المحاكمة وتطبيق المواد القانونية بذلك وقد اضيفت التهمة وفق المادة ٢١٤ بدلالة المادة (٦٠) من قانون العقوبات البغدادي بموجب كتاب القائد العام للقوات المسلحة المرقم ١٨٤ والمؤرخ ١٩٥٨/١٢/٢٦.

خلاصة القضية: ـ قام المتهم عبدالسلام محمد عارف بعد ثورة ١٤ تموز الخالدة بالدعاية لنفسه متناسيا زعيمه في خطبه والتفت حوله فئة ظالمة لخدمة مآربها ومتبنيا افكارها فحدث انشقاق وبلبلة في صفوف الشعب والجيش وحدثت بعد ذلك بعض المؤامرات من الافراد الموالين كما انه اقدم على اغتيال سيادة الزعيم الاوحد اللواء الركن عبدالكريم قاسم وعاد المتهم من بون دون ان يستأذن من سيادة الزعيم بذلك غير مقدر مصلحة الوطن في ذلك الظرف الخطير.

اجراءات المحكمة: ـ استمعت المحكمة الى مطالعة هيئة الادعاء العام ثم سألت المحكمة المتهم عما جاء في قرار الاتهام فاجاب بانه بريء ثم استمعت المحكمة الى شهادات الشهود التالية اسماؤهم: الزعيم المتقاعد فؤاد عارف والزعيم الركن محي الدين عبدالحميد والعقيد عبدالكريم جدة والعقيد رفعت الحاج سرى والزعيم الركن عبدالوهاب امين والعقيد وصفي طاهر والرئيس الاول الركن صبحي عبدالحميد والرئيس الاول الركن عبدالستار عبداللطيف والمقدم عبدالغني عبدالستار والاستاذ علي حيدر سليمان والرئيس محفوظ احمد شوكت والمقدم ابراهيم عبدالرحمن الشيخلي والملازم الاول عباس رشيد السامرائي والمفوض صلاح الدين حميد وشاكر محمود وعبدالرحمن البزاز والرئيس عمر فاروق وعبدالرحمن احمد السامرائي والزعيم الركن ناجي طالب واللواء الطبيب محمد الشواف والزعيم الركن عبدالعزيز العقيلي والعقيد طاهر يحيى والعقيد نعمان ماهر والزعيم الركن ناظم الطبقجلي والزعيم الركن احمد صالح العبدي

والزعيم الركن خليل سعيد والطيار جاويد عمر والمقدم وجيه عبدالرحمن والرئيس الركن سليم الفخري والعقيد عادل جلال والملازم فالح الناصري والملازم الاول محمود فرج والملازم الاول شهاب احمد. ثم استمعت المحكمة الى افادة المتهم والى دفاع المحامي واعلنت ختام المرافعة. وحيث ان المحكمة مخولة بمحاكمته عن جميع الوقائع فقد وجهت اليه تهمة وفق المادة (١١) من مرسوم الادارة العرفية وناقشته حولها واستمع الى دفاع المحامي بشأنها ثم اعلن ختام المرافعة للمرة الثانية.

التتيجة - اتضح للمحكمة من مجموع الادلة والشهادات مايلي:-

اولا - لم يكن المتهم العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف من الضباط الاوائل الذين تبنوا فكرة الثورة ولكن سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم هو الذي تقدم بطلب انضمامه الى جماعته وقد حصل الاتفاق بوجوب وضعه تحت التجربة لمدة ما لعدم الاطمئنان اليه على مايظهر وان سيادة الزعيم عبدالكريم كان يلح كثيرا بالحاقه بهم بالرغم من صدور القرار بعدم الحاقه ونتيجة لتعهد سيادته اقسم المتهم اليمين حوالي / نيسان / ١٩٥٧ وصار مع اخوانه وساهم في الثورة معهم.

ثانيا - كانت الخطة الخاصة للقيام بثورة ١٤ تموز الخالدة هي من وضع سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم دون سواه وان واجب المتهم في الخطة هو عزل مقر لواء العشرين ومن ثم قيادة اللواء المذكور بصفته اقدم ضابط والحضور الى دار الاذاعة والبقاء فيها لقراءة بيانات كتبت له من قبل سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم وكانت معه سرية بامره للمحافظة على دار الاذاعة عند قراءة البيانات في صبيحة ١٤ تموز الخالد.

ثالثا - عهدت الى المتهم نيابة رئاسة الوزراء ونائب القائد العام للقوات المسلحة ووزارة الداخلية بالوكالة وحينما طولب بتأليف مجلس قيادة الثورة تردد في ذلك وتلكأ بينما كان الواجب يقضي بتأليف هذا المجلس لان تأليف المجلس بند من بنود الثورة ولو تم تشكيل المجلس لحد من تصرفات المتهم.

رابعا - انحاز المتهم عبدالسلام محمد عارف الى فئة معينة بالرغم من ان مقررات ميثاق الثورة تشير الى عدم الانحياز الى اي حزب او جهة وقد تبنت جريدة الجمهورية انحياز المتهم الى تلك الفئة فكانت تصدر صور المتهم واضحة وبالصفحات الاولى واكبر من صور سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم كما ان المتهم اهمل ذكر اسم سيادته في خطبه واخذ يدعو لنفسه مما دعا بعض المخلصين الحريصين على وحدة الصف الى ارشاده وتوجيه النصح له. ولكن على ما ظهر ان البلبلة قد استفحلت، وشقت الصف قد ازدادت، فاعفى من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة ثم الى اجراء التعديل الوزاري وتعيينه سفيرا في بون.

خامسا - رفض المتهم المذكور السفر الى بون بالرغم من الجهود التي بذلت من قبل المخلصين لاقناعه بقبوله فكرة السفر وذلك حرصا على المصلحة العامة وحينما انفرد بسيادته بمقره وكان الزعيم المتقاعد فؤاد عارف متشاغل في جانب من الغرفة استغل الموما اليه انشغال سيادته في التفتيش عن اوراق موضوعة تحت ساعه على المنضدة فمد يده على مسدسه خلسة فسارع سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم بعد ان لمحه صدفة ومسك بيده وصرخ في وجهه ماذا تريد ان تعمل فاجابه انني لا اريد قتلك بل اريد ان انتحر فرد سيادته عليه لماذا لم تنتحر في بيتك وعلى اثر ذلك

هجم فؤاد عارف وانتزع المسدس من يد المتهم وافرغ اطلاقاته وحضر على اثر الحادثة الزعيم الركن محي الدين حميد والعقيد عبدالكريم الجده.
سادسا ـ ثم سافر الى بون على ان يعود بموافقة سيادة الزعيم بعد ثلاثة اسابيع ولم يبد من تصرفاته بانه يريد البقاء بمنصبه كسفير في بون فارسل برقية مؤرخة ١٩٥٨/١٠/٣٠ يعلن فيها رغبته في العودة الى العراق مدة قصيرة فكان جواب سيادة الزعيم ان الموقف بالوقت الحاضر يقضي بذهابه الى بون وبعد مدة يخبرنا برأيه فلم يمتثل امر سيادته بالرغم من تبلغه به وتوجهه الى العراق على مسؤوليته في منتصف ليلة ٣ ـ ١٩٥٨/١١/٤ في الطائرة العراقية راغبا في اخفاء شخصيته فوصل بغداد في صباح يوم ٤ ـ ١١ ـ ١٩٥٨.
سابعا ـ كانت قد راجت اشاعات كثيرة في بغداد حول عودة المتهم وان احداث هامة ستحدث يوم ٥ ـ ١١ وكانت تلك الاشاعات بشكل تهدد وحدة الصف وتبعث القلق في النفوس فقد يستفيد منها ذوي النوايا السيئة تجاه الجمهورية وعند وصول المتهم صباح يوم ٤ ـ ١١ ـ ١٩٥٨ استقل سيارة اجرة وذهب الى بيته دون ان يتصل بأحد ثم استدعاه سيادة الزعيم لمواجهته واذيع البيان باعتقاله ثم قامت مظاهرة ببغداد تقدر بمليون نسمة من جميع انحاء العراق تأييدا لموقف سيادة الزعيم الاوحد عبدالكريم قاسم ولسياسته الحكيمة.
ثامنا ـ وعلى اثر احداث البلبلة في صفوف الشعب حدثت بعض المؤامرات سواء كانت في صفوف الجيش او الشعب وحدثت بعض التكتلات وكانت تلك المؤامرات والتكتلات ضد مصلحة الشعب وضد النظم الجمهوري. وتستخلص المحكمة من سير الوقائع مايلي: -
أ ـ ان المتهم عبدالسلام لم يلتف حول زعيمه كما تقضي الاخوة التي تعاهدا عليها لصالح الجمهورية وقد خرج عن مبادىء الثورة واوجد البلبلة واستغلته فئة ضالة لخدمة مآربها ووجدوا في الالتفاف نحوه تحقيقا لاهدافهم الخاصة لذلك حيكت المؤامرة ضد مصلحة الجمهورية وبالرغم من ان هذه الفئة معروفة بموالاتها للمتهم الا انه لم يتأيد للمحكمة بالدليل القاطع من اتصاله بتلك الفئات او ترأسه لها لغرض استعمال القوة الظاهرة ضد الجمهورية العراقية لذلك قررت المحكمة براءته من التهمة المسندة اليه بموجب المادة ٨٠ من ق. ع. ب.
ب ـ ان المتهم عبدالسلام عارف اراد اغتيال سيادة الزعيم الاوحد اللواء الركن عبدالكريم قاسم ولولا يقظة سيادته لحلت النكبة العظمى لا سامح الله في هذا الكيان الجمهوري الديمقراطي ويتجلى هول الجريمة ان سيادة الزعيم رجل عظيم جاد به الزمان على العراق والعالم العربي ليكون قائدا من قواد الديمقراطية والحرية والسلام بما يتميز به من عبقرية ونبوغ وذكاء وشجاعة وطيبة قلب وحب للمواطنين على اختلاف مللهم ونحلهم موحدا صفوفهم جامعا كلمتهم تحت لواء الجمهورية وتتجلى فضاعة الجريمة انها ترتكب من قبل المتهم وقد كان اخا حميما وصديقا معروفا لسيادة الزعيم الاوحد عبدالكريم قاسم وحيث ان سيادته يمثل في ظروف هذه الثورة الحكومة بكاملها ويجمع في شخصه سلطات كثيرة فهو زعيم الامة وقائد القوات المسلحة ورئيس الوزراء ووزير الدفاع لذلك تحققت اركان المادة ١١ من مرسوم الادارة العرفية وبدلالة الفقرة السادسة من المادة ٦٠/٢١٤ ق. ع. ب. بحقه وقررت المحكمة تجريمه بموجبها.
جـ ـ لم تهمل المحكمة موقف المتهم عبدالسلام عارف من ثورة ١٤ تموز الخالدة وان دفاعه

الشديد وتحمسه العظيم لتقويض النظام الملكي الفاسد لذلك تتقدم المحكمة لسيادة الزعيم الاوحد اللواء الركن عبدالكريم قاسم بالرأفة به، فهو يملك تلك الرأفة دون سواه والمتضمنة تخفيض العقوبة عملا باحكام المادة ٢٠ من قانون معاقبة المتآمرين. وصدر القرار باتفاق الاراء وافهم علنا.

المقدم	العقيد	العقيد
شاكر محمودالسلام	فتاح سعيدالشالي	فاضل عباس المهداوي
عضو	عضو	الرئيس
الرئيس الاول		المقدم
ابراهيم عباس اللامي		حسين خضر الدوري
عضو		عضو

قرار الحكم

تشكلت المحكمة العسكرية العليا الخاصة ببغداد في يوم ٥ ـ ٢ ـ ١٩٥٩ برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي وعضوية كل من العقيد فتاح سعيد الشالي والمقدم شاكر محمود السلام والمقدم حسين خضر الدوري والرئيس الاول ابراهيم عباس اللامي واصدرت باسم الشعب حكمها الاتي: ـ

حكمت المحكمة على المجرم العقيد الركن المتقاعد عبدالسلام محمد عارف: ـ

اولا ـ بالاعدام شنقا حتى الموت وفق المادة (١١) من مرسوم الادارة العرفية رقم ١٨ لسنة ٩٣١ وبدلالة الفقرة ٦ من المادة ٢١٤/٦٠ من ق. ع. ب.

ثانيا ـ ان محكمتنا اذ تصدر حكمها بالاعدام على المجرم المذكور تودع الرأفة به لامر سيادة زعيمنا العبقري وحكمته باستعمال سلطته الواردة في المادة (٢٠) من قانون معاقبة المتآمرين.

ثالثا ـ ببراءته من التهمة المسندة اليه بموجب المادة ٨٠ من ق. ع. ب. استنادا الى احكام المادة ١٦٠ من الاصول الجزائية.

رابعا ـ وبطرده من الجيش وفق المادة ٣٠ من قانون العقوبات العسكري.

صدر القرار باتفاق الاراء وافهم علنا.

المقدم	العقيد	العقيد
شاكر محمودالسلام	فتاح سعيدالشالي	فاضل عباس المهداوي
عضو	عضو	الرئيس
الرئيس الاول		المقدم
ابراهيم عباس اللامي		حسين خضر الدوري
عضو		عضو

هذا... وقد امتنع العقيد عبدالهادي محمد الراوي ـ عضو اليمين في المحكمة العسكرية العليا الخاصة ـ محكمة المهداوي ـ عن التوقيع على قراري التجريم والحكم. مما دفع الزعيم الركن عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع ـ ان يعفيه من منصبه هذا، وان يستبدله بالمقدم حسين خضر الدوري.

يروي العقيد عبدالهادي محمد الراوي سبب امتناعه عن التصديق على الحكم الصادر ضد عبدالسلام محمد عارف قائلا:
ـ كان العقيد فاضل عباس المهداوي ـ رئيس المحكمة ـ يأخذنا نحن اعضاء المحكمة الى مقر الزعيم عبدالكريم قاسم بوزارة الدفاع، بعد كل جلسة من جلسات محاكمة عبدالسلام ويسرد له وقائع الجلسة والحوار الذي دار فيها. وكنت دائم الاعتراض على اسلوب المحاكمة. وقلت للزعيم قبيل انعقاد الجلسة الاخيرة التي صدرت الاحكام فيها: اني غير مقتنع بالاتهام، ولا بالعقوبة. واني سأعارض قرار الحكم. فقال الزعيم عبدالكريم: لاتعترض على حكم الاعدام. فاوعدك بشرفي العسكري باني سأعفو عنه بعد ذلك.. المهم ان يصدر حكم الاعدام بالاجماع.
ولكنني اصررت على المخالفة.. وطلبت اعفائي من عضوية المحكمة. وفعلا جرى ذلك. ولم يظهر اسمي في ذيل الحكم.
وهكذا خرجت من عضوية المحكمة العسكرية العليا الخاصة.

ويتحدث صبحي عبدالحميد عن محاكمة عبدالسلام محمد عارف فيقول عنها: «لقد تبين لنا ـ بعد اذاعة تفاصيل المحكمة ـ ان الغاية من محاكمته كانت:
١ ـ اقناع الرأي العام بأن دوره في الثورة كان ثانويا.
٢ ـ ان مصمم الثورة وقائدها ومفجرها.. الخ هو عبدالكريم قاسم.
٣ ـ ان موضوع الوحدة العربية لم يبحث قبل الثورة من قبل الضباط الاحرار.
غير ان الشهود اكدوا العكس، لان دور عبدالسلام في الثورة لايمكن ان ينكره اي عراقي منصف. فقد كان له الدور الاول. واكاد اقول لولاه لما تفجرت الثورة في موعدها المحدد.
اما القول بان عبدالكريم هو وحده المصمم والمفجر.. الخ فهو بهتان، لان ضباط الثورة كافة كبارا وصغارا، كانوا يهيئون لها ويسعون لانجاحها، ولقد انتخب الضباط الاحرار عبدالكريم قاسم رئيسا ليس لانه احسنهم او اثقفهم او اقواهم شخصية بل لانه كان اقدمهم رتبة ولولا هذه الصفة لانتخب غيره. ولايمكن لشخص واحد مهما بلغ دوره ان يصمم ويفجر ثورة كبيرة كثورة ١٤ تموز. اما موضوع الوحدة فقد اجمع الشهود كافة انه بحث قبل الثورة وتقرر انجازها خلال فترة الانتقال. وكان اوضحهم في هذا الموضوع السيد ناجي طالب الذي اكد بحث الموضوع والاتفاق عليه، وكانت شهادته اوضح واقوى الشهادات.
استدعيت للشهادة بغتة حيث لم يسبق ان دونت هيئة التحقيق افادتي. ولقد لمست من اسئلة رئيس المحكمة والمدعي العام انهم يطلبون مني ان انكر دور عبدالسلام، فأجبت بما يرضي ضميري وهو الواقع. فتكلمت بصراحة وذكرت الحقائق. وقد علمت بعد ذلك ان عبدالكريم

لم يرض عن شهادتي لاني لم ازورها لصالحه.

انتهت المحاكمة وتأخر صدور الحكم بسبب اختلاف وجهات النظر حوله بين اعضاء المحكمة. فنقل عضو اليمين العقيد عبدالهادي الراوي الذي تشدد في رأيه واصر على عدم ادانة عبدالسلام، الا ان نقله لم يحل المشكلة لان عضو اليسار المقدم عبدالفتاح الشالي كان متفقا مع زميله المنقول واصر هو الاخر على تبرئة عبدالسلام لان الادلة تدعم براءته.

وكان المهداوي بايعاز من عبدالكريم مصرا على اعدامه. ولقد ارسل عبدالكريم عدة مرات على الشالي يقنعه باصدار حكم الاعدام الا انه لم يقبل. فجرت محاولة لنقل الشالي ايضا، الا ان هذا شعر بها وفكر بان نقله مضر وفي غير مصلحة عبدالسلام فعدل عن رأيه بعد ان اقسم له عبدالكريم بانه لن ينفذ الحكم بعبدالسلام. فطلب الشالي ان توصي المحكمة بتخفيف الحكم فوافق عبدالكريم، وهكذا صدر الحكم باعدام عبدالسلام صاحب الدور الرئيسي في ثورة ١٤ تموز التي لم يمض على اعلانها سوى خمسة اشهر، وهكذا بدأت (الثورة تأكل ابناءها).

اودع عبدالسلام السجن العسكري في معسكر الرشيد ومنعت عائلته من زيارته، وحرم من قراءة الصحف والكتب، وقبع في زنزانته ينتظر تنفيذ الحكم او تخفيفه ولم يفرج عنه الا سنة ١٩٦٢.

ومما يؤخذ على عبدالسلام انه خلال وجوده في السجن ارسل ست رسائل الى عبدالكريم يطالبه باطلاق سراحه، وكان عبدالكريم يقرؤها على زبانيته، فيسخرون منها، ولقد عثر المقدم محمد يوسف طه على صورة هذه الرسائل في درج مكتب عبدالكريم بعد ثورة (١٤ رمضان) فاطلعت عليها ونصحت محمد يوسف ان يسلمها الى عبدالسلام الذي اصبح رئيسا للجمهورية].

وتحدث باسيل دقاق في كتابه الذي اصدره في مطلع عام ١٩٦٠ بعنوان «عهد المهداوي» عن محاكمة عبدالسلام محمد عارف قائلا:

«ليس وقع الحكم على العقيد عارف في اوساط العراق هو موضوع البحث هنا. فالاحداث نفسها تتوالى ترجمته. واستقالة الوزراء الستة (استقال يومها ستة وزراء من حكومة قاسم احتجاجا على ذلك) هي الحدث الاول وقد تتبعها احداث اخرى لاتقل شأنها عن التبديل الوزاري. اما الموضوع فهو الحكم ذاته. ففي الحكم، والحق يقال، نواقص كثيرة واخطاء اكثر منها تجعل المنصف يوجز وصفه بانه حكم سياسي.

ان من تابع وقائع محاكمة العقيد عارف ليدهش كيف يصدر حكم بالاعدام في قضية لم تسند الاتهام فيها ادلة تذكر بل قامت ادلة اقنعت حتى المحكمة المهداوية ببراءة المتهم من تهمة التآمر.

ويقينا لو ان الحكم لم يكن قطعيا ولو افسح المجال لطريق من طرق المراجعة الاستئنافية في امره لقضي المستأنف اليهم ببطلانه ولو لهذين السببين:

الاول - انه لو كان حقا في حركة عارف عند قاسم شروع في اغتيال او حتى محاولة اغتيال اقتنع بها قاسم لما توانى عن ضبط الحادثة رسميا ساعة وقوعها، ولما ابقى على قرار تعيين عارف سفيرا... اذ كيف يوفد سفيرا لبلاده من حاول اغتيال زعيم هذه البلاد؟

والثاني - كيف تثبت للمحكمة براءة المتهم من تدبير مؤامرة لقلب الحكم ولاتثبت لديها براءته من محاولة أغتيال، من اذا اغتيل انقلب نظام حكمه من دون ريب؟

الحق ان الحكم لايمت بصلة الى رزانة الاحكام وعدلها. وان تكن عدالة المحكمة العسكرية العليا الخاصة قد خانتها، فالمنتظر من عدالة الزعيم قاسم، وهو ادرى الناس بصديقه ورفيقه العقيد عارف، ألَّا تخونه».

وان لهذه النقطة الاساسية في قضية العقيد عبدالسلام عارف لشأنا يزداد خطره واثره اذا رجعنا الى تفاصيل المحاكمة. فقد دلت هذه التفاصيل على ان تهمة التآمر بعد عودة عبدالسلام من اوروبا الى العراق خلسة، لم يقم عليها اي دليل ولا شبه دليل، وان المحكمة لاتملك اي مستند للحكم على عبدالسلام بموجب هذه التهمة. فالحكم باعدامه لم يستند في الواقع، الا الى محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم، وهي تهمة انعدمت، كما قلنا منذ حين، بمجرد تفاهم قاسم وعارف فور الحدث وبمجرد ذهاب عبدالسلام الى اوروبا موفدا رسميا معتمدا موثوقا به.

تضاف الى ذلك واقعة اخرى، هي انه لو كانت هناك شبهة بوجود محاولة اغتيال حقا، لكانت الحادثة سجلت في محضر ضبط رسمي في حينها. ولم يكن في قضية عارف محضر ضبط ولاجزء من وثيقة كهذه..

ولكن هل المناقضات او المخالفات القانونية هي حقا ماينقص محكمة المهداوي حتى نقف اكثر من هذه البرهة عند الحكم على عبدالسلام عارف؟

اما المصادمات بين المهداوي وعبدالسلام فلم تكن بالمثيرة. فقد تجنب المهداوي ان يبالغ في اهانة المتهم، وكان بعد محتفظا بشيء من ضوابط فكره ولسانه وشيء اخر، ولو قليلا، من مراعاته مقام عبدالسلام الادبي. على ان هذا الشيء القليل وذاك قد تبددا بعد حين اثناء المحاكمات التالية ولا سيما محاكمات المتهمين بالعصيان في الموصل مع عبدالوهاب الشواف. ولعل المهداوي اراد ان يستدرك ذلك «التقصير» الذي ابداه اثناء محاكمة عبدالسلام فجعل من عبدالسلام محط كلامه وسخطه ومدار حملاته والسبيل الى تهجمه على الجمهورية العربية المتحدة وكل من لف لفها.

لقد صارت عبارة «الخائن عبدالسلام عارف» ابسط السباب والالقاب التي يوزعها المهداوي بمناسبة وغير مناسبة على الزعيم الثاني في ثورة العراق. ولاتسل بعد ذلك عن «تسابيح» المهداوي الباقية التي يخص بها عبدالسلام: عميل الاستعمار، المتآمر الحقير، مدعي القومية العربية، المتعصب الاجير، تابع عبدالناصر الامين، عميل العفالقة... كان يريد ان يقدم العراق لقمة سائغة لعبدالناصر.. «وحدة عربية، ماسونية، من المحيط الى الخليج» الى اخر السلسلة المهداوية.

وقد تساءل المهداوي يوما، وكان ذلك في جلسة الثالث والعشرين من حزيران، اثناء محاكمة دفعة من دفعات الضباط المتهمين بعصيان الموصل: ما معنى «من المحيط الى الخليج»؟ انها تعني امبراطورية الوحدة العربية التي يريدها الهتلر الصغير... ماذا عملوا لفلسطين والجزائر؟ هل ساعدوا الجزائريين والعمانيين (الجزائريون الذين يقاتلون الفرنسيين والعمانيون الذين يقاتلون الانكليز) كما ساعدتهم الجمهورية العراقية؟ ولماذا كل شيء هادىء في جبهة «الماسونية» المتحدة

واسرائيل؟. وماذا يفعل الجنرال الامبراطور ناصر الدين شاه؟

وفي جلسة الخامس عشر من آب ۱۹٥۹ كشف المهداوي النقاب عن وجود ما اسماه «وثيقة رسمية» عند عبدالكريم قاسم ارسلتها سفارة الجمهورية العربية المتحدة في بغداد الى حكومة القاهرة تنبيء بان عبدالسلام عارف سيطغي على قاسم وصحبه وحينئذ يتولى ضم العراق الى الجمهورية المتحدة. وقال: نعم، كانوا يريدون ضم العراق الى الامبراطورية الموهومة كأنه ارث ورثه عبدالسلام عارف وجماعته من أبائهم واجدادهم... كانوا يريدون وضع الخبز على الشحم. ولكن الشعب العراقي متنبه، ذكي، يقرأ الممحي!

«ارادوا ان يضعونا لقمة سائغة في افواه المحتكرين المصريين الجشعين الذين صنعت من اجلهم الوحدة الكاذبة الفارغة... ناكر الجميل عبدالسلام عارف، والاقطاعي رشيد عالي الكيلاني والخائن القذر المجرم عبدالوهاب الشواف (حتى الموتى لم ينجوا من لسان المهداوي) اشتغلوا لضمنا الى «الامبراطورية» ومازال اسيادهم يعملون على حبك المؤامرات، ولكن الشعب والزعيم لهم بالمرصاد».

ومن مآخذ المهداوي على عبدالسلام عارف انه يميز بين الاكراد والعرب والتركمان وغيرهم. قال المهداوي يندد باحد المتهمين اثناء محاكمة الزعيم ناظم الطبقجلي في قضية عصيان الموصل: عقليتك مثل عقلية عبدالسلام عارف «انتم وحد... ونحن وحد»! كلا فالجميع سواسية في الجمهورية الخالدة. لقد وحدتهم الثورة فلا فرق بينهم ولاتمييز».

قالها المهداوي ولما يكن قد مضى سوى اسبوعين على مجزرة وقعت في كركوك بسبب التمييز بين كردي وتركماني وذهب ضحيتها اكثر من مائة تركماني قتلوا وجروا بالحبال في الشوارع (سحلوا) وعلقت جثثهم على الاشجار واعمدة الكهرباء وقد مثل بها وقطعت بعض اوصالها شر تقطيع، ودفن بعضهم احياء.

وبلغ بالمهداوي الحقد على عبدالسلام عارف حدا اخرجه عن طوره احيانا قال في الجلسة الرابعة والعشرين بعد المائة يوم اول تموز ۱۹٥۹، وكان يحاكم العقيد جميل الخشالي بتهمة العصيان في الموصل:

كيف تريدون ان نرضي بتبديل دولتنا بأقليم. يريدون ان يجعلوا من العراقي الاقليم الشرقي في الجمهورية (الباب الشرجي!) العراق الذي ذاق معنى الحرية، العراق الذي يعني باللغة السومرية بلاد الشمس. والشمس ترمز الى كل التواريخ في العالم والى جميع عقليات الشعوب التي شبهت الحرية بها.

ان البشر منذ وجوده يقدس الحرية ويشبهها بالشمس لان الشمس اعظم جرم سماوي ومن اهم العوامل التي تديم الحياة، سواء للبشر ام للحيوانات ام للطيور ام للنباتات، بل للوجود جميعا... يريدون ان يبدلوا اسم العراق الحبيب الى الاقليم الشرقي. سخيف! الوحدة التي تنشدونها هي وحدة الحكم الفاشي الذي يسير في ركاب الاستعمار».

وللمهداوي حديث اخر عن عبدالسلام عارف والاكراد والتوحيد قاله في الجلسة العشرين بعد المائة اثناء نوبة من نوبات تهجمه على الجمهورية العربية المتحدة:

«كان عبدالسلام عارف يتصل ببعض اخواننا الاكراد ويمنيهم بتأسيس حكومة لهم في العراق ويتحدث معهم حديث الاطفال. ولكن بما انني احب الاطفال فانني اقول انه حديث الاطفال غير الابرياء.. «ماعلينا بكم ولا عليكم بنا. نحن وحد وانتم وحد». هل هذا وارد في مبدأ او نظام او حكم؟ وهل هذا منطق لرجل مسؤول؟ وهل هذا عقل المتزعم في قومية اعتدائية ووحدة موهومة سداها شهوة الحكم المطلق الدكتاتوري؟ كان يريد ان يكون نائبا لرئيس الجمهورية المتحدة في العراق... اي لغراب البين! شبيه الشيء منجذب اليه! (وهو مثل يجن به المهداوي وقد اعتاد ان يردده مرة بالاقل كل جلستين).. هذه العقول كانت تريد ان تحكم العراق، ورجال العراق قوم احرار مفكرون ديمقراطيون لا يرضون بأن ترجع بلادنا الى العصور الفاشية الرجعية التي لا تهمها مصلحة الشعب بل يهمها الحكم والسيطرة والنفوذ».

وفي جلسة من الجلسات الحامية اثناء محاكمة العقيد الخشالي وصحبه، اقام المهداوي نفسه شاهدا على عبدالسلام عارف، ولو بعد زمن طويل من انتهاء محاكمته والحكم باعدامه، فقال: «كان هذا الارعن السخيف يتبجح بان باستطاعته ان يعزل الزعيم قاسم لانه كان يذهب الى الالوية ويزورها ويسمع الهتافات للثورة وتعلق الناس بها. وقد اعتاد في تصريحاته وخطبه العديد ان يلوح بزعامة اخيه الاكبر جمال عبدالناصر. لقد قال لي ذات مرة: أليس سخيفا ان ينام عبدالكريم قاسم على الارض؟ (اشتهر عن عبدالكريم قام انه ينام على الارض تقشفا وانه لاينام سوى ثلاث او اربع ساعات ويقضي بقية اليوم في عمل دائم. وقاسم غير متزوج ومعروف بانطوائه على نفسه وشدة تعلقه بعمله) انني استطيع الان ان اعزل قاسم». اجل قال لي عبدالسلام عارف ذلك بنفسه... كان ينادي: ديمقراطية، اسلامية، تعاونية سماوية الهية. وقد قال لي الاخوان المثقفون الشرفاء مرارا: اسمع يافاضل ماذا يقول عبدالسلام، وكيف بدأ ينحرف. ولكني لم اكن اصدق ولا كنت قد فتحت الراديو لاستمع الى عبدالسلام يلقي خطبه في الالوية.

ثم لقيته ذات يوم فواجهته بالتحية والعناق. قلت لابد ان يرجع عن غيه.. واذا به يسألني: فاضل، نعمان ماهر، شيوعي لماذا تركتموه؟ فلان شيوعي ابعدوه؟

وازداد عبدالسلام تصلفا لما خرج تسعون الفا من اهالي لواء السليمانية لاستقباله بوصفه رسول الثورة.. لقلق الثورة! وقد اثبت فعلا انه لايقبل النصح. فلكم نصحه الزعيم ولكم ارشده الى الطريق المستقيم ولكن.. (وهنا جادت ذاكرة المهداوي ببيت من الشعر مناسب).

«لاتنتهي الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر»

كانت محاكمة عبدالسلام عارف سرية. وقال حكام العراق في تبرير ذلك.. «ان من الضروري تجنب كشف اسرار الخلاف وشدته بين بغداد والقاهرة». ولكن اوجه هذا الخلاف بدأت تتكشف وتتضح في الصحف والاذاعات بعد حين. ولما حمي وطيس المعركة الباردة اجيزت اذاعة وقائع المحاكمة السرية كما سجلت في حينها...

* * *



مصرعه..!

كنت قد زرت في القاهرة، في الاول من شهر شباط ١٩٦٦ الصديق الفاضل العالم الفلكي الشهير الحاج محمد يوسف المنياوي، وطلب اليَّ ان ابلغ الرئيس عبدالسلام محمد عارف بان يحذر كل الحذر التنقل في الطائرات وركوبها، وان اؤكد عليه ذلك، ان اراد لحياته ان تطول!

وعندما سألته مستفهماً: هل سيموت في حادث طائرة؟!

اجابني: ان الاعمار بيد الله العلي القدير... ولكل اجل كتاب.. واذا جاءهم الموت لايستقدمون ساعة ولايستأخرون.. صدق الله العظيم..

وفي بغداد التقيت الرئيس عبدالسلام محمد عارف - بعد عودتي من القاهرة - في مكتبه الرسمي في القصر الجمهوري.

بادرني الرئيس عبدالسلام عن الاخبار في القاهرة.. فقلت له:

- ياسيادة الرئيس، لقد حملني الحاج محمد يوسف المنياوي - وانت تعرفه جيدا، اذ انه تنبأ لك وانت في سجن عبدالكريم قاسم بانك ستخرج من السجن، وستصبح اول رئيس للجمهورية في العراق(*).

فاجابني مبتسماً: نعم، اتذكر ذلك، وقد اخبرني بهذا قريبي الاستاذ علاء الدين الريس..

قلت: لقد طلب اليَّ الحاج المنياوي ان ابلغ سيادتكم - وما على الرسول الا البلاغ المبين - ان تحذر التنقل في الطائرات، ومن ركوبها!

حدجني بنظرة ثاقبة صارمة، ثم نظر الى سقف غرفة مكتبه، حيث تتدلى ثريا ضخمة من الكريستال.. وطال سكوته، ثم قال، وكأنه يحدث نفسه - بصوت خافت:

- وماتدري نفس ماذا تكسب غداً، وماتدري نفس باي ارض تموت.

تذكرت هذا اللقاء، وهذا الحوار، عندما رنّ جرس الهاتف في مكتبي في وكالة الانباء العراقية في الصالحية بجانب الكرخ في الساعة الثامنة من مساء الاربعاء ١٣نيسان ١٩٦٦ لينقل الهاتف لي عبر اسلاكه صوت عدنان الجبوري - سكرتير رئيس الوزراء، الذي قال بصوت

---

* لقد كانت معظم تنبؤات الحاج المنياوي تصدق، ولعل تحدد يوم وفاة الرئيس جمال عبدالناصر (٢٨ سبتمبر ١٩٧٠) ونشره ذلك قبل فترة وجيزة في الصحف قائلاً «نجم عربي كبير يأفل من الافق العربي يهز وفاته العالم اجمع» دليل على صحة تلك التنبؤات - وكذب المنجمون ولو صدقوا.

متهدج: ـ راقبوا الاذاعات المجاورة، وبالاخص اذاعتي الكويت والاحواز.. وان اي خبر يلفت اسماعكم، اتصلوا بنا، وذلك بناء على اوامر السيد رئيس الوزراء..

اصدرت تعليماتي الى (قسم الانصات) في الوكالة بمراقبة اذاعتي الكويت والاحواز والمحطات اللاسلكية الاخرى مراقبة دقيقة، وتسجيل ماتذيعه فورا..

بعد ساعة اخبرني رئيس القسم ثابت نعمان السعدي، بان اذاعة القاهرة اذاعت خبر اغتيال عبدالله الارياني وزير الادارة المحلية في اليمن.

وقمت بدوري باخبار سكرتير رئيس الوزراء بذلك الخبر الذي اعتبرناه مهماً، كما تقضي التعليمات الصادرة الينا من وزارة الثقافة والارشاد ووزارة الخارجية.

غير اني وجدت سكرتير رئيس الوزراء لم يكترث لهذا الخبر، ولم يعره اهمية.. كما اكد عليّ للمرة الثانية مراقبة اذاعتي الكويت والاحواز وتسجيل ماتذيعانه من اخبار، واخباره على الفور، ان اذاعت خبرا مهما.

وفي الساعة العاشرة مساءً اتصل بنا فؤاد الخليل مندوب وكالة الانباء العراقية المرافق لرئيس الجمهورية في جولته في جنوب العراق، واملى على قسم الاخبار الداخلية تقريرا مفصلاً عن جولات الرئيس عبدالسلام محمد عارف في محافظة البصرة ذلك اليوم.. وقال:
ـ السيد وزير الثقافة والارشاد الدكتور محمد ناصر يؤكد اذاعة هذا التقرير في نشرة اخبار الساعة الثانية عشرة (منتصف الليل) وتعميمه على كافة الصحف.

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة اتصل سلمان الصفواني وزير الدولة هاتفيا بي، واخبرني بانه متواجد حاليا في مكتب مدير عام الاذاعة والتلفزيون، وانه يجب ان نكون على اتصال مباشر به، وان نخبره باي خبر مهم تلتقطه اجهزة الانصات.
استفسرت منه عن ماهية هذا الخبر المهم، فاجابني باختصار: بعدين..!

وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، شعرنا ـ نحن الموجودين في وكالة الانباء العراقية ان حدثا مهما قد وقع.. وبدأنا نضرب اخماسا بأسداس لمعرفة كنه هذا الحدث المهم.
اتصلت هاتفيا في تلك الساعة من بعد منتصف الليل بالعميد الركن دريد الدملوجي مدير عام الوكالة انذاك، في بيته، وطلبت اليه المجيء الى الوكالة لان حدثاً مهماً قد وقع!

وبعد نصف ساعة كان العميد الدملوجي في الوكالة.. فتساءل عن ذلك الحدث المهم. قلت له: لاندري.. ولم تخبرنا اية جهة رسمية به..!!
ثم قلت بعدئذ: لماذا لاتتصل بوصفك ضابطاً كبيراً ومدير عاما للوكالة بمديرية الاستخبارات العسكرية، وتستفسر منهم عن الاخبار الجديدة، كأنك على علم بما وقع وحدث، وتطلب المزيد من الاخبار!

طلب العميد الركن الدملوجي بوساطة الهاتف الرسمي الخاص، مديرية الاستخبارات العسكرية وسألهم عن الاخبار الجديدة...

قال له مدير الاستخبارات العسكرية: ان طائرة الرئيس مازالت مفقودة.. وانهم لم يعثروا على اي اثر لها لحد الان.

عندئذ.. بانت لنا الحقيقة..

وبقينا جميعاً في الوكالة، وفي الاذاعة والتلفزيون، نترقب الاخبار. حتى اشار عقربا الساعة الى السادسة من صباح الخميس ١٤ نيسان ١٩٦٦، حينذاك علمنا، بعد ان انقشع ظلام الليل، وبانت الحقيقة جلية واضحة بالمأساة.

* *

قبل ان نروي دقائق الساعات الاخيرة في حياة الرئيس عبدالسلام محمد عارف، وتفاصيل مصرعه، وتقارير الهيئات التحقيقية والفنية، والساعات التي اعقبت مصرعه.. يجدر بنا ان نتناول الظروف السياسية التي كانت تسود العراق في تلك الايام، ومعرفة (الراغبين) في (ذهاب) عبدالسلام محمد عارف و (غيابه) عن المسرح السياسي!

لقد ازداد خصوم الرئيس عبدالسلام محمد عارف وكثر عددهم، واصبح العديد من افراد الشعب يتمنون زوال حكمه، بعد ان استأثر بسلطات الحكم بمفرده، وامسك بيد من حديد على زمامها!

وكان اخر من تخلى عنه (جماعته) الذين ساندوه بكل قوتهم في احلك الظروف واصعبها.

واصبح الرئيس عبدالسلام في الاشهر الاولى من عام ١٩٦٦ حاكماً مطلقاً، يدير امور البلاد بمفرده، وليس من حوله الا من انتفع منه ومن سلطانه، وهم قلة، اذا قيسوا بكثرة اعدائه وخصومه ومنتقديه!

لو نقبنا بدقة، وتمعّنا بصفاء، مايجري ويدور تحت القشرة السطحية، لوجدنا ان الذين (يتمنون) زواله و (يريدون) افول حكمه عديدون، هم:

١ ـ انصار الملكية في العراق.
٢ ـ مؤيدو عبدالكريم قاسم.
٣ ـ الشيوعيون.
٤ ـ الاكراد (جماعة البرزاني).
٥ ـ الايرانيون.
٦ ـ البعثيون.
٧ ـ الناصريون.
٨ ـ عبدالرحمن البزاز ومريدوه.

وعندما رحل عبدالسلام محمد عارف عن هذه الدنيا، في تلك الحادثة التي راح ضحيتها ايضا، عدد من الابرياء.. ترددت في الاندية والمجالس، وعلى ألسنة الناس الشائعات والتقولات، اغلبها كان يؤكد ان الحادث مفتعل، يسبقه تحضير وتهيئة وسبق اصرار.. وكثرت الاصابع التي تشير الى (الفاعل الاصلي) ـ سواء كان هذا الفاعل جهات او فئات او كتلاً سياسية او عسكرية!

لقد تضاربت الاقوال ـ في حينه ـ في (المسبب) لذلك الحادث، وتعدد ذكر (الاداة) او (الفعل) الذي تسبب في سقوط طائرة الهليوكوبتر، ومقتل ركابها جميعاً.

* فقد قيل.. ان (احدهم) من الناقمين على عبدالسلام محمد عارف ونظام حكمه قد وضع مخدراً في (البيبسي كولا) الذي قدم للطيار النقيب خالد محمد نوري، وان هذا المخدر كان السبب في فقدان السيطرة على قيادة الطائرة، وبالتالي سقوطها متفجرة!

* وقيل.. ان عبوة ناسفة صغيرة قد دُست في جيب احد الوزراء المرافقين للرئيس عبدالسلام، بغفلة منه، وان هذه العبوة الناسفة كانت موقوتة للتفجر في وقت ميعادها عندما تكون الطائرة في الجو!

* وقيل ايضا.. ان متفجرة صغيرة ممغنطة لصقت تحت مقعد الطيار، وانها انفجرت بعد دقائق من اقلاع الطائرة!

* وقيل.. ان حفنة من الرمل، قد سكبت في فتحة مخزن الوقود (البنزين) في الطائرة.. وان الرمل الناعم اختلط مع البنزين، ليسد منافذ احتراق الوقود، فأدى الى اهتزازها بعنف وسقوطها وانفجارها!

* وقيل... ان احد مرافقي الرئيس عبدالسلام الذي كان ينتمي الى حزب معارض، دون ان تكون هويته الحقيقية مكشوفة، كلف من مسؤوله الحزبي بحمل رزمة في طائرة الرئيس لايصالها الى البصرة، وكانت هذه الرزمة عبارة عن عبوة متفجرة!

* وقيل.. ان (احدهم) قد اطلق قذيفة على الطائرة، اصابت مستودع الوقود فانفجرت، وسقطت محترقة!

* وقيل.. ان جهازا صغيرا يبث اشعاعاً لشل الحركات الارادية، قد وضع في مكان خفي في (لوحة) القيادة، قد شلَّ اعصاب الطيار، وجعله لايستطيع التحكم بمقود الطائرة.

* وقيل.. ان الطيار النقيب خالد محمد نوري قد رتب انفجار الطائرة، وقفز منها، وهرب الى جهة مجهولة، لاسيما بعد اعيا هيئة التحقيق الوصول الى معرفة جثث خمسة من الركاب كانوا قد انصهروا في كتلة واحدة، ولم يستدلوا عليه!

* وقيل.. وقيل... وقيل الكثير من هذه التقولات والتكهنات، والرجم بالغيب!

ولنعد الان الى (الاحتمالات)، او (الدوافع) التي تكهن المراقبون السياسيون، ان (الراغبين) في غياب عبدالسلام محمد عارف عن مسرح الحكم في العراق، كانوا وراءها، وهم:

١ ـ انصار الملكية: لقد اعتبر (الملكيون) ان وراء مقتل العائلة المالكة في العراق، صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ في قصر الرحاب هم كل من: عبدالكريم قاسم وعبدالسلام محمد عارف وعبداللطيف الدراجي، الذين سبق ان قرروا قتل الثلاثة الكبار بعد نجاح الثورة: الملك فيصل الثاني والامير عبدالاله ونوري السعيد، والقضاء على حكمهم.

ومن ذلك اليوم الدامي، الذي صرع فيه كذلك: الملكة نفيسة والدة الامير عبدالاله وجدة الملك فيصل الثاني، والاميرة عابدية شقيقة الامير عبدالاله، وعدد من حاشية وخدم الاسرة المالكة ـ ازمع (بعض) انصار العهد الملكي، الانتقام من (المحرضين) الثلاثة، متحينين الفرص لقتلهم.

وعندما صرع عبدالكريم قاسم ظهر يوم السبت ٩ شباط ١٩٦٣ في الاستوديو الكبير في الاذاعة بالصالحية بالكرخ من قبل ثوار رمضان، وتلاشيه في قعر نهر ديالى، تنفس (الملكيون) الصعداء..

لم يبق امامهم غير عبدالسلام وعبداللطيف الدراجي، وقد سنحت لهم الفرصة عندما جمعت طائرة الهليوكوبتر في القرنة الاثنين معاً.

وكان في قاعدة الشعيبة الجوية في البصرة، طيار من (اقرباء) العائلة المالكة، او يمت بصلة ما اليها هو المقدم خالد حسين ناصر فأن (الملكيين) ربما تحينوا هذه الفرصة، ودبروا معه ذلك الحادث!!

٢ ـ مؤيدو عبدالكريم قاسم: عندما صرع عبدالكريم قاسم وسقط نظام حكمه، ظل مؤيدوه، يتحينون الفرص للانتقام من عبدالسلام محمد عارف، لانهم اعتقدوا ان ابادة عدد كبير منهم غداة نجاح ثورة رمضان، وطردهم من الحكومة والجيش، وزجهم في السجون والمعتقلات كان وراء ذلك كله عبدالسلام، فعلى هذا قرروا ازالة عبدالسلام ونظام حكمه من الوجود وانهم خططوا لذلك، وانهم بلاشك الراغبين في غيابه، والمتمنين زوال حكمه الى غير رجعة!!

٣ ـ الشيوعيون: لقد شن الشيوعيون حملة شعواء قاسية على عبدالسلام محمد عارف عندما بدأ الخلاف يستحكم بينه وبين عبدالكريم قاسم، كما انهم استباحوا مدينةالموصل القومية بعد فشل ثورة الشواف، وقتلوا وسحلوا وعلقوا على اعمدة الكهرباء وعلى الاشجار، العديد من ابنائها ونسائها وشيوخها، كما استباحوا كذلك مدينة كركوك ومثلوا بشهدائها ايضا.. وعندما زال عبدالكريم قاسم وعهده، شن الرئيس عبدالسلام محمد عارف حملة بلا هوادة على الشيوعيين، فاحال الكثير منهم على المحاكم، واعدم من اعدم، وسجن من سجن، وطرد الالاف منهم من دوائر الدولة والجيش، وهرب العديد منهم الى خارج العراق.. فأصبح ـ في نظرهم ـ عدوهم الاول، الذي يجب ان يدفع الثمن باهضاً، وان يزال من الوجود هو ونظام حكمه، فخططوا

لذلك، وحاولوا مرة الاطاحة به - في تمرد لهم في معسكر الرشيد، ولكنهم فشلوا.. فازداد حقدهم عليه.

فقد جاء في تقرير الاجتماع الاعتيادي للجنة المركزية للحزب الشيوعي المنعقد في اواخر تموز ١٩٦٥: «الوقائع تؤكد من جديد، اشتداد عزلة الحكم الدكتاتوري لدرجة قصوى، وتفاقم ازمته.. والتصدع الخطير الذي طرأ مؤخرا على كيان الهيئة الحاكمة بخروج عناصر الكتلة (الناصرية) قد كان منسجما مع التحليلات التي استند اليها بيان اللجنة المركزية في صياغة وتحديد الموقف من هذا الحكم.. ان خروج عدد من الوزراء (الناصريين) وماااقترن به من اقصاء بعض انصارهم من مراكز الحكومة، ليس مجرد تعديل وزاري اعتيادي، وانما هو في الجوهر من الانقلاب التي تم في ظرف بلغ فيه الصراع ذروته بين الطرفين، ومهما يكن من امر، فأن خروجهم من الحكم هو خطوة ايجابية يمكن تقييم نتائجها من خلال المواقف اللاحقة التي سيتخذها هؤلاء الساسة وانصارهم ازاء هذا الحكم الدكتاتوري وسياسته المعادية لمصالح الشعب..

وطرح الحزب الشيوعي العراقي بعد ذلك شعار «العمل الحاسم» بعد ان نوقش في الاجتماع الموسع للجنة المركزية في تشرين الاول ١٩٦٥، واتخذ به قرار ينص: «في حالة القيام بعمل حاسم نؤيد تماما الاعتماد على معاونة فعالة من قوى (هاشم) - المنظمة العسكرية التابعة للحزب الشيوعي - على ان تكون هذه المعاونة الفعالة عاملاً حاسماً في هجوم الحركة الجماهيرية، وليس بديلاً عنها»!!

٤ - الاكراد: كان عبدالسلام محمد عارف في الايام الاولى لثورة الرابع عشر من تموز، قد حمل على المتمردين في شخص (الملا مصطفى البرزاني) - المغترب العائد من موسكو، وكان يردد - بعد عودة البرزاني وجماعته الى العراق - في مجالسه الخاصة، انه لو بيده الامر لقال للبرزاني وجماعته: «برو... برو....» - وهي كلمة باللغة الكردية، تعني باللغة العربية: «اذهب... اذهب....»!

وقد استبشر جماعة الملا مصطفى البرزاني، وفرحوا كثيرا، عندما زج عبدالسلام محمد عارف في السجن، وايدوا عبدالكريم قاسم والشيوعيين في ضربهم العناصر القومية الوحدوية.

وقد تمرد الاكراد في شمال العراق وثاروا عدة مرات في عهد عبدالسلام محمد عارف وقسى احياناً معهم كل القسوة، لاسيما في ايامه الاخيرة، فقرروا الانتقام منه لما سببه لهم من مآسي وآلام، ووجوب (غيابه) والقضاء على نظام حكمه مهما كلفهم الامر!

٥ - الايرانيون: حاول الرئيس عبدالسلام محمد عارف في بادىء حكمه ان يقيم علاقات ودية مع ايران، محاولة منه لاصلاح ذات البين بينه (شخصياً) وبين حكم الشاه في ايران، بعد ان تعرض مرارا في خطبه الارتجالية التي كان يلقيها على جماهير المحافظات في جولاته، في بدء ثورة الرابع عشر من تموز، بحكم الشاه، والاشادة بالثائر الايراني الدكتور محمد مصدق وتمجيد مواقفه الوطنية بعد قيامه كرئيس لوزراء ايران بتأميم النفط مما اغاظ الايرانيين في حينه.

ولكن مشاكل الحدود بين البلدين الجارين كثرت، وتعددت الاعتداءات الايرانية على المراكز الحدودية العراقية.. وقد بلغت الازمة بين البلدين قمتها، بسحب البلدان سفيريهما وتأزم العلاقات الدبلوماسية، عندما تدخل شاه ايران، محمد رضا بهلوي - على لسان سفيره في بغداد، حينما قدم اوراق اعتماده لرئيس الجمهورية العراقية - في شؤون العراق الداخلية، فطرده الرئيس عبدالسلام قبل ان تتم مراسيم تقديم اوراق الاعتماد، فاغتاظ الايرانيون مرة اخرى - وعلى رأسهم الشاه - من تصرف الرئيس عبدالسلام محمد عارف، وناصبوه العداوة متحينين الفرصة للاطاحة به وبنظام حكمه!!

٦ - البعثيون: كان حزب البعث العربي الاشتراكي، يرى في عبدالسلام محمد عارف قوميا متحمساً اقرب اليهم من اي شخص اخر، فناصروه في بدء ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ كل المناصرة، وايدوه بكل طاقتهم وحماسهم، ودافعوا عنه بكل قوتهم، عندما قدمه عبدالكريم قاسم للمحاكمة، وساعدوه كثيرا وعائلته عندما زج في السجن، ونصبوه رئيساً للجمهورية عندما اطيح بعبد الكريم قاسم ونظام حكمه.. ولكنه انقلب عليهم، وزج بكثير منهم في السجون والمعتقلات، وناصبهم العداء، فاخذ يهاجمهم في كل خطبه، وينتقد مبادئهم، ويصفهم بابشع الالقاب والنعوت.

وقد تمكن في الخامس من ايلول ١٩٦٤ - كما يقول زهير صادق الخالدي في كتابه «صدام حسين والتحدي» - المناضل صدام حسين من اعداد خطة الثورة وتهيئة مستلزماتها للانقضاض على نظام عبدالسلام عارف. وبسبب انكشافها تعرض الحزب لموجة جديدة من الارهاب الدموي والبطش، واعتقل عشرات الالوف من المناضلين البعثيين واصدقائهم في كل انحاء العراق».

ولهذا فقد اعتبروه «حجر عثرة لابد من ازالتها، لكي يكون العراق في المكان الملائم من حركة التحرر الوطني والقومي، لان وجوده صار خطراً يهدد امن وامال الجماهير.. لذا كان لابد من ازاحة هذا الحكم وتصفيته كلياً»!

٧ - الناصريون: كان عبدالسلام محمد عارف من اشد المتحمسين للرئيس جمال عبدالناصر ولمبادىء ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في بادىء الامر، كما ان الكثيرين ممن استهوتهم منجزات الرئيس جمال عبدالناصر ومواقفه الوطنية والقومية - كانوا يؤيدون ويناصرون ويدعمون عبدالسلام محمد عارف.. ولكنهم عندما شعروا بانه اخذ يبتعد عن (الوحدة) ويخف اعجابه بمنجزات عبدالناصر شيئاً فشيئاً، وبدأ يتقول على عبدالناصر ويهاجمه في مجالسه الخاصة، ويلمح انه وراء بعض الاحداث، وانه اصبح (منافساً) له على (زعامة) الامة العربية!! - انفض عنه اغلب من كان يؤيد ويعجب بالرئيس جمال عبدالناصر.

وعندما استفحل هذا (الداء) عند الرئيس عبد السلام - حاول عارف عبدالرزاق - وكان من المؤيدين للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، ومن المعجبين بالرئيس عبدالناصر - القيام بانقلاب عسكري للاطاحة بحكم عبدالسلام - كما مرّ بنا سابقاً - وعندما فشل ذلك الانقلاب، شن الرئيس عبدالسلام حملة قاسية على كتلة عارف عبدالرزاق، وزج بهم في السجون

والمعتقلات، فحمل (هؤلاء) في نفوسهم البغضاء والضغينة، وصمموا الانتقام منه «للاعمال المشينة وتصرفاته المريبة» وقرروا انه يجب ان (يغيب) عن الوجود، وان يحلوا هم مكانه، ليحققوا اهدافهم المعلنة.

تؤكد السيدة وفاء عبدالسلام محمد عارف ان انصار جمال عبدالناصر كانوا وراء مصرع والدها، وانها عندما التقت الرئيس جمال عبدالناصر في القاهرة بعد مصرع والدها، قالت له: ان اجهزة المخابرات المصرية هي التي خططت لقتل والدي، وانها كانت وراء الحادث...». وتقول، ان عبدالناصر استغرب من ذلك، واكد لها ان ذلك لم يحصل، وانه كان يعتبر والدها اخاه وصديقه العزيز، وانه آلمه كثيرا مصرعه على ذلك الشكل، وانه حزين لغيابه ورحيله.

وتضيف السيدة وفاء قائلة: «ان زعامة والدي في المشرق العربي وبروزه كقوة سياسية كبيرة، دفعت اجهزة عبدالناصر الى تصفيته والتخلص منه، كمنافس لعبدالناصر!!!

٨ - عبدالرحمن البزاز ومريدوه: كان عبدالسلام محمد عارف - معجباً منذ شبابه - بعبدالرحمن البزاز، فقد كان يعتبره كشقيقه الاكبر [كان البزاز يكبره بثماني سنوات]، وانهما نشأ في محلة واحدة. وكان الاثنان يؤمنان بالقومية والوحدة العربية، ويتمسكان بالتعاليم الاسلامية والدين الحنيف..

وعندما فشل عارف عبدالرزاق رئيس الوزراء في محاولة انقلابه، كان عبدالرحمن البزاز نائبا لرئيس الوزراء وزيراً للخارجية، فكلفه الرئيس عبدالسلام بتشكيل حكومة جديدة. وقبل ان يصبح البزاز رئيساً للوزراء - امضى سنتين في لندن وجنيف كسفير لدى بريطانيا وكأمين عام لمنظمة الاقطار المصدرة للنفط..!!

وكان عبدالرحمن البزاز رجلاً طموحاً، معجباً بنفسه كل الاعجاب، ويعتبر نفسه اهلا لرئاسة الجمهورية لنزارة علمه، وسعة مداركه السياسية، ومعرفته باللعبة السياسية العربية والدولية.. فالبزاز كان يطمع في ان يحل مكان عبدالسلام محمد عارف في رئاسة الجمهورية في (غيابه) او (خلو) منصبه!

ففي البيان رقم (١) الذي اصدره عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء صبيحة الرابع عشر من نيسان ١٩٦٦ عن حادث الطائرة الذي اودى بحياة الرئيس عبدالسلام محمد عارف: جاء مايلي: «وتعلن الحكومة الى الشعب كافة بانها تقدر مسؤولياتها في هذه الفترة العصيبة. وقد انيطت مهام السيد رئيس الجمهورية بالسيد رئيس الوزراء، حسب احكام المادة السادسة والخمسين من الدستور المؤقت...».

وبملاحظة نص المادة (٥٦) من الدستور المؤقت - كما قالت مجلة «الحقوقي» في مقال نشرته تحت عنوان «خرق فاضح للدستور» - «يتضح بجلاء ان احكام الدستور تمنع رئيس الوزراء، منعاً قاطعا وصريحاً من ممارسة صلاحيات رئيس الجمهورية، اذ تنص على مايلي: «مادة ٥٦ - خلال فترة خلو منصب رئاسة الجمهورية يستمر رئيس الوزراء على ممارسة صلاحيته. ولايحق له ممارسة صلاحيات رئيس الجمهورية».

واضافت مجلة «الحقوقي» قائلة: «وهذا يعني ان ممارسة رئيس الوزراء لمهام رئيس الجمهورية في الفترة بين الرئيس السابق والرئيس التالي، تعتبر باطلة، لانه استعمل هذه الصلاحيات بدون وجه حق. الامر الذي يستتبع - بالضرورة - بطلان جميع القرارات والمراسيم التي اصدرها بهذه الصفة».

ثم تساءلت «الحقوقي»: «على اي اساس او قوة دستورية او غير دستورية استند رئيس الوزراء بتسلمه هذه الصلاحيات؟ وكيف سمح لنفسه - وهو العميد السابق لكلية القانون، والفقيه بتفسير بنوده، والحريص على سيادة وتطبيق احكامه تطبيقا صحيحا سليما - كما اعلن عن ذلك مرارا؟ وهل كان الاستاذ البزاز على علم مسبق بما اقدم عليه من عمل له دلالته وخطورته؟! فأن كان كذلك، فتلك مصيبة، وان كان لايدري فالمصيبة اعظم!!

ولاشك ان الدستور العراقي عندما نص على ذلك، كان مقصوداً عدم منح رئيس الوزراء صلاحيات رئيس الجمهورية، وذلك لتأمين سلامة انتخاب رئيس الجمهورية من قبل اشخاص الهيئة التي منحها الدستور هذه الصلاحية. وبخلافه يكون لرئيس الوزراء - وقد تسلم مهام رئيس الجمهورية خلال مدة الاسبوع - ومن الناحية النظرية في الاقل - حق تعيين وزراء جدد، وحق تعيين قادة الفرق، واعضاء مجلس الدفاع الوطني، فيضمن بذلك انتخابه رئيساً للجمهورية من قبل اشخاص جاء بهم لهذا الغرض.

ولهذا السبب فان المشرع لم يسمح لرئيس الوزراء ممارسة صلاحيات رئيس الجمهورية صراحة، ادراكاً منه لهذه الناحية الخطيرة، والتي لم تراع من قبل السيد رئيس الوزراء عند اعلانه البيان الاول المشار اليه اعلاه».

كما نشرت مجلة «الحقوقي» في نفس هذا العدد تحت عنوان بارز «البزاز.. يعترف» وباطار عريض قائلة: «اعترف الاستاذ عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء في مجلس ضم لفيفاً من مريديه بانه فعلا قد خرق الدستور في مادته السادسة والخمسين.. لانه كان «في حالة من الانفعال والارتباك» - على حد تعبيره - صبيحة اعلان وفاة الرئيس عبدالسلام محمد عارف..

فلم يستطع ان يلاحظ كلمة «لا» في نص المادة (٥٦)!!

وهكذا اعترف الاستاذ البزاز بخطأه ونفى عن نفسه «التعمد» في ذلك...

وهكذا انطلق مريدو البزاز يدفعون عن استاذهم «القصد» و «التعمد» في خرقه الدستور..

ولكن.. نسي الاستاذ البزاز - او تناسى - بان الدكتور جاسم الوهابي رئيس ديوان مجلس الوزراء قد نبهه الى ذلك، وقال له:

- سيادة الرئيس ان هذا خرق لاحكام الدستور فلا يجوز لرئيس الوزراء ان يمارس صلاحيات رئيس الجمهورية خلال فترة خلو منصب رئاسة الجمهورية..

ولكن الاستاذ البزاز اجابه ببرود - دونه برودة الانكليز - :

- انني اعلم بذلك... ولكنني سوف لا امارس صلاحيات رئيس الجمهورية.

فقال له الدكتور الوهابي:

- ولكنها مخالفة صريحة لاحكام الدستور.

اجابه الاستاذ البزاز - باللهجة العامية:

- محد راح يدري!!].

هكذا كان يطمح عبدالرحمن البزاز في ان يتربع كرسي رئاسة الجمهورية...

وقد انطلق مؤيدوه ومريدوه بكل قوتهم وسرعتهم الى تهيئة الاجواء لتنصيبه رئيساً للجمهورية. وظهرت الصحف الموالية له، تؤيد ذلك، فقد نشرت جريدة (العرب) البغدادية لصاحبها ورئيس تحريرها نعمان العاني الصادرة في ١٥ نيسان ١٩٦٦ عنواناً (مانشيتاً) كبيراً يقول: «البزاز.. رجل الساعة»، وكتبت تحته مايوحي بان عبدالرحمن البزاز هو الذي سيكون رئيسا للجمهورية، وان ليس هناك افضل واحق منه بهذا المنصب الخطر.. وانه «رجل الساعة» عن جدارة!!

ويتساءل الكاتب الصحفي محمد باقر شري في مقال له نشره في جريدة (الكفاح) البيروتية بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٦ تحت عنوان «ماذا يجري في العراق؟» قائلاً:

«اذا كانت الاستخبارات المركزية الامريكية او البريطانية، مع بعض عناصر الحكومة العراقية، او حتى بعض عناصر الاحزاب الموتورة في العراق، قد قامت بعملية «طائرة الهليوكوبتر» فالى ماذا كانت تهدف، مادام لم يخلف عبدالسلام من يمثل اتجاهها، بل جاء حكم لايقل نظامه عن حكمه.

ثمة من يقول: ان المستفيد الوحيد المفترض من ذهاب عبدالسلام عارف يومذاك هو حكومة البزاز، وشخص رئيسها على وجه التحديد، خاصة ان له لون الصداقة «الاكاديمية» للغرب سيتولى دستورياً، مهام الرئيس بعد مقتله، وبعد ذلك يتم التمهيد لانتخابه رسمياً. وقد كان يحدث ذلك بالفعل، فقد صوت الوزراء الى جانبه طبعاً، وكان احدهم في ليبيا فاستدعاه ببرقية لكي لايخسر صوتاً. وقد كاد يفوز، لان اصوات الوزراء تعادل اصوات العسكريين، الا ان هؤلاء وضعوا مسدساتهم على الطاولات، وفرضوا انتخاب عبدالرحمن محمد عارف تحت طائلة التهديد»!

ويستطرد محمد باقر شري قائلا: وعلى ذكر البزاز فهناك تواتر في بغداد حول اجتماعه بشمعون في لبنان، ويضيفون اليهما وصفي التل.

وبالمناسبة - والكلام لايزال لشري - فقد طلبت وكالة رويتر من مكتبها في بغداد، ان يوافيها بمعلومات عن تفاصيل الزيارات التي قام بها شمعون الى بغداد في العهود السابقة.. ومهما يكن من امر فان البزاز ليس بعيدا عن جو (التفاهم) مع الغرب، وهو يتميز بعقلية جامعية، لاتستهدف التقيد باي اتجاه او عقيدة او مبدأ، ولقد لجأ الى القاهرة خلال المد الشيوعي، وكانت معاداة الشيوعية في ذلك الوقت امرا مشتركا لجميع العناصر اليمينية والقومية العربية اليسارية على حد سواء.»

ويتساءل كذلك (بعض) المراقبين السياسيين عن مقابلة عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء ظهر يوم الاحد ١٠ نيسان ١٩٦٦ - اي قبل حادث الطائرة بثلاثة ايام - المستر اندرسن - وزير المالية الامريكي الاسبق، والضالع في المخابرات المركزية الامريكية (C.I.A) وعن الاحاديث التي دارت بين الطرفين، وهل لها علاقة بموضوع (غياب) الرئيس عبدالسلام محمد عارف؟!

وتساءلت مجلة (الحقوقي) الناطقة بلسان جمعية الحقوقيين العراقيين، في عددها الخامس الصادر في الاول من عام ١٩٦٧ تحت عنوان: «لماذا لم يركب محمد ناصر طائرة الموت؟» قائلة:

«ازداد تساؤل الناس ـ بعد ان صدر العدد الرابع من «الحقوقي» عن اسباب عدم ركوب الدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والارشاد في حكومة البزاز المقالة ـ الطائرة المشؤومة التي اودت بحياة الرئيس الراحل عبدالسلام محمد عارف وصحبه الابرار.. في حين انه كان مقررا له ان يكون بمعية رئيس الجمهورية في جولته التفقدية هذه الى جنوب العراق.. خاصة وانه من ابناء تلك المنطقة...!

وانطلقت هذه التساؤلات يتردد صداها في كل المجالس والاندية.. وفي كل مكان.!

وفي مجلس ضم الدكتور محمد ناصر ورئيسه السابق السيد البزاز ولفيفا من اصدقائه...

اجاب (ابو علي) بكلمات مهزوزة قائلا:

ـ لعل الناس لايعرفون السر الذي دفعني لعدم ركوب الطائرة مع رئيس الجمهورية.

فقد وقعت بيني وبين المرحوم عبدالله مجيد سكرتير رئاسة الجمهورية ـ آنذاك ـ مشادة، حيث انه وجه لي كلاماً، كان ينبغي الا يوجه لمثلي كوزير..

فقد قال لي بلهجة الامر: قل لجماعتك ـ ويقصد مصوري التلفزيون ومندوبي الصحف والاذاعة ـ ان يتقدموا الركب..

فما كان مني الا وانسحبت من الركب محتجاً على ذلك..!!

هذا ماقاله الدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والارشاد في حكومة البزاز السابقة عن سبب تخلفه عن ركوب الطائرة المشؤومة...

(والحقوقي) لاتريد ان تناقش هذا الادعاء، وهذه القصة الساذجة الصادرة عن الدكتور محمد ناصر، ولاسيما ان الطرف الثاني وهو المرحوم عبدالله مجيد قد ذهب للقاء ربه..!!

ولاتريد (الحقوقي) ان تكذب هذا الادعاء في هذا العدد..

وانما تطالب (الحقوقي).. بل ويطالب الشعب العربي في كل مكان ان ينشر التقرير القضائي الذي قدمته الهيئة التحقيقية الخاصة في هذا الصدد..

وعندئذ... سيظهر كل شيء على حقيقته].

ونشرت ايضا مجلة (الحقوقي) في نفس هذا العدد، وتحت اطار بارز بعنوان «تقرير خطير يؤكد (اهمال) حكومة البزاز و (تقصيرها)»! قائلة:

«رفعت لجنة التحقيق الخاصة التي قامت باجراء التحقيق الموضعي الشامل في حادث سقوط طائرة الهليكوبتر المشؤوم الذي اودى بحياة الرئيس الراحل عبدالسلام محمد عارف وصحبه الابرار ـ تقريرها الى الجهات الرسمية العليا.

وقد تضمن التقرير معلومات على جانب كبير من الاهمية والخطورة تدلل على مدى «الاهمال» و «التقصير» الذي ارتكبته حكومة البزاز والذي ادى الى هذه الكارثة..

(والحقوقي) ترجو بالحاح ان ينشر هذا التقرير الهام ليطلع عليه الرأي العام. ولتظهر الحقائق ساطعة في موضوع ظل يشغله طويلا، وسيظل يشغله حتى يعرف خفاياه وتفاصيله.]!

ولم ينشر عبدالرحمن البزاز - في وزارته الثانية، في عهد الرئيس عبدالرحمن محمد عارف التقرير القضائي الذي رفعه رئيس الهيئة التحقيقية الحاكم (القاضي) سالم محمد عزت - اليه، بل ضرب عليه «السرية التامة»!

وتروي لنا السيدة وفاء عبدالسلام محمد عارف بان والدتها قالت لعبدالرحمن البزاز عندما جاء مع زوجته (ام عامر) لتعزيتها:

- جاي اتعزيني ياعبد الرحمن، وانت وراء قتل زوجي.. روح.. ماااريدك تموت موت الله ياعبدالرحمن.. اشوفك بعون الله انكطولك!! (اي: يشربوك الماء نقطة نقطة)!!

وتضيف السيدة وفاء: وهذا ماحدث فعلاً للبزاز في اواخر ايامه فقد اخذ الاطباء يشربوه الماء نقطة نقطة..!!

اما الدكتور جابر عمر، فيؤكد ان لديه قناعة تامة بان حدوث بعض الاحداث الكبرى في وقت يسبق الصراعات الدولية المهمة، لم تكن صدفة، او بنت وقتها، وانما - في اعتقاده - انها اعدت قبل ذلك، كي لاتعرقل سير الصراعات المرسومة. فيلاحظ مثلا، ان مصرع الملك غازي قد حدث قبيل اعلان الحرب العالمية الثانية. اذ ان الملك غازي - كما كان معروفا في ذلك الوقت - كان يسير على اسلوب خاص به، ولايخضع لمخطط السياسة البريطانية في العراق. وبقاءه بهذا المركز السامي الرفيع، وبهذا الوضع - يكون خطراً كبيراً على علاقة العراق ببريطانيا عندما تعلن الحرب..

ويضيف الدكتور جابر عمر: وحادثة عبدالسلام عارف، تشبه الى حد كبير حادثة الملك غازي، اذ ان الدول الكبرى وربيبتهم اسرائيل خططت لحرب الخامس من حزيران ١٩٦٧. ولو بقي عبدالسلام عارف على رأس الحكم في العراق يتمتع بالسلطة الاولى فيه، وانه غير خاضع ايضا للاتجاهات السياسية المألوفة، لاسيما وان حرب حزيران تعتبر لديه التحدي الاول للقومية العربية ولرئيسها جمال عبدالناصر. فعبدالسلام عارف - كما هو معروف عنه - لايمكنه الا ان يسير مهما كانت الظروف، في الاتجاه القومي، ويكون حتماً سنداً للجمهورية العربية المتحدة، وبذلك يكون خطراً كبيراً على سير الاحداث، ومعرقلاً للمخطط المرسوم، فازالته اصبحت ضرورة ملحة قبل قيام حرب حزيران ١٩٦٧!!

ويؤكد لنا فيصل حسون - نقيب الصحفيين، المرافق للرئيس عبدالسلام محمد عارف في رحلته المشؤومة بان عملية سقوط طائرة الهليوكوبتر ومصرع من فيها - لم تكن قضاءً وقدراً «اذ لم تكن هناك عاصفة ترابية شديدة تسقط طائرة - كما ورد في تقرير وكالة الانباء العراقية»!

ويقول فيصل حسون ان رئيس محكمة استئناف البصرة، رئيس الهيئة التحقيقية، استدعاه بعد شهر من وقوع الحادث، وسأله عما اذا كانت هناك عاصفة ترابية قد هبت واسقطت طائرة الرئيس، فكان جوابه بالنفي.. وعلى اثر ذلك طلب رئيس الهيئة التحقيقية من كاتب الضبط الذي سجل افادته، ان يقفل المحضر، ويسجل جملة «وختمت اقواله»!

ويعزو فيصل حسون ان وراء هذا الحادث كانت قوى كبرى «اذ ان هذه القوى كانت تمهد للخامس من حزيران ١٩٦٧، وهي التي ارادت ان تخلي الساحة من اية قوة يمكن ان تعرقل تنفيذ المخطط المزمع تنفيذه في ٥ حزيران، ظناً منها بان الرئيس عبدالسلام محمد عارف كان صادق الولاء في علاقته مع الرئيس جمال عبدالناصر.

وفي قناعة فيصل حسون الشخصية - كما يقول: هي ان عبدالسلام بالرغم من عدم محبته لعبدالناصر في ايامه الاخيرة، وابتعاده عنه، فان موقفه، لو قامت حرب ٥ حزيران - التي اتفقت عليها امريكا وبريطانيا واسرائيل، سوف يكون موقفا مختلفا عن موقفه الاخير على الاقل لاثبات ادعاءاته بانه وحدوي، وانه ضد القوى الاستعمارية.

وعليه فان الراغبين في (ازاحة) عبدالسلام محمد عارف وغيابه عن المسرح السياسي والقومي هم: الامريكان والانكليز والصهاينة].

ويؤيد عبدالسميع محمد عارف - الشقيق الاكبر للرئيس عبدالسلام - هذا التكهن، ويضيف بأن (ابو ناجي) الانكليز، وشركات النفط، واليهودية العالمية، كانوا وراء مصرع شقيقه!

اما شقيقه عبدالرحمن محمد عارف - الذي خلفه في رئاسة الجمهورية فقد اكد في تصريح له لوكالة أنباء الشرق الاوسط ادلى به يوم الاثنين ١٨ نيسان ١٩٦٦ «بان استشهاد شقيقه كان قضاء وقدراً ولكن الرجعية تحاول ان تصور الحادث على انه (اغتيال). كما نفى ان يكون الحادث مدبراً]!!

* *

ويحدثنا فيصل حسون، نقيب الصحفيين حينذاك، المرافق للرئيس عبدالسلام محمد عارف عن «رحلة الموت» قائلا:

عندما قيل لي: ينبغي ان تستعد للسفر الى البصرة، مع بعض الزملاء لنرافق الرئيس عبدالسلام محمد عارف في رحلته.. لم اتردد في قبول الطلب، لانني كنت اقدر ان هذه الرحلة قد تتحول بالتالي الى فترة استجمام استطيع ان انتزعها من متاعب العمل.

والبصرة اثيرة عندي، حبيبة الى قلبي.

واهلها يحتلون من نفسي ارفع منزلة منذ عرفتهم في اول زيارة قبل تسعة عشر عاما.

وقيل لنا انكم ستسافرون بالقطار.. لان طائرة الخطوط الجوية العراقية المسافرة صباح الاثنين ١١-٥-١٩٦٦ ليس فيها مقعد واحد خاليا!

واصررت على ان نسافر بالطائرة..

ثم دبر الامر.. وفي المطار التقيت بالعميد المهندس عبدالهادي الحافظ الذي قال: ان الصحفيين انتزعوا من مهندسي وزارة الصناعة مقاعدهم في الطائرة.. بحيث اضطر المهندسون الى التوجه للبصرة بالسيارات.

وكان معنا في الطائرة الاستاذ ابراهيم الولي رئيس تشريفات رئاسة الجمهورية بالنيابة والرائد عبدالله مجيد والعميد المهندس جهاد احمد فخري.

وعندما وصلنا البصرة كان في المطار بين المستقبلين اللواء الركن عبدالمجيد سعيد مدير الموانىء العام والاستاذ محمد الحياني متصرف لواء البصرة.

وبعد ان توزعنا على غرفنا في فندق شط العرب، عدنا الى الالتقاء حيث جلست مع محمد الحياني وعبدالله مجيد وهما يناقشان منهاج زيارة رئيس الجمهورية للبصرة.

وعرفت من نقاشهم ان المنهاج قد تعرض للتعديل والتبديل اكثر من مرة..

وحاول عبدالله مجيد ان يدخل تعديلاً اساسياً عليه في ليلة بدء الزيارة.. لولا ان الحياني، اكد بأن الترتيبات قد اتخذت لتنفيذ المنهاج المطبوع، وانه ليس بالمستطاع، اجراء اي تعديل فيه!

وبدعوة من المتصرف تناولنا الغداء في احدى البساتين الجميلة على ضفاف نهر مهيجران قرب ابي الخصيب..

وانتهزت الفرصة لاحدث الحياني عن حاجة الصحفيين في البصرة الى ارض لبناء دور سكن لهم عليها..

ولم يكن الرجل بالمتردد حين اكد انه مستعد لتلبية الطلب، حالما يصله من نقابة الصحفيين رسميا، وفرحت للاستجابة السريعة الحاسمة.. وابلغتها الى بعض اخواني من الصحفيين البصريين!

وفي المساء تناولنا العشاء بدعوة من الزميل الاستاذ عبدالعزيز بركات.

وقد وصل العميد زاهد محمد صالح دار الزميل متعباً من رحلة الى القرنة والاهوار القريبة منها، حيث قام بتفقد المناطق التي سيزورها رئيس الجمهورية.

وسمعت الرجل وهو يقول بأسى:

- احسب ان هذه الرحلة ستكون مرهقة جداً.. ان المنهاج يشير الى ان تناول طعام الغداء سيتم في الواحدة والنصف..

في حين انني لااتوقع - بعد ان تجولت في المنطقة، وحسبت الوقت الذي سنقطعه في التجوال - ان يتغذى السيد الرئيس قبل الساعة الخامسة!

وبهتنا جميعاً لهذا القول.. كيف يمكن ان يكون الغذاء في الخامسة مساء، بينما ينطلق الموكب من البصرة قبيل الساعة الثامنة والنصف صباحاً؟! ولماذا كل هذا الارهاق؟! وماهي بواعث اعداد مثل هذا المنهاج المتعب؟!

وكان الحياني يستمع للملاحظات التي ابديناها جميعاً ويبتسم.

قال: انني اعتقد ان تقديرات العميد زاهد مبالغ فيها.. فربما استطعنا تناول الغداء في الرابعة والنصف!

واعتبرناها نكتة..

اذن صحيح.. ان الرحلة ستكون مرهقة جداً.. فلماذا؟ واجاب الحياني:

- ان اهالي الاهوار، يحلمون بزيارة رئيس الجمهورية. انهم لايريدون شيئاً، ولم يخطر ببالهم في يوم من الايام ان يزورهم رئيس الدولة.. وهم لذلك حريصون على ان تشمل هذه الزيارة مختلف مناطقهم، ولن نستطيع ان نختصر من المنهاج، لهذا السبب..

وبما عرف من العميد زاهد من ادب جم، قال:

- حقا لقد لمست هذه المشاعر من الناس، وكنت اتوقع ان لهم مطالب، ولذلك فهم يريدون ان

يلتقوا برئيس الجمهورية..

وعندما سألتهم عن مطالبهم، قالوا: لانريد شيئاً، سوى ان نرى الرئيس.

وهززنا رؤوسنا، حيرة: كيف يمكن التوفيق بين هذا الواقع، وبين متطلبات ان يكون المنهاج نظامياً؟!

ثم سمعت الحياني يقول:

- اتركوا الامر الى الله، وسترون عندما تشهدون حفاوة الناس برئيس الجمهورية، انني على حق!

وانتهى العشاء، وغادرنا العميد زاهد مسرعا الى اجتماع يعقده مع بعض المسؤولين لدراسة متطلبات الامن المتصلة بالزيارة.

وفي صباح اليوم التالي الثلاثاء ١٢-٤- ١٩٦٦ كان مطار البصرة يغص بالمستقبلين.

ورغم ان الحضور كان رسميا بحيث لايسمح لغير حاملي البطاقات بالدخول، فان الذين تسربوا الى مبنى الفندق، ومنه الى الحدائق كانوا اكثر بكثير مما قدر المسؤولون.

وهبطت طائرة رئيس الجمهورية، واطلقت المدفعية طلقات الاستقبال.. وجرت المراسم حسب المنهاج. ووقف الرئيس يتلقى تحيات مستقبليه ويصافحهم فردا فردا..

ومن مبنى الفندق انطلق الموكب مسرعاً.

وكانت الجماهير تحتشد على طول الطريق.. تحيي تصفيقاً وهتافاً.

وكانت البصرة مزدانة زينة العيد.

ووجدت ان من الصعب ان نمضي مع الموكب وفق المنهاج الرسمي.. مرورا بالبصرة، ثم انعطافاً على الزبير، ودرجة الحرارة، قد بدأت بالارتفاع، بسبب الريح الشرقية التي هبت على البصرة ذلك اليوم.

وانعطفت بنا سيارة رئيس التشريفات بالنيابة الى الموقع العسكري الذي تقرر اقامة جامع الشهيد جلال احمد اسماعيل فيه انتظارا لوصول موكب الرئيس.

وانتظرنا اكثر من ساعة تحت السرادق المعد وسط الارض الجرداء، نبترد حيناً بالماء، وحيناً اخر بالمرطبات.. حتى جاء الموكب، وعندما دعى الرئيس لارساء الحجر الاساسي للجامع، كنا نعود ثانية الى السيارة لنسبق الموكب الى موقع البصرة، حيث التقى رئيس الجمهورية بضباطه ومراتبه، ووقف يلقي فيهم اول خطاب له في تلك الرحلة.

وقبل ان يتوجه الموكب الى القاعدة البحرية، كنا - مع رئيس التشريفات بالنيابة - نسبقه الى نادي الضباط، حيث تجمع المدعوون لتناول الغداء مع رئيس الجمهورية، بدعوة من آمر الموقع.

وكانت الساعة قد بلغت الثانية عندما اقبل الموكب.. وشعر الرئيس انه تأخر على المدعوين، وانه لو صعد الى بهو النادي، فسيؤخر تناولهم الغداء فترة اطول.. فصاح بالذين وقفوا على شرفات النادي لاستقباله: ان على من يريد أن يتغذى.. ان ينزل، فلا مجال للانتظار..

وتناولنا الغداء.. في حدائق النادي، وتحت شمس البصرة التي بدأت تؤذي من يصطبر عليها.

وشعرت بالتعب. . خصوصاً وان المنهاج يفترض ان يغادر الموكب نادي الضباط الى البصرة فأبي الخصيب، حيث يوضع الحجر الاساس لمعمل الاسمدة الكيمياوية. . ثم يحضر رئيس الجمهورية احتفالاً اخر، قبل ان يتوجه في المساء الى الزبير لحضور حفلة العشاء التي يقيمها اهل تلك المدينة العربية تكريما للرئيس.

وملت على اذن احد الزملاء، لابلغه قراري بالتخلف عن مرافقة الموكب لاخذ قسطي من الراحة. على ان نلتقي في الزبير، في المساء.

ورأيت سيارة مدير الموانىء العام تسبق سيارتي بمغادرة النادي.

وفي الفندق امضيت فترة القيلولة، ثم جاء احد الاصدقاء ليصطحبني بسيارته الى مكان الدعوة قرب الزبير. .

ورغم ان الموعد، كان الساعة السابعة الا ان الحاضرين، وجموع المواطنين قد وصلوا الى هناك قبل ذلك بكثير. .

وعندما وصلنا، كان الموكب لم يصل بعد، فجلسنا ننتظر.

وجاء اللواء الركن عبدالمجيد سعيد، فدعاني الى مشاركته الجلوس على اريكة واحدة.

وسألته عن الموكب، فقال انه فارقه منذ انتهى الغداء في نادي الضباط. وانه رأى ان المنهج مرهق بشكل غير معقول، ففضل الذهاب الى داره، وهو يعود منها.

وتحدثنا عن منهاج الغد، وذكرت له ماسمعته من زاهد والحياني.

وقال لي مدير الموانىء العام بانفعال انه اساساً غير راض عن منهاج الرحلة كله، بسبب حشده بالفعاليات التي لامبر ر لها. واضاف انه لذلك لن يحضر غدا الى الهارثة للمشاركة في احتفال وضع الحجر الاساس لمعمل الورق، ولن يزور القرنة. ثم قال: انه اذا كان الغرض من رحلة الغد للاطلاع على الطريق الذي يربط الهوير والخاص بالمدينة مارا بالاهوار، فان رئيسين للوزارة، هما: الفريق طاهر يحيى والاستاذ عبدالرحمن البزاز، قاما بزيارة المنطقة والاطلاع على هذا الانجاز الذي حققته الادارة المحلية. . ولا حاجة لزيارة رئيس الجمهورية.

وجاء الموكب. .

واستقبل الرئيس، استقبالاً حافلاً. . !

والقيت الكلمات والقصائد. . ثم وقف رئيس الجمهورية يلبي طلب الجماهير في ان يقول كلمة وتحدث عن شتى الشؤون. . وكان حديثه ارتجالياً. وعندما بدأ يستعرض التحركات الاستعمارية في منطقة الشرق الاوسط اشار بعبارة شديدة وقاسية الى قيام الانكليز بنقل قاعدتهم من عدن الى البحرين.

وهنا تقدم منه الحياني وكان يقف خلفه هامساً باذنه بعبارة لم يفهم احد فحواها. . ولكن الرئيس لم يسكت عن التعليق عليها، بل اندفع صائحاً:

- ماذا يعني. . ليكن مايكون

وعندما ادرك عبدالسلام عارف ان السامعين لم يفهموا شيئاً قال مفسراً الموقف:

- يقول لي ان بين المدعوين بعض القناصل. . وماذا يهم، هل انا اخاف منهم؟!

وشعر الجميع ان الجو قد تكهرب، الا ان الرئيس مضى في خطابه وسط عواصف متزايدة من التصفيق.

وانتهى الاحتفال بتناول العشاء..

وقبل ان يغادر الموكب المكان، كنت اسبقه الى الفندق، حيث رآني الرئيس جالساً في البهو مع الاخوين الاستاذين زكي جميل حافظ واسماعيل خيرالله وسألني: كيف وصلت قبلنا..

فقلت له: لقد غادرت قبل الموكب».

ويستمر فيصل حسون في سرد حديثه:

«ومع الصباح - يوم الاربعاء ١٣-٤-٩٦٦ صحونا، وقبل الساعة الثامنة والنصف كنا في السيارات متجهين الى الهارثة فالقرنة.

وعلى طول الطريق، كان الموكب يستقبل بالحفاوة البالغة. اقواس تحمل عبارات الترحيب وذبائح تنحر، وبيوت من الشعر اقامها اصحابها واعدوا فيها القهوة العربية ليتناولها رئيس الجمهورية وصحبه.

وفي منطقة الهارثة، وعند المكان المقرر ان يوضع فيه الحجر الاساس لمصنع الورق اقيمت سرادقات كبيرة، وتجمع المواطنون حوالي الساحة الواسعة يهزجون ويدبكون ويرددون زجلهم وهوساتهم.

وكانت فرقة مدرسية لطيفة تقدم الحاناً شجية، على الآت الموسيقى، على نحو يستثير الدهشة والاعجاب..

والقيت الكلمات والقصائد، ثم قدمت الفرقة المدرسية بعض التابلوهات الفنية التي تمثل الجد والعمل وتحرر العامل والفلاح.. وعلى بركة الله وضع رئيس الجمهورية الحجر الاساس للمعمل الكبير.

ثم انطلق الموكب ثانية متجهاً نحو القرنة، وكان الفرسان على جانبي الطريق يواكبونه بخيولهم الراكضة، هازجين فرحين.

وعلى العادة، فقد قررنا ان نسبق الموكب، حيث يذهب. وسارت سيارة رئيس التشريفات بالنيابة، الى القرنة، فالهوير، بينما تخلف الموكب في زيارة لاحدى مناطق الاهوار.

وجلسنا ننتظر في بيت القصب الضخم الذي سيستريح فيه رئيس الجمهورية عند وصوله الى قرية الهوير الكبير..

وكان صاحب البيت الحاج جمعة العبادي قد أعد في مضيفه كل اسباب الراحة. وعقل امام البيت جملًا لنحره - مع مجموعة كبيرة من الخراف - تكريما للرئيس. وعلى منضدة طويلة وسط البيت وضعت اطباق الفاكهة بانواعها.

وعندما وصل الموكب كانت القرية كلها تخرج لاستقباله، بنسائها ورجالها، بشيوخها واطفالها..

وشق الرئيس طريقه الى بيت القصب الجميل بصعوبة بالغة..

وعندما استقر في مكانه من صدر البيت، قال موجها الكلام لي:

- أكنت تتصور انك سترى في هذا المنأى بشراً.. الا يجب ان نبدأ بالعمل من اجل هؤلاء المواطنين من هنا؟ الا يكفينا رفع شعارات..؟

ورغم الحر، ورغم الغبار الذي ملاء انوفنا، وكون طبقات سميكة فوق جلودنا، فان الرئيس كان يبدو في منتهى السعادة، للقائه بمواطنيه من اهل الاهوار.. وقبل تناول الشاي، مد

رئيس الجمهورية يده الى ليمونة، وراح يمتص ماءها. مكتفياً بذلك من المقصف الذي اثقل بألوان الفواكه. وكان يتفقد الحاضرين، ويسألهم ان يتناولوا شيئا مما حفل به المقصف.

وعندما غادرنا البيت، اجتمعت حشود المواطنين على مدخل المضيف. وراحت تطالب رئيس الجمهورية بان يخطب، فوقف على سيارته المكشوفة، وراح يؤكد لهم بان وجوده بينهم ضمان بان مطالبهم ليست شيئاً عسير التحقيق..

انهم حين يطلبون تحويل قرية الهوير الى ناحية، فهو لايكتفي بهذا المطلب بل اكثر من ذلك، وان العمل في جميع انحاء القطر يجري من اجل الشعب دون تفريق او تمييز.

ومن الهوير انطلقنا وسط الاهوار التي اخترقها الطريق الذي انشأته الادارة المحلية. فاعادت به الحياة الى هذه المناطق. وجعلتها تستشعر الادمية بعد ان اتصلت بالعالم. وكانت قبل ذلك معزولة عنه تعاني اثار تلك العزلة تخلفا رهيبا. والتصاقا بالعصور البائدة في النصف الثاني من القرن العشرين!

ولم تستطع سيارتنا ان تنتظم في الموكب وهو يمضي نحو قرية (الخاص) فأثرنا العودة متجهين نحو ناحية المدينة. حيث كانت الزوارق البخارية بانتظار رئيس الجمهورية وصحبه وحيث كان وجوه البلد في انتظار الموكب ليرافقوه في عبور نهر الفرات الى المدينة نفسها. وقد صعدنا الى احد الزوارق وانطلقنا به عبر النهر حيث وصلنا النادي الذي سيلتقي فيه الرئيس بابناء الناحية. وكان المواطنون رجالاً ونساء قد تجمعوا عند ضفة النهر وحول النادي على نحو لايسمح بالمرور الا بشق الانفس.

وعندما عبر الموكب النهر استقبلته الجماهير بالتصفيق والهتافات. وقد اثر الرئيس - وقبل ان يتوجه الى النادي - ان يطوف مشيا على الاقدام في ارجاء الناحية.. وبعد ان وصل النادي بدأ احتفال جماهيري تحدث فيه مدير الناحية والقيت قصائد وكلمات وعندما بدأ الرئيس بالقاء كلمته رأينا ان نسبقه في التوجه الى القرنة وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة بعد الظهر.. وعبرنا الفرات ثانية سالكين الطريق الذي يشق الاهوار مرورا بالقرى المتناثرة على جانبيه حتى بلغنا القرنة، ووجدنا النادي (نادي الملتقى) يعج بالمدعوين انتظاراً لمقدم رئيس الجمهورية وقال رئيس التشريفات لقائمقام القرنة عبداللطيف الجبوري اننا سبقنا الموكب وان عليكم ان تهيئوا الطعام استعدادا لوصول الرئيس.. واجاب القائمقام بان كل شيء جاهز.. وحين سيعبر الموكب النهر سأتلقى اشارة تلفونية ونقوم بما ينبغي.

وعند الساعة الرابعة والنصف سمعنا ان الموكب اقترب من النادي، ثم بدأت طلائعه بالوصول.

واقبل الحاضرون على رئيس الجمهورية يهتفون بحياته ويحيونه بحرارة.. ويصافحونه فرداً فرداً..

وكان الزملاء من الصحفيين الذين لم يتح لهم ان يقصدوا المدينة او يتجولوا في منطقة الاهوار، في حديقة النادي بانتظار الموكب.

وعندما لمحهم الرئيس عبدالسلام سألهم: لماذا لم تحضروا.. لقد فاتكم ان تروا ما لن يتاح لكم رؤيته!

وددت ان يجلس ليستريح، وتقديرا منه لانتظار المدعوين الذين جاوزوا كل حد. فقد توجه

الرئيس الى موائد الطعام وهو يقول: لا اريدكم ان تتأخروا اكثر.. طبعا انكم جعتم، فالساعة قد اصبحت الخامسة الا ربعاً!

كان مكاني - على المائدة - في مواجهة رئيس الجمهورية.

ووقف يتفقد الذين حوله...

كان يقول لهذا او ذاك، كلوا من هذا الطعام، او تناولوا من ذاك الصنف.. اما هو فكان يكتفي بمشاغلة الحاضرين والتظاهر بتناول الطعام الخفيف.

والتفت الى الزميل عبدالعزيز بركات، واوصاه بزملائه من الصحفيين، وقال:

- طبعا، ماداموا في البصرة فهم ضيوف عبدالعزيز بركات.

وتناولنا جميعا طعامنا بشهية. وكان الرئيس يبدو سعيدا غاية السعادة، فرحاً لاتتسع الدنيا لفرحته.

وبعد الفراغ من تناول الطعام انتحى رئيس الجمهورية مكانا من حديقة النادي محاذيا للنهر وجلس يتحدث مع عبداللطيف الدراجي وجلس بجوارهما: مصطفى عبدالله وجهاد احمد فخري وعبدالهادي الحافظ.

وقبل تناول الشاي طلب الرئيس ان يأتوه بسجادة ليؤدي فريضة العصر خاصة وانه يحتفظ بوضوئه. وعندما تأخروا في احضارها، قال: لاحاجة بها، فبالامكان اداء الصلاة على الارض.. ولكن القائمقام أبى الا ان يرافقه الى احدى غرف النادي، حيث ادى فريضة العصر الاخيرة!

وزحف الوقت.. وكانت الساعة الخامسة والنصف عندما جاء القائمقام يلتمس رئيس الجمهورية ان يحضر المهرجان الشعبي المقرر اقامته في ملعب القرنة.

وقال له الرئيس: ولكن الوقت ادرك، واعتقد انه ليس بوسعنا ان نتأخر عن الساعة السادسة، لان الطيارين لايستطيعون الطيران في الليل.

وسار الموكب نحو ساحة الملعب.

وهناك كانت الجماهير تطوق الساحة من جميع جهاتها، وكان المدعوون يجلسون تحت السرادقات.

وبدأ المهرجان، وتتابعت الكلمات والقصائد.

تكلم القائمقام، واعقبه شاعر شعبي تحدث طويلا عن الطيور والبلابل، قبل ان يتحدث عن مطالب القرنة. ثم القى احد الشباب قصيدة قومية. وقدمت فرقة من احدى المدارس رقصاً ايقاعيا مصحوبا بابتهالات دينية! واخيرا جاء دور رئيس الجمهورية.

ولم اسمع عبدالسلام عارف متدفقاً في حديث، كما سمعته في هذه المرة!!

كان منطلقا يعبر عن سعادته بلقاء الجماهير.. وكان سعيداً بالاستقبال الحار الذي لقيه في كل مكان.

وقال لهم بلغة بسيطة: اتظنون اننا عندما كنا نقوم بالثورات، كنا نريد لانفسنا مكاسب معينة، واننا كنا نكتفي باذاعة البيان رقم (١) من مكاتبنا، اننا لم نثر الامن اجلكم، وفي سبيل ان تغدو حياتكم غير ما كانت عليه.

ثم قال انه يتمنى ان يعمل لا في سبيل تلبية المطالب التي عرضها المتكلمون فحسب وانما ماهو اكثر منها.. حتى انه يتمنى لو استطاع ان يزوجهم جميعاً

وعندما كان يتحدث عن رغبته في العمل من اجل الشعب ارتفع صوت المؤذن من بعيد. داعياً الى صلاة المغرب.. فاستبشر الرئيس وقال: اذا ارتفع الاذان فالحديث صادق ان شاء الله.

واعتذر رئيس الجمهورية في ختام كلامه عن اضطراره للعودة الى البصرة وقال: كنت اتمنى ان ابقى معكم وان اتحدث اليكم طويلا ولكن اذا بقينا، فالطيار لايستطيع ان يطير واذا بقينا فكيف نستطيع ان نقوم بواجباتنا غدا، وامامنا منهاج حافل اخر!؟

وبدأ الظلام يرخي سدوله.. ولمحت ساعة يدي فاذا بها تقترب من السابعة الا ربعا! وراح الرئيس يلوح للجماهير بيده مودعاً، وكانت الجماهير تهتف له وتصفق وتلوح. وعلى جانب من ارض الملعب كانت تقف طائرات الهليكوبتر الثلاث.

وسار رئيس الجمهورية باتجاه الطائرات، بينما تدفقت الجموع تريد ان تودعه. وعند مدخل الطائرة التي تقف في الوسط، وقف الرئيس يصافح مودعيه.. ولم يكن في حسبان احد انه كان يودع الوداع الاخير.

وصعد الى الطائرة، بعد ان قال بصوت مرتفع قليلاً:

- في امان الله...

ورد عليه الحاضرون:

- في امان الله.

وصعد في الطائرة عبداللطيف الدراجي ومصطفى عبدالله وزاهد محمد صالح وعبدالهادي الحافظ وجهاد احمد فخري ومحمد الحياني وعبدالله مجيد..

وقيل لنا تعالوا الى احدى الطائرتين الاخريين، وصعدنا: بايز عزيز متصرف الناصرية والمقدم الركن قاسم حمودي وكيل امر الموقع والمقدم الركن زكي الصائغ ضابط ركن الموقع وابراهيم الولي رئيس التشريفات بالنيابة والمقدم فاضل مصطفى من ضباط الحرس الجمهوري وشاكر الغرباوي رئيس بلدية الناصرية واحمد الحسو من موظفي القصر الجمهوري وعبد العزيز بركات وفيصل حسون.

وربطنا احزمة مقاعدنا..

ولمحنا طائرة الرئيس - من خلال النافذة - تغادر ارض المطار باتجاه البصرة.

وبعد لحظات كانت طائرتنا تندفع وراءها تاركة الطائرة الثالثة المقرر ان تتبعنا! وكانت هذه اول مرة اركب فيها طائرة هليكوبتر.

وبدأنا نتحدث عن الطائرة: لماذا تهتز، وهل ان كل طائرات الهليكوبتر هكذا!؟

وكانت الارض تبدو لعيوننا عندما اقلعنا بالاضواء التي تنتشر في القرنة.. ولكن الاضواء انقطعت بعد ذلك فلم نعد نرى شيئا.
ومرت الدقائق.. وسألت: كم من الوقت يستغرق طيراننا قبل ان نصل البصرة؟
وقال المقدم فاضل: خمس وعشرون دقيقة.
وكلما اهتزت الطائرة كنت ألمح الرعب على وجوه بعض الحاضرين الذين لم يتعودوا ركوب الطائرات كثيرا!
وسمعت الزميل بركات يقول: ان الطائرة قد استدارت.. فرد عليه احد الحاضرين واحسبه المقدم فاضل - مداعبا بقوله:
- لا... رأسك هو اللي الدار!
وحدقت في الساعة فاذا بها قد تجاوزت السابعة وسبع عشرة دقيقة.
قلت: يبدو اننا على وشك الوصول.
وآمن الجميع على قولي.
وبدأت الارض تبدو تحتنا.. نخيل.. وشوارع وسيارات!
وفجأة حطت الطائرة على الارض بقوة وعنف.. انزعجت لها، فتساءلت: أهكذا تحط الهليكوبتر دائما؟
فقيل لي: لا..
ونظرنا الى الارض.. انها ليست ارض مطار البصرة.
وفتح باب الطائرة وفوجئنا بقائدها الملازم الاول الطيار منذر سليمان عزت يصيح بوجه المقدم فاضل:
- سيدي طيارة المشير تاهت. وفوجىء المقدم فاضل، كما فوجئنا جميعا، وقال:
- شلون.. وين تاهت؟
ونزلنا من الطائرة سراعا، ونحن نتساءل:
- اجل أين تاهت.. وكيف حدث هذا؟!
ورأيت الطيار يركض...
وهنا ادركنا اننا لسنا في مطار البصرة، وانما نحن على ارض ملعب.. وتخيلنا في بادىء الامر ان الطيار لم يستطع الهبوط في المطار، فاختار ملعب الجمهورية الذي لايبعد كثيرا عن مطار البصرة.
ولكن، ماهذه الطائرة؟!
انها طائرة الهليكوبتر الثالثة التي تبعت طائرتنا، فكيف وصلت قبلنا؟!
وقال قائل: لانحن لسنا في البصرة، اننا في ملعب القرنة.
وتلفتنا حولنا نريد ان نتثبت من صدق القول، فاذا بنا حقا مرة اخرى في ملعب القرنة.
وعلى ارض الملعب كانت السيارات قد فتحت اضواءها تنير الارض، عسى ان تهبط فيها الطائرة التائهة.. وحتى بروجكتور كاميرا التلفزيون كان يستخدم في ارشاد الطائرة..
وهرعنا خلف الطيار الى منصة الخطابة التي كانت تتوسط الملعب، حيث كان هناك التلفون.

وامسك الملازم الاول الطيار منذر سماعة التلفون يطلب الاتصال بمطار البصرة وببرج المراقبة في المطار ليبلغه ان الطائرة المقلة لرئيس الجمهورية قد فقدت اتصالها به وان على المطار ان يحاول مساعدتها بانارة المدرج.

وطلب من السيارات ان تواصل انارة اضوائها وتسليطها على ارض الملعب.. بل طلب اشعال حرائق على ارض الملعب لتراها الطائرة المفقودة. وجيء بصفائح النفط، واشعلت الحرائق ثم صعد البعض الى سطح احد المباني حيث اشعل النار فوقها، وراح يسكب النفط بدون حساب لادامة النار مشتعلة وهاجة!

وبقينا نضرب اخماسا باسداس..

ماالذي يجب عمله.. لا احد يستطيع التفكير..

وقال الطيار انه سيقوم بمحاولة لمساعدة الطائرة.

وصعد بطائرته، وحلق فوق الملعب، يرسل اشارات ضوئية ويحاول الاتصال لاسلكيا ولكن دون جدوى، وهبطت الهليكوبتر مرة اخرى على ارض الملعب.

وقال منذر وهو يروي للواقفين ماحدث:

- انني تابعت الطائرة وكنا نسير خلفها وبعد ان باتت درجة الرؤية صفرا كنت اتصل بقائد الطائرة النقيب الطيار خالد محمد نوري فادركت انه فقد الاتجاه ولم يستطع مطار البصرة ان يؤمن له المعلومات اللازمة عن الاتجاه وكانت اخر كلمة - قبل ان ينقطع اتصالنا اللاسلكي - قالها لي: داد منذر الحق لي آني رحت.

وقد حاولت عبثا ان اتصل بالطائرة بعد هذا.

وقال الطيار منذر وهو يملي على مقدم الجو خالد ناصر امر القاعدة الجوية في البصرة اخر اخبار الطائرة المفقودة بالتلفون:

- ان الطائرة استدارت نحو اليسار (٩٠) درجة بعد ان اخذت خط (١٤٨) ثم عادت فاستدارت نحو اليمين (٩٠) درجة وبات خطها (١٤٦).

وصاح المقدم فاضل بالتلفون

- افعلوا شيئا.. حاولوا.

وكان على الخط في فندق شط العرب الاستاذ على نهاد مصطفى معاون المتصرف ثم الدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والارشاد الذي عاد الى البصرة من الهارثة بعد حضور الاحتفال بوضع الحجر الاساس لمعمل الورق دون ان يواصل الجولة معنا.

ثم كان هناك اللواء الركن عبدالمجيد سعيد المدير العام لمصلحة الموانىء الذي قال لي متذمرا: انه لايفهم كيف يوضع مثل هذا المنهاج المرهق الذي لامبرر له والذي ابى ان يحضره!

ومضى الزمن ساعة اثر ساعة ولافائدة.. وقررنا عندئذ ان نتوجه الى البصرة بالسيارات.

وفي فندق شط العرب كانت جموع المدعوين تتوافد لحضور مآدبة العشاء التي اقامها المتصرف تكريما لرئيس الجمهورية!

وبدأ الهمس.. بسؤال عن سبب تأخر عودة الرئيس؟!

ثم بدأ المدعوون يتناقلون (اشاعة) فقدان الطائرة ولا يريدون ان يصدقوها!

وعندما قطعوا الامل في وصول الداعي والمحتفى به.. عللوا انفسهم مرة اخرى بالامل ثم تناولوا العشاء وانصرفوا قلقين.

اما الفندق فقد ظل خلية نحل.. اجتماعات تعقد بين الدكتور محمد ناصر واللواء الركن مجيد سعيد وكبار الضباط ورجال الادارة والامن واتصالات تلفونية تجري مع بغداد واستنفار للقوات المسلحة. ثم انطلقت زوارق مصلحة الموانيء ومفارز الشرطة وسيارات الاسعاف الى جانب مفارز الجيش الالية تذرع المنطقة جيئة وذهابا بحثاً عن الطائرة المفقودة. وحلقت طائرة تابعة لشركة النفط وعلى متنها طيار عراقي واخر عربي وثالث هندي تبحث في المنطقة وتمشطها دون جدوى.

وفي طريقنا من القرنة الى البصرة رأينا ضوءاً يسطع ثم ينطفيء وخيل لنا انها الطائرة المفقودة تستنجد بالمارة، فبادلنا الاشارة باشارة ثم وقفنا في الطريق وبعثنا بسيارتنا الى اقرب مركز للشرطة بينما استخدمنا سيارة لوري لتذهب الى مركز شرطة اخر باتجاه مضاد.

وعندما كنا نقول لركاب سيارات اللوري والتكسي ان طائرة الرئيس مفقودة كانوا يصابون بالهلع ويبادرون الى الاتجاه بسياراتهم صوب الهور علهم يساهمون بالانقاذ ودعواتهم ترتفع على السنتهم. وبعد تجربة مشحونة بالانفعالات وفي ظلام الليل البهيم اكتشفنا ان الضوء الساطع كان ينطلق من مشحوف صيد كان يجوب الهور في تلك الساعة، ووصلنا الفندق لنعيش لحظات القلق والجزع. كنا في حلم مزعج لانريد تصديقه.

وجلسنا نعيش الحيرة ونحاول ان نتغلب على التعب والارهاق بفناجين القهوة.

لم يغمض لاحد جفن.. لان الجميع كانوا يعيشون القلق الرهيب.

وشعشع الفجر بعد ان اتفق طيارو القاعدة الجوية على الانطلاق مع اولى دفقات النور بحثاً عن الطائرة.

ودق باب غرفتي في الساعة السادسة الا ربعا وقال زميلي:

- لقد قضى الامر.. ان الطائرة قد احترقت بمن فيها. وقد رأيت ذلك بأم عيني!

وكانت احدى الطائرات الضخمة قد اقلت مع اطلالة الفجر المقدم فاضل والزميل عبدالعزيز بركات ومصور التلفزيون وجيه للبحث عن الطائرة المفقودة وكانت فعلا اولى الطائرات التي اكتشفت حطام طائرة الموت!

وجاء جاري في الفندق على الفور يسألني عن الاخبار.. لم استطع ان احدثه بقصة طائرة الموت، لانني لم ارد ان اصدق رواية الزميل!

وفي مكان لم يخطر على بال الذين عاشوا ليلة الفزع والرعب، وعلى مبعدة ستة عشر ميلا (نحو ٢٥ كيلومترا) جنوب شرقي مدينة القرنة، وفي ارض قاحلة مستوية ليس فيها حفر ولا تلال تناثرت طائرة الموت حطاما ممزقا.. وتناثرت بجانبها، وعلى مقربة منها جثث ركابها وطياريها الاحد عشر.

لماذا اختار القدر للطائرة هذا المكان البلقع النائي الذي لازرع فيه ولاضرع ولا يسكنه انسان؟

تلك هي حكمة القدر الذي صنع المأساة، واختار لها المسرح الدامي في ذلك الخلاء الرهيب.

ان المنطقة التي سقطت فيها الطائرة تقع في ناحية السويب شرقي شط العرب.. وهي على بعد اثنين وثلاثين ميلا (نحو خمسين كيلومترا) من مدينة البصرة، ومابين هور الحويزة وهور السويب.

وتوجهت بالسيارات لجنة انتدبها وزير العدل برئاسة السيد سالم محمد عزت رئيس محكمة استئناف منطقة البصرة لاجراء كشف على مكان الحادث والقيام بتحقيق قضائي عنه.

وعندما وصلت برفقة اللجنة حطت طائرة عسكرية قرب طائرة الموت، مقلة لجنة اخرى تم تأليفها برئاسة عقيد الجو الركن زيدان احمد زيدان لاجراء تحقيق فني في اسباب الحادث وظروفه ووقفت معقود اللسان مشدوها امام منظر طائرة الموت وقد تناثرت حطاما. وتمزقت اشلاء.

وتاه فكري وانا ارى بعيني صورة الكارثة المفجعة.

وكنت انتقل بين الجثث وبين حطام الطائرة، وآهات تنفجر بها القلوب من الضباط والجنود والعمال وسواق السيارات.

ورأيت مالم استطع بعد ان اكذبه. رأيت الفاجعة مجسدة على الارض.. وقد رسمها القدر مأساة لايتصورها العقل!

ماهذا الذي على بعد ثلاثة امتار من هيكل الطائرة؟

انها جثة الرئيس عبدالسلام محمد عارف منكفئا على وجهه وقد شبك يديه تحت صدره وألتصق وجهه بالارض..

ياالله كيف حدث هذا؟!

لقد كان الرجل قبل دقائق معدودات ملء القلوب والابصار وكانت الحناجر تهتف له: «احنا جنودك ياسلام...» و «عبدالسلام محبوبنا مكتوب جوه قلوبنا» فكيف به بعد دقائق يفترش هذا المكان من الارض.. والنار القاسية تتناول اطرافه بالحروق الشديدة فتحول بعضها الى مايشبه الفحم؟!

لقد عاند الرجل الموت، وظل تحت المشنقة ينتظره نيفا وثلاث سنين.. وهاهو يعانده مرة اخرى ويظل يصارعه حتى تغلبه النار!

وعلى مبعدة اربعة امتار من جثة الرئيس والى جانب حطام الطائرة من طرفها الجنوبي انطرح مصطفى عبدالله طه، وقريبا منه كانت جثة عبدالهادي الحافظ، وعلى بعد نحو ثلاثين مترا كانت جثة عبداللطيف الدراجي.

اما عجلات الطائرة فقد تناثرت على بعد يتراوح بين الخمسين والستين مترا، وكذلك كان حال مروحة الطائرة التي تمزقت وتناثرت هنا وهناك.

وبدأ التحقيق يثبت الوقائع ويرسم الخرائط ويشخص الجثث مستدلاً عليها بما كان يكتشف الى جانب بعضها، في حين كان من السهل تبين جثث الرئيس والدراجي وعبدالله والحافظ وعبدالله مجيد.

والتقطت صور شمسية وتلفزيونية لموقع الكارثة وللجثث كل على انفراد. وعندما كان المحققون يبحثون عن الجثث قدروا ان بعضها، او بعض اجزائها لاتزال تحت بقايا الطائرة

فطلبوا من بعض مراتب الشرطة سحب هيكلها المحترق.. الا ان الشرطة لم يستطيعوا تحقيق طلبهم عندما فوجئوا بان الهيكل مازال يغوص في لجة من الجمر المتقد، وكانت الساعة انذاك الواحدة والنصف بعد الظهر.. حتى لقد اضطروا عندئذ الى استخدام جهاز كرين محمول على احدى السيارات لسحب هيكل الطائرة من مكانه.

وكان يحضر التحقيق عدد من الضباط ومدير امن البصرة، وقائد القاعدة الجوية فيها مقدم الجو الركن خالد حسين الذي روى كيفية سقوط طائرة الموت قائلا:

ـ ان العاصفة حين واجهت الطائرة اصيب قائدها بالهلع، وكان يخشى المسؤولية التي وضعت في عنقه حياة رئيس الجمهورية ورجال الدولة فارتبك ولم يستطع ان يتبين مدى ارتفاعه او يقدر موقفه تقديرا دقيقا، وحتى عندما استدار مرتين متعاقبتين لم يعد يعرف اين اصبح، ومامدى ارتفاعه، وقد اصطدمت احدى عجلتي الطائرة ـ المرجح ان تكون اليسرى ـ بالارض بحيث استتبع ذلك اصطدام المروحة وانفجار خزان البنزين وشبوب الحريق في جسم الطائرة التي ظلت مندفعة بعامل الاستمرارية ترتطم بالارض ثم ترتفع عنها لتعود الى الارتطام.. حتى استقرت في مكانها بعد ان تركت على الارض طبقة من الرماد الاسود تمتد بطول خمسين مترا وعرض لايقل عن عشرة امتار.

ولاحظت ان الرئيس عبدالسلام محمد عارف كان متمنطقا بحزام الطائرة فوق حزامه الجلدي، والى جانبه استقر مسند مقعده المحترق. بينما جمع المحققون من جانب الجثة ومن جاكيت الرئيس الذي التصق بفعل النار مصحفا صغيرا ودفترا للمذكرات وقلم حبر وبعض المفاتيح، وانتزعت من قميصه الازرار..

اما الدراجي فقد وجد ضمن جاكيت بدلته الذي تحول الى رماد والذي يبدو انه خلعه قبل ان يلقى حتفه واثر شبوب النار فيه ـ حيث وجد على بعد عشرة امتار من الجثة ـ نسخة بالحجم الصغير من القرآن الكريم، وقلم حبر وعلبة سكاير مع مبسم ـ غليون ـ وبعض المفاتيح وازرار القميص.

وعثر على خاتم زواج يحمل اسم السيدة شهبال وقد قيل انها عقيلة مصطفى عبدالله طه. بينما عثر على سدارة زاهد محمد صالح العسكرية وعلامة ياقته الحمراء، كما عثر على هوية احد العرفاء الذين كانوا في الطائرة. وعثر على حمالة مسدس يعتقد انها من مخلفات العميد زاهد.

وتهادى في الصحراء رتل طويل من سيارات الاسعاف، جاء يحمل توابيت خشبية لتحتوي جثث الاحد عشر.

وبدأ تشخيص الجثث، شخصيا وعدليا.

ثم وضعت المحاضر الكاملة ورسمت مخططات الحادث، واقوال الفنيين. وراح رجال الدين ينقلون كل جثة الى تابوتها ويسجلون اسم صاحبها عليه، بعد ان يكفنوه ويجروا المراسيم الشرعية.

ونقلت الجثث بعد ذلك الى السيارات ملفوفا كل صندوق بالعلم العراقي.

وسارت في مقدمة الموكب الجنائزي سيارة عسكرية تحمل حرس شرف.. واعقبت الموكب سيارة اخرى مماثلة.. ومضى الموكب الحزين يحفر باثار مسيرته الاخيرة ارضا شهدت بوحشتها

مصرع النجوم وهم يتقلبون على الرمال في ليل بهيم حالك السواد.
وطواه القدر مشهدا مريرا.
وضاقت بي الدنيا على رحبها.
أهكذا ينهي القدر لعبته السمجة الحمقاء؟
أهكذا يتحول عيد البصرة الكبير، مأتماً حزيناً موجعاً؟
أللهم انها حكمتك..
أللهم لا اعتراض...
وعند نهاية جسر هول القريبة من مطار البصرة، وقفت مع الجموع التي كانت تنتظر الموكب الجنائزي.. قادما من موقع المأساة.
وجاءت السيارات واحدة اثر الاخرى، وبدأ الموكب سيره الى ارض المطار، وقد اختل نظامه بعد ان فقد الجميع اعصابهم وراحوا يذرفون الدموع وينشجون بالبكاء دون تحفظ او مراعاة للرسميات!
ويختم فيصل حسون حديثه قائلا:
وكما استقبل موكب رئيس الجمهورية قبل ثماني واربعين ساعة، بطلقات المدافع، وبحرس الشرف وانغام الموسيقى، فقد ودع موكبه، في الساعة الرابعة من مساء يوم الخميس الرابع عشر من نيسان ١٩٦٦ وداعا حافلا!
واستعصت دموعي، وكأنها تحجرت في مآقي.. فرددت، ساخرا:
«وتقدرون.. فتضحك الاقدار!].

ويروي قابوس العاني مندوب جريدة (العرب) البغدادية المرافق للرئيس عبدالسلام محمد عارف فيقول:
«ماكنت اتصور، وماكان زملائي الصحفيون يتصورون ان سفرتنا مع موكب الرئيس عبدالسلام محمد عارف، الى البصرة، هي اخر سفرة معه وماكنا نتصور، ان القدر بمثل هذه الضراوة والسرعة، يسطو على قائد الثورة، الرجل المؤمن المسلم.. لكن هذا، ماحدث..
فلقد كانت هذه الزيارة ذات وجهين، او ذات صورتين.. احدهما صورة الافراح والاعراس التي عاشتها البصرة خلال ساعات قصار.. والاخرى هي صورة الاعراس التي تحولت الى مآتم واحزان..
ان كنت انسى، فلن انسى في حياتي تلك الصراحة المطلقة التي يتمتع بها الرئيس عبدالسلام، والظاهرة على كل تصريحاته وخطبه..
قال الرئيس في احدى خطبه، وبالاسلوب العامي: بأن (ابو خليل) مستعد دائما لان يسحق رأس الاستعمار بالحذاء، ومادام راس (ابوخليل) طيب، فلا مجال هنا للدساسين والمتآمرين والمستعمرين».
كانت هذه اللقطة في معسكر الشعيبة، القاعدة البريطانية الاستعمارية، التي انتزعها الجيش العراقي الشجاع من الانكليز، وحوّلها الى قاعدة وطنية تتحدى الاستعمار.

وفي اثناء وضع الحجر الاساس لمعمل الورق في الهارثة، قال الرئيس بانه يرى في هذه العملية «ثورة رابعة» في حقل الصناعة والتنمية، تضاف الى ثورات العراق التحررية.

وقبل وصول موكب الرئيس الى القرنة، استقبل من قبل شباب «النشوة» وعشائر البومنصور.. وقد ابى الرئيس الا ان يصل الى مضيف شيخ العشائر المذكورة، بعد ان قطع طريقا وعراً شائكاً وسط الاهازيج والهوسات العربية المعروفة.

وقد احتسى القهوة العربية مع الموكب في ذلك المضيف، وهو يشاهد رقصات ودبكات ابناء القبيلة التي تثير الحماس والغبطة الى درجة كبيرة.. حتى ان محمد الحياني، متصرف لواء البصرة، لم يتمالك نفسه من المشاركة في الدبكة، كأي فرد من افراد العشائر.

اصرّ الرئيس عبدالسلام محمد عارف ـ وهو في القرنة ـ على الذهاب الى حدود الجبايش، والعبور الى المدينة على ظهر ماطور، للوقوف بذاته على احوال سكان الاهوار هنالك، ولاشك في ان تلك المنطقة قد شهدت رئيساً يزورها لاول مرة.

وبعد الانتهاء من وجبة الغداء في القرنة، وحوالي الساعة الخامسة والنصف من عصر الاربعاء ـ يوم الحادث ـ ابدى عبداللطيف الدراجي وزير الداخلية رغبته في انهاء ماتبقى من مواد البرنامج المرسوم في القرنة، والعودة الى البصرة. كما ابدى مسؤول اخر رغبة في الاستمرار على استكمال البرنامج، وهي الرغبة التي تحققت اذ تأخرت عودة الموكب ساعة ونيف، فكانت العودة مع هبوب العاصفة.

في مهرجانات القرنة، قال احدهم للرئيس عبدالسلام بان القرنة احوج ماتكون الى كورنيش، وانها موعودة به منذ زمن المرحوم ياسين الهاشمي، ولم يتحقق لحد الان..!

فأجابه السيد الرئيس بانه سيوعز للمسؤولين بتنفيذ كل المشاريع الملحة، وان الكورنيش سيكون هذه المرة (نقدي)..!

ويروي لنا محمد راضي جعفر انه القى قصيدة في الاحتفال الذي اقيم في (القرنة) اثنى فيها على مواقف ومبادىء حزب البعث واشاد بمواقف قائده (القائد المؤسس ميشيل عفلق)، وان «عبدالسلام محمد عارف امتعض من تلك القصيدة، واضمر حقداً عليّ»..

ويؤكد محمد راضي جعفر انه شاهد محمد الحياني متصرف البصرة يحاول الركوب في الطائرة الثانية، وان الرئيس عبدالسلام محمد عارف قد اجبره على ركوب طائرة الهليوكوبتر التي تقله، والتي سقطت بعد ربع ساعة واحترقت بمن فيها!

وجاء في تقرير اورده فؤاد الخليل مندوب وكالة الانباء العراقية الذي كان يرافق عبدالسلام محمد عارف في زيارته للواء البصرة ان الطائرة التي كانت تقله ومرافقيه قد عثر عليها في الساعة الخامسة والدقيقة العشرين من صباح الخميس في منطقة قريبة من قرية النشوة التي تقع على شط العرب، اي بعد فقدان الطائرة بحوالي عشر ساعات.

ويقول المندوب: في الساعة السابعة الا عشر دقائق من مساء الاربعاء غادرت ارض ملعب الادارة المحلية في القرنة ثلاث طائرات هليوكوبتر أقلت احداها الرئيس ورفاقه، وكانت الطائرة الثانية تقل الوفد الصحفي المرافق له ونائب رئيس التشريفات ووكيل امر الموقع ومتصرف

الناصرية وبعض الضباط، بينما كانت تقل الطائرة الثالثة مندوبي ومصوري التلفزيون والسينما والمسرح ووكالة الانباء العراقية وبعض المرافقين.

وكان الرئيس قد حضر في القرنة احتفالاً جماهيريا ضخما اقيم لتكريم سيادته، القى فيه خطابا ومازالت كلماته الاخيرة ترن في اذان ابناء الشعب وهو يدعو الى الوحدة الوطنية لتكون انطلاقا للوحدة القومية ويدعو المواطنين الى التآخي. . ومن بين كلماته الاخيرة انه قد نذر نفسه لخدمة الشعب وكل مايريده هو ان ترفرف السعادة في كل بقعة من هذا الوطن وان يعم الامن والاستقرار اجزاءه المختلفة لننطلق بعد ذلك الى العمل والبناء.

وبعد عشر دقائق من اقلاع الطائرات الثلاث ومازال المودعون في ساحة الملعب عادت الطائرة الثالثة ومن بين ركابها مندوب الوكالة تحلق فوق سماء الملعب كأنها ريشة في مهب الريح، كان الظلام منتشراً والريح شديدة والغبار كثيفاً، وهبطت الطائرة بصعوبة بالغة ليروي ركابها الهلع الذي انتابهم خلال الدقائق القليلة التي عاشوها في الجو حين كانت الطائرة تعلو وتنخفض في عاصفة قوية حدثت بصورة مفاجئة.

وبعد دقائق اخرى عادت الطائرة الثانية التي تقل الوفد الصحفي وهبطت في الملعب بصعوبة اكبر واذا بربانها يخرج من الطائرة وهو يصرخ باعلى صوته انه قد فقد الاتصال بالطائرة الاولى التي تقل السيد رئيس الجمهورية.

وماحدث في الملعب بعد ذلك لايوصف فقد عقدت الدهشة ألسنة الجميع وخيم القلق عليهم لايدرون مايفعلون، واتصل الطيار تلفونيا بمطار البصرة يستفسر عن اخبار طائرة السيد الرئيس، لكن المطار لم يكن لديه اي خبر عن الموضوع.

ويقول الطيار ان اخر اتصال بينه وبين طائرة الرئيس كان سماع استغاثة رددها ربان الطائرة النقيب الطيار خالد محمد نوري وهو يقول انه لايرى اي شيء على الاطلاق. وان عاصفة ترابية مفاجئة قد هبت بعد دقائق من الطيران.

وكانت طائرة الرئيس قد اقلعت قبل الطائرتين الاخريين مما جعلها في وسط العاصفة حيث كان مدى الرؤية صفراً بينما عادت الطائرتان الثانية والثالثة قبل ان تدخلا قلب العاصفة وكان المفروض ان تقلع الطائرة الثالثة التي كانت تقل المصورين قبل طائرة الرئيس وكان من الممكن ان تدخل هي في قلب العاصفة لكن ماحدث كان العكس. . وبين هرج الناس ومرجهم طلب احد الطيارين ان تشعل النيران في ارجاء الملعب وبقربه وتشعل اضوية السيارات كافة لعل طائرة الرئيس تهتدي الى الملعب وتستطيع ان تهبط.

وقد تم ذلك على الفور واصبح الملعب شعلة مضيئة وكان يمكن للطائرة لو كانت فوق الملعب ان تراها رغم كثافة الغبار.

وبقي الاتصال بين القرنة ومطار البصرة مستمرا وعلى الفور تم ابلاغ الدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والارشاد بالامر. وكان الدكتور ناصر وهو ضمن الوزراء المرافقين للسيد الرئيس قد تخلف عن مرافقته في زيارته للقرنة اذ قام بزيارة تفقدية لسير العمل في تشييد محطة تلفزيون البصرة.

وقام الطيار بمحاولة جريئة وجديدة للاتصال بالطائرة المفقودة فحلق مرة اخرى في ذلك الجو ولكن المحاولة كانت بدون جدوى.

وفي مطار البصرة وعلى الفور اجرى السيد وزير الثقافة والارشاد اتصالات بالمسؤولين في اللواء ومدير الموانىء العام كما اتصل بالاستاذ عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء لاطلاعه على فقدان الاتصال بالطائرة واتخذت في البصرة اجراءات فورية واسعة فقد انتشرت سيارات الجيش والشرطة والامن في مختلف انحاء اللواء وفي كل مكان يمكن لطائرة هليوكوبتر ان تهبط فيه. وخرجت الزوارق البخارية في شط العرب وانتشر رجال العشائر في مناطق الاهوار يحملون الاضوية ويوقدون النيران عسى ان تهتدي الطائرة المفقودة وتسترشد بهذه النيران، كذلك قام وزير الثقافة والارشاد ومدير الموانىء العام وآمر الموقع وبعض الضباط بعقد اجتماعات استمرت حتى الصباح وجرى الاتصال بمخافر الحدود وابلغ القنصل العراقي في (خرمشهر) وقيل ان طائرة هليوكوبتر تحمل شخصيات عراقية مهمة قد ضلت طريقها وسط عاصفة ترابية وربما تكون قد دخلت ايران.

وبعد مضي ساعة ونصف، ولما لم يستطع احد الاتصال بالطائرة والتعرف على مكانها، فقد الجميع الامل في ان تكون مازالت في الجو، غير انه بقي هناك امل في ان تكون الطائرة قد هبطت اضطرارياً في مكان ما، وعلى هذا الاساس استمر البحث واستمرت النيران موقدة في انحاء اللواء حتى الصباح.

وفي الساعة الخامسة صباحاً، ومع اول خيط من الفجر، قامت عشر طائرات بالتحليق في الجو في محاولة للعثور على طائرة الرئيس.

وفي الساعة الخامسة والدقيقة العشرين صباحا وفي منطقة قريبة من قرية (النشوة) في الجهة الشرقية من شط العرب عثرت احدى الطائرات على حطام طائرة هليكوبتر فعادت على الفور الى مطار البصرة حيث احيط وزير الثقافة والارشاد المسؤولين علما، فارسلوا فورا مفرزة من الشرطة الى مكان الحادث، في حين أحيط السيد رئيس الوزراء الذي بقي في مكتبه حتى الصباح علما بذلك.

وفي مكان الحادث وجدت الطائرة محطمة تماما.. وكانت جثث الشهداء محروقة، لم يكن بالامكان التعرف على معظمهم، غير ان جثة السيد الرئيس كانت واضحة المعالم.

وكانت ساعات الشهداء واقفة تشير الى الساعة السابعة والدقيقة العاشرة، وهو وقت استشهادهم، اي بعد طيرانهم بعشرين دقيقة بالضبط.

وتشير الدلائل الاولى الى ان الطائرة قد انفجرت بعد ان ارتطمت بالارض، ولم تعرف تفاصيل دقيقة عن الموضوع.

وكان مع الرئيس في الطائرة عشرة من الذين رافقوا سيادته وقد استشهدوا جميعاً وهم السيد عبداللطيف الدراجي وزير الداخلية والسيد مصطفى عبدالله وزير الصناعة والعميد زاهد محمد صالح المرافق الاقدم للسيد رئيس الجمهورية والسيد عبدالله مجيد السكرتير العام لرئاسة الجمهورية والسيد عبدالهادي الحافظ وكيل وزارة الصناعة والسيد جهاد احمد فخري المدير العام

لمصلحة الكهرباء الوطنية والسيد محمد الحياني متصرف لواء البصرة والنقيب الطيار خالد محمد نوري ونائب الضابط كريم حميد والعريف محمد كريم].

وقد اصدرت الحكومة ـ وزارة عبدالرحمن البزاز. صباح الخميس الرابع عشر من نيسان ١٩٦٦ بيانا رسميا اعلنت فيه سقوط طائرة الرئيس عبدالسلام محمد عارف ووفاته. جاء فيه:

[تنعى الحكومة العراقية مع مزيد من الحزن والاسى للشعب العراقي وللامة العربية وللشعوب الاسلامية عامة السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبدالسلام محمد عارف فقد سقطت به وبمن معه من الوزراء والمرافقين مساء امس الطائرة التي كانت تقله من القرنة الى البصرة بفعل عاصفة قوية ادت الى سقوط الطائرة وتحطيمها واستشهاد السيد الرئيس ووزيري الداخلية والصناعة وبعض المرافقين. وفي الوقت الذي نعلن فيه هذا النبأ المفجع والحادث الجلل نضرع الى العلي القدير ان يسكن الشهداء فسيح جناته ويلهم الشعب الكريم الصبر والجلد على تحمل هذه الصدمة المؤلمة بالصبر والايمان والثقة بالله والعمل الدائب من اجل المثل العليا التي لقى الرئيس الراحل ربه راضياً مرضياً من اجلها. وتعلن الحكومة الى الشعب كافة بانها تقدر مسؤولياتها في هذه الفترة العصيبة. وقد انيطت مهام السيد رئيس الجمهورية بالسيد رئيس الوزراء حسب احكام المادة السادسة والخمسين من الدستور المؤقت الى حين انتخاب رئيس الجمهورية بمقتضى المادة ٥٥ من الدستور التي تقضي بانتخاب رئيس جديد للجمهورية خلال اسبوع واحد من تاريخ خلو المنصب وذلك باغلبية ثلثي المجموع الكلي لاعضاء مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الوطني].

هذا.. وقد تلقى اللواء عبدالرحمن محمد عارف رئيس اركان الجيش وهو في موسكو على راس وفد عسكري عراقي خبر مصرع شقيقه الرئيس عبدالسلام محمد عارف على مراحل:

فقد طلب الى الوفد العسكري ان يحضر الى مقر السفارة العراقية في موسكو. وعندما وصل اللواء عبدالرحمن محمد عارف السفارة كتم اعضاء السفارة الخبر عنه. ثم بدأوا يلمحون له عن الحادثة!!

وفي هذه الاثناء استدعى المارشال مالينوفسكي وزير الدفاع السوفيتي اللواء عبدالرحمن محمد عارف الى مكتبه.

وفي مكتب وزير الدفاع السوفيتي تلقى اللواء عبدالرحمن محمد عارف نبأ مصرع شقيقه بعد سقوط الطائرة فيه.

قدم الوزير السوفيتي التعازي باسم الشعب السوفيتي والحكومة السوفيتية.

وفي اليوم التالي، وعلى طائرة روسية وصل بغداد اللواء عبدالرحمن محمد عارف مع الوفد الحكومي السوفيتي الذي حضر للاشتراك في مراسيم تشييع الرئيس عبدالسلام محمد عارف.

وفي القاهرة تلقت رئاسة الجمهورية اول نبأ يشير الى احتمال وقوع حادث لطائرة الرئيس عبدالسلام محمد عارف عند منتصف ليلة الاربعاء، في رسالة مستعجلة بعثت بها سفارة الجمهورية العربية المتحدة في بغداد قالت فيها: ان المعلومات التي تلقتها تفيد ان طائرة الرئيس العراقي مفقودة منذ بضع ساعات وهي في طريقها من القرنة الى البصرة». وقد ابلغت هذه المعلومات على الفور الى الرئيس جمال عبدالناصر في الساعة الثانية عشرة والنصف وكان في طريقه الى بيته بعد ان صحب الامير صباح السالم الصباح امير الكويت الى قصر القبة.

وقد طلب الرئيس جمال عبدالناصر ان تظل القاهرة على اتصال مستمر مع السفارة في بغداد حتى تحمل انباء مطمئنة عن الطائرة. وظل الرئيس عبدالناصر ساهراً في انتظار وصول الانباء.

وفي الساعة الثالثة صباحاً بعث القائم باعمال السفارة العربية في بغداد برسالة ثانية قال فيها: ان المعلومات التي حصلت عليها السفارة من رئيس الوزراء عبدالرحمن البزاز تفيد ان هناك بالتأكيد حادثاً قد وقع، وان القوات من الجيش والشرطة كلها في منطقة لواء البصرة في حالة استنفار للبحث عن الطائرة. وقد ابلغت هذه الرسالة على الفور الى الرئيس عبدالناصر.

وفي الساعات الاولى من صباح الخميس اتصل الرئيس جمال عبدالناصر بالمشير عبدالحكيم عامر الذي كان على علم بالتطورات اولا باول.

وفي الساعة السادسة صباحا سمع الرئيس عبدالناصر بنفسه النبأ من راديو بغداد. واذاعت امانة رئاسة الجمهورية العربية المتحدة البيان الرسمي التالي:

[تلقت الجمهورية العربية المتحدة بالحزن العميق نبأ الحادث المروع الذي وقع للرئيس المشير عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية. ولقد هز النبأ المروع من الاعماق كل جماهير الشعب في الجمهورية العربية المتحدة التي احبت عبدالسلام عارف عن تقدير لدوره البطولي واخلاصه المتفاني في خدمة اماني شعب العراق العظيم وقضايا امته العربية الخالدة.

ولقد كان الرئيس جمال عبدالناصر يعتبر عبدالسلام عارف رفيق جهاد وصديقا واخا وانه ليشعر ان خسارة الامة العربية مدعاة لاسف وألم يرجو الله ان يساعدها عليهما بالصبر والايمان

وفي هذه اللحظات المفعمة بالمشاعر الحزينة فان الرئيس جمال عبدالناصر وشعب الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد الاشتراكي والحكومة يتوجهون جميعاً الى الشعب العراقي العظيم، اب التاريخ العراقي كله واب الابطال الذين جادوا بالحياة من اجل شرف النضال العربي دوما وتحت اعلام معاركه المقدسة بالعزاء صادقا وقلبيا، ولتكن رحمة الله رعاية من حول الجثمان الطاهر لشهيد العراق والامة العربية وليحفظ الله شعب العراق مصدر القوة المتجددة والخالدة والامل المرتجى للامة العربية في مرحلة من اهم مراحل النضال وادقها واكثرها حسماً.

هذا وقد اوفد السيد الرئيس جمال عبدالناصر السيد صلاح الشاهد كبير الامناء الى سفارة العراق لابلاغ عزاء سيادته وبالغ اسفه بمناسبة وفاة الرئيس الراحل].

اجرى الصحفي العربي محمود عبدالهادي المحرر بجريدة (الاخبار) القاهرية حوارا مع الطيارين اللذين نجوا من الموت، وكانا يقودان الطائرتين المرافقتين للطائرة المنكوبه وكتب يقول:

«الاول وهو منذر سليمان عزت. ملازم اول طيار. متوسط الطول تبدو على ملامحه اثار الارهاق والتعب.

والثاني عثمان نوري علي، هادىء، متوسط القامة.

كان الاول عائدا لتوه من المستشفى.

وكان الثاني في مكانه بالقاعدة - قاعدة طيران الرشيد.

التقيت بالطيارين في قاعة الرشيد.

لم يكن الطيار موجودا. كان في احد المستشفيات العسكرية. وجاء زميله الثاني عثمان، ليدور بيننا هذا الحديث السريع:

× متى تلقيت الامر بالطيران الى البصرة مع الرئيس عبدالسلام عارف؟

- قبل الحادث بيومين تقريبا.

× ألم تحاول ان تعتذر؟

- حاولت...

× لماذا؟.. هل كان لديك احساس بان شيئا غريبا سيحدث؟

- ابدا.. لم يكن ذلك هو السبب.

× اذن ماهو السبب؟

- كانت زوجتي تستعد للوضع - الولادة.

× هل قبل اعتذارك؟!

- لا.. رفض المرحوم النقيب خالد محمد نوري، الذي اصدر لي الامر.. رفض كل اعتذاري.

× هل لاحظت شيئا غير عادي على السيد الرئيس الراحل اثناء الرحلة؟

- لم يكن هناك شيئا غير عادي، الا لهجته في الحديث، كان يقول في كل خطبه وكلماته للناس.. ان شاء الله سنعمل كذا وكذا.. اذا عشنا، ان ماتطلبونه اقل مما نريد تحقيقه بكثير.. كان يعود من كل رحلة وملابسه كلها تراب، ووجهه مليء باثار التعب، ورغم ذلك كان يرفض الراحة.

× ماهي معلوماتك عن اللحظات التي سبقت الحادث الرهيب؟

- اقلعت طائرة الرئيس، واقلعت بعدها طائرة زميلي منذر. وكان المفروض ان اطير بطائرتي في نفس الدقيقة، ولكن الذي حدث هو ان احد المحركات تعطل، واستغرق اصلاحه بضع دقائق..

× وبعدها طرت؟

- نعم..

× وامامك طائرة الرئيس، وطائرة الملازم الاول منذر؟

- نعم.

× ثم ماذا؟

- طرت ١٥ دقيقة، ثم تلقيت امرا بالعودة.

× ممن تلقيت الامر؟

- من الملازم الاول منذر

× ولماذا امرك بالعودة؟

- لان المرحوم خالد.. امره.. ان يأمرني بالعودة.

× لماذا؟

- لسوء الحالة الجوية.

× وماذا فعلت؟

- رفضت العودة الا اذا عدنا نحن الثلاثة.. يعني الطائرات الثلاثة، ولكن المرحوم خالد أصر على اعادتي تجنباً للخطر.. وبعدها حدث كل شيء.. مرت الدقائق.. والساعات وفوجئنا بالمصيبة الكبرى.

ان الملازم اول عثمان يترك الخيط لزميله منذر الذي عاش كل اللحظات بتفصيل يؤكد انه عاش كل ثانية على اعصاب محترقة.

بقي ان تعرف ان الملازم عثمان قد عاد من هناك. من القرنة ليجد مولودا ينتظره. ولد المولود في قمة المأساة، اطلقت عليه العائلة اسم «محمد».

وقال الطيار منذر سليمان عزت: لم تكن تلك هي المرة الاولى التي ارافق فيها الرئيس الراحل الذي قمت معه باكثر من عشر رحلات، مرت كلها بسلام.

× وماهي انطباعاتك عن الرئيس الراحل خلال هذه الرحلات؟

- السيد الرئيس كان يؤمن بالله ايمانا لايزعزعه شيء.

كان يتحدى الموت، ويتحدى الخطر. كان يرفض مجرد الاستماع الى تحذير من الخطر. منذ شهر كان سيادته في رحلة الى كربلاء والنجف، مع نفس الطيار النقيب خالد، يومها اراد السيد الرئيس ان ينتقل من مكان الى مكان، وكانت المسافة بسيطة، ويمكن قطعها بالسيارة، وهنا اشار عليه الطيار ان يقوم بركوب السيارة بدلا من الطائرة، لان الاحوال الجوية لم تكن ملائمة. رفض الرئيس واصر الطيار على الرفض. وهنا امره الرئيس، وفعلا طار به ونزل في المكان المحدد ليبتسم عبدالسلام عارف ويقول للطيار مداعباً: «يعني لم نمت .. ياخالد».

مرة اخرى.. حدث نفس الشيء. ووصل الامر الى حد الخطورة.. رفض الطيار، حتى لو قطعوا رقبته ان يغامر بحياة الرئيس، قال له ان الجو لايسمح.. قرر الرئيس الراحل بانه هو المسؤول، وانه مستعد ان يكتب تعهدا على نفسه.. وهنا قال الطيار الراحل: ان حياتك ياسيدي ليست ملكا لك، انها ملك لشعب العراق، وانا ارفض التضحية».. هذه المرة وافق عبدالسلام عارف على كلام الطيار.

هل تدري بعد ذلك؟.. لقد سقطت طائرة روسية كانت تقل عددا من الخبراء في نفس الوقت الذي كان يوشك عبدالسلام عارف ان يطير فيها. هنا فقط قال عبدالسلام عارف للنقيب الطيار خالد: «عندك حق».. هذه المرة رتب القدر كل شيء.

قال عبدالسلام عارف للنقيب خالد محمد نوري:

- جاهز ياخالد؟!

ورد الطيار بادب قائلا:

- نعم سيدي..

- على بركة الله.

ثم حدثت الكارثة!

وقال الملازم اول الطيار منذر سليمان عزت: تلقيت امرا من النقيب خالد محمد نوري باعتباره امرا للسرب الذي اتبعه، بالاستعداد للطيران الى البصرة مع السيد الرئيس، كان ذلك يوم ١١ من نيسان..

رتب كل شيء، طرنا الى البصرة، قام الرئيس عبدالسلام محمد عارف بجولاته في الاهوار، وهي المناطق الواقعة حول القرنة، وبقية القرى الموجودة في تلك المناطق.

كان الرئيس يلتقي بنا في بساطته وطيبة قلبه ليقول لنا: «كيف الحال.. مرتاحين» كنا جميعاً نبدي سعادتنا وارتياحنا لمرافقة السيد الرئيس في هذه الرحلة.

يوم الحادث، حوالي الساعة السادسة والدقيقة الخمسين بالتمام، كان كل واحد منا في طائرته، النقيب خالد محمد نوري في طائرة الرئيس، وانا ومعي بعض المرافقين، اما زميلي عثمان محمد فكانت طائرته مكلفة بنقل عدد من الصحفيين ورجال التلفزيون.

وبعد ٤ دقائق كنا في الجو..

تأخر عثمان قليلا، لان محرك طائرته كان قد تعطل. ولكنه طار بعدنا باربع او خمس دقائق.

كان المفروض ان نطير من القرنة، حيث اقلعنا، الى البصرة.

لم نتلق تحذيراً من مطار البصرة عن سوء الاحوال الجوية.

وفجأة وجدت نفسي بالاشتراك مع المرحوم خالد، قائد طائرة الرئيس في منطقة جيوب هوائية فظيعة. صار مدى الرؤية بعد ذلك صفرا.. الغبار والتراب الاسود يملأ الجو بشكل فظيع.

اتصل بي قائد طائرة الرئيس وطلب مني ان آمر عثمان بالعودة، ففعلت. سمعته بعد ذلك يطلب من مطار البصرة ان يحدد اتجاهاً، لانه فقد الاتجاه. سمعت حوارا بين ضابط المطار والنقيب خالد. على الفور اتصلت بالمطار، وتحدثت مع ضابط المراقبة بعنف، وقلت له:

- الا تريد ان تفهم. النقيب خالد مع رئيس الجمهورية. حددوا له اتجاها بسرعة..

وكان رد السيطرة - المراقبة - لاتوجد لدينا اجهزة لتحديد الاتجاه. ثم حدث تداخل بين اصواتنا نحن الثلاثة: انا والمرحوم خالد والمطار. ويشاء الحظ ان يتداخل معنا لاسلكياً صوت طيارة اخرى كانت تطير فوق عابدان بايران. كانت يتحدث بالانكليزي. بعدها بلحظات، جاءني صوت خالد. وسط حالة الرعب التي عشتها وعاشها الراكبون معي، قال لي النقيب خالد، وهو يصرخ: «منذر.. منذر عيني ألحقني.. انا في خطر.. افعل شيئاً..».

في نفس اللحظة هاجمني (جيب) هوائي، جعل طائرتي تنخفض حوالي الف متر، مدى الرؤية قليل جداً.. كانت المنطقة التي نطير فيها عبارة عن اهوار. كلها برك ومياه. حاولت البحث عن طائرة المرحوم على الفور.. اضطررت للعودة الى القرنة من حيث اقلعنا.

طلبت من اهل المدينة اشعال النار فوق منازلهم. طلبت من بعض السيارات الموجودة تنطلق الى كل الطرقات. كل ذلك ليهتدي الطيار المفقود ومعه الرئيس.. بالنيران.. او يرى نور السيارات.. ولكن لم تظهر نتيجة!

اتصلت تلفونياً بالبصرة، ومدير شرطة الموانى، وآمر القاعدة الجوية في مطار الشعيبة، القريب من القرنة، للبحث عن الطائرة المفقودة. اعطيتهم التفاصيل كاملة عن كل شيء. كان ذلك في حوالي الساعة السابعة وعشرين دقيقة. وكنا قد طرنا في حوالي الساعة السادسة وخمسين دقيقة.

اخذت سيارة الى البصرة. ومن هناك من المطار أحضرنا خارطة ورحنا ندرس كل الاحتمالات، والاماكن التي يمكن ان تكون الطائرة قد هبطت فيها. اخذنا على الفور طائرة انكليزية تابعة لشركة النفط.

اقلعت بنا الطائرة الى المكان الذي انقطع فيه الاتصال بيني وبين طائرة الرئيس عبدالسلام عارف، كانت المفاجأة التي جعلتني اعانق كل من حولي من الزملاء الطيارين الذين كانوا في نفس الطائرة. لقد رأينا نوراً على الارض في نفس المنطقة. طلبت من الطيار ان يحاول الهبوط، فاستجاب لرغبتي..

ولكن، كم دهشنا حين تبينا ان النور الذي رأيناه كان منبعثاً من مركب في قلب النهر.

عادت الطائرة الى فوق، وعدت الى الدوامة الرهيبة. ثم عدنا مرة ثانية الى القرنة. هناك كان زميلي الملازم الاول عثمان يحاول ان يتصل بكل الجهات المعنية. طرت مرة ثانية بطائرتي اخذت معي طبيباً وماء وزجاجات مياه غازية، على امل ان نعثر على ركاب الطائرة سالمين. كان ذلك في منتصف الليل. وكانت النتيجة هي نفس النتيجة: لاشيء بالمرة!!

في الصباح ظهر كل شيء.. لقد طارت ٨ طائرات من الشعيبة، والبصرة وبغداد، لتبحث عن الطائرة المفقودة. ولقد تمكنت احدى الطائرات بقيادة الرائد طيار محمد ابراهيم ادهم من العثور على الطائرة المفقودة.

عثرت عليها حطاماً...

بقية الصورة لايمكن وصفها.. بعدها لم تتمكن طائرة الرائد محمد ابراهيم من الهبوط. لقد عطت اشارات الى مطار الشعيبة بانها عثرت على الحطام. وطار الى هناك على الفور طيار شاب اسمه مذكور.

عندما هبط الى هناك، اصيب بحالة هستيرية، وراح يردد: «ماتوا. سيدي.. ماتوا سيدي».

ولم يستطع الطيار الشاب ان يقف على قدميه. لقد هرع الى طائرته، وهو يبكي بدموع ساخنة.

ويروي علي نهاد مصطفى ـ الذي كان في ذلك الوقت معاوناً لمتصرف (محافظ) البصرة، وهو من المسؤولين الذين ظلوا في مدينة البصرة، لتنظيم الاحتفالات فيها بعد عودة الرئيس عبدالسلام محمد عارف اليها قائلا: «كان اليوم الثاني للزيارة، والطقس في البصرة رياح وذرات

تراب، والمنهاج مزدحم بهد الاعصاب القوية. ويأتيني نداء هاتفي من فندق شط العرب، يسألني المشرف على اعداد العشاء: اين نضع موائد الطعام، والجو ملبد بالريح والتراب، فأجبته: كما قال لك المتصرف محمد الحياني، ضعه في حدائق الفندق. وقبل هذا لماذا لاتسأل الانواء الجوية لتستطلع رأيها في الطقس؟!

ثم كلمني المشرف بعد ذلك واخبرني بان الريح والتراب سينقشعان في الساعة الخامسة مساء.

ويبدأ المدعوون من المواطنين بالتقاطر على فندق شط العرب في المساء وكانوا مؤمنين بما لايقبل الشك، من انهم سيلتقون بالرئيس عبدالسلام محمد عارف العائد من وسط الاهوار، ويأتي مع المدعوين ايضا مدير الموانيء العام اللواء عبدالمجيد سعيد، بعد ان سبقته الى المكان لاكون في استقبال الوافدين.

ويضيف علي نهاد مصطفى: وبعد الساعة السابعة، بقليل، حصلت جلبة وصياح، أثار انتباهي، وذهبت استطلع الامر فقيل لي: بان الاتصال بطائرة الرئيس قد قطع، وان استغاثة سمعت من قائد الطائرة قبل لحظات. وفي هذه اللحظة، احسست بالمسؤولية الملقاة على عاتقي. واول عمل قمت به هو انني بلغت مدير الموانيء العراقية ومدير الشرطة ووكيل موقع البصرة. واتفقنا على ان نكتم الخبر عن بقية الحاضرين من المدعوين الى حفلة العشاء، واتخذنا جملة من الاجراءات التي عسى وان تعيننا على العثور على الطائرة المفقودة. ومن هذه الاجراءات ارسال برقية مستعجلة الى القنصلية العراقية في عبادان، واخبرت من ان طائرة تحمل شخصيات هامة قد فقدت، ونخشى ان ظلت طريقها باتجاه الحدود الايرانية.

وما ان قاربت الساعة الثامنة، ولم نصل الى شيء من امر الطائرة المفقودة، حتى بعثت ببرقية الى مدير الداخلية العام اخبره بفقدان الطائرة مع اسماء ركابها. وهو اول تبليغ رسمي يصل الى بغداد. وفي هذه الاثناء وصل الدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والارشاد الى مطار البصرة، وابلغ بالذي حدث. وقام هو بدوره بالاتصال برئيس الوزراء عبدالرحمن البزاز. وكان الزمن يجري في دقائق وكأنها الدهر كله. ومضينا في سياسة كتم الامر عن الاخرَين. وقلت لمن سألني من المدعوين بان الرئيس ومرافقيه قد تأخروا في القرنة وانهم ربما سيتناولون العشاء هناك، ودعوتهم الى تناول الطعام. بعضهم صدق الحكاية، وبعضهم الاخر تسرب الشك الى نفسه»!

وهنا يصف علي نهاد مصطفى لحظاته هذه امام مائدة الطعام والمدعوين، وهو يعرف الحقيقة الخطرة، ثم يستمر في سرد الوقائع قائلا: «وانفض المدعوون كل الى بيته. وبقيت انا واللواء عبدالمجيد سعيد والدكتور محمد ناصر، يلازم بعضنا البعض الاخر بانتظار وصول الاخبار وملاحقة الاجراءات الداخلية والخارجية. وقررنا ان نجعل من متصرفية البصرة مقراً لنا بدلاً من فندق شط العرب. وفعلا انتقلنا الى بناية المتصرفية.

ويتذكر علي نهاد مصطفى انه بعد الساعة الثامنة اتصلت به السيدة زوجة محمد الحياني تسأله عن سر تأخر زوجها مع ضيوفه لحد الان، فيقول: «اثرت ان اكتم الحقيقة عنها، وقلت لها:

انهم تأخروا وسيعودون بعد ذلك. ان فكري وقناعتي لم يطاوعاني في تصديق حدوث اي مكروه للرئيس ومرافقيه. وكان عندنا امل كبير جداً باننا سوف نعثر عليهم.

ويمضي الزمن وتتصل زوجة محمد الحياني مرة ثانية بمعاون زوجها، علي نهاد مصطفى، فيقول لها نفس الجواب، ولكن بكلمات مختلفة هذه المرة.. وتخابر للمرة الثالثة فيذكر لها ماحدث مع تطمين عريض بانهم سوف يعثرون على الطائرة المفقودة، وكل ظنهم انها هبطت في مكان ما، او في نهر او مستنقع ماء، استحال عليهم الخروج من الطائرة..

ويمضي الزمن الثقيل، ويظل الليل يتحرك، ولكن دون الوصول الى النتيجة. ولم يبق في اذهانهم، اذهان الساهرين بالقلق على الرئيس ومرافقيه، الا خيط واحد من الامل، وهو ان ينبلج الصباح ليكشف موقع الطائرة.

وتأتي خيوط الفجر متثاقلة، واذا بالهاتف يدق في متصرفية البصرة، واذا هناك من يقول: لقد عثرنا على الطائرة سالمة؟!.. ويقفل علي نهاد مصطفى السماعة وهو يردد مع الحاضرين: الحمد لله.. الحمد لله..

وماهي الا دقائق فرحة بعد عبوس عميق، فاذا بالالم يأخذ بالوجوه جميعاً.. نداء ثان يخبر الحاضرين بالواقعة المشؤومة. وهنا يتلفن علي نهاد مصطفى الى اللواء عبدالمجيد سعيد، الذي انتقل قبل الفجر الى دائرته في مديرية الموانيء، مستوضحاً اياه جلية الامر، ولماذا تناقضت المكالمتان؟.. من عبدالمجيد سعيد، عرف الحقيقة، اذ كانت احد طائرات الهليكوبتر قد اكتشفت في الصباح الباكر جداً حطام الطائرة المهشمة ونزلت الى موقعها، حينما اقلعت طائرة اخرى ولمحت الطائرة التي سبقتها، ظن طيارها في انها طائرة الرئيس عبدالسلام محمد عارف، ومن هنا جاء النبأ السار الذي لم يدم طويلاً]!

هذا وقد شكلت حكومة البزاز مجلساً تحقيقياً برئاسة العقيد الركن زيدان احمد زيدان صباح يوم الخميس الرابع عشر من نيسان ١٩٦٦ لدراسة واجراء الكشف على محل الحادث، واصدر المجلس في الثاني والعشرين من نفس الشهر قراره التالي:

بعد دراسة وتدقيق ماورد بافادات الشهود وماظهر للمجلس من جراء الكشف على محل الحادث والتفتيش الدقيق لهيكل الطائرة المحترقة والاطلاع على كشف المهندس المختص. اتضح للمجلس مايلي:

١ - في مساء يوم ١٢-٤-١٩٦٦ اصدر العميد زاهد محمد صالح المرافق الاقدم للسيد رئيس الجمهورية امراً الى النقيب الطيار خالد محمد نوري يتضمن حركة الطائرات الهليكوبتر الثلاثة من البصرة الى القرنة على ان يصلوها قبل الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ١٣-٤-١٩٦٦. لغرض نقل السيد الرئيس وحاشيته من القرنة الى البصرة بعد انتهاء زيارته التفقدية لقضاء القرنة.

٢ - في الساعة ١٢١٥ اقلعت الطائرات الثلاث من مطار البصرة بعد ان زود طياروها بالتقرير الجوي من سيطرة المطار اصوليا. متوجهة الى القرنة. وعند وصول الطائرات مدينة القرنة هبطت في ساحة الالعاب وفي المكان المعد لنزولها سلفاً.

٣ ـ وبعد انتهاء الاحتفال توجه السيد الرئيس الى طائرة الهليكوبتر المرقمة ٥٩٨ والتي بقيادة قائد التشكيل النقيب الطيار خالد محمد نوري. واقلعت في الساعة ١٨٥٠ واعقبتها الطائرتان الاخريان . .

٤ ـ وبعد مرور سبع دقائق واجهت طائرة السيد الرئيس طبات هوائية شديدة **Bumpy** مع غبار معلق في الجو مما جعل مجال الرؤية معدوماً وادى الى تغير اتجاه الطائرة مما جعل قائد الطائرة يجد صعوبة كبيرة في السيطرة على طائرته . . ونظرا لان الطائرة انحرفت عن خط سيرها المرسوم الى منطقة صحراوية لاتوجد فيها اي اشباح ارضية او دلائل انارة مما سبب انعدام الرؤية كليا.

واصبحت الطائرة بحالة غير اعتيادية **unusual position** وبعد فقدان الطيار الامل بالدلالة على مكانه بسبب انعدام الرؤيا وعدم وجود الاشباح الارضية وتأثير الطبات الهوائية الشديدة استدار الطيار محاولا العودة الى القرنة محاولة منه للمحافظة على ارواح ركاب طائرته.

وفعلا استدار الى اليسار ولكن اشتداد تأثير الطبات الهوائية وانعدام الرؤيا كلياً جعل قيادة الطائرة في ذلك الاتجاه مستحيلاً . وعاد الطيار ثانية بالاستدارة الى الجهة المعاكسة مستعيداً اتجاهه السابق. وفي اثناء دورانه صادفته طبة هوائية قوية جدا ادت الى فقدان السيطرة على الطائرة وارتطامها بالارض اثناء دورانها الى اليمين. وهذا ادى الى اصطدام مقدمة الطائرة وعجلتها اليمنى والريش الرئيسية بالارض في اللحظة الاولى، ومن ثم مالت الى الجهة اليسرى وارتطمت عجلتها اليسرى بالارض. ومن جراء الارتطام انفجرت خزانات الوقود الرئيسية الكائنة في ارضية الطائرة. ومن جراء تدفق الوقود على المحركات الساخنة حدث الحريق الذي ادى الى انفجار الطائرة واحتراقها، ولم يحصل بصورة قاطعة اي انفجار او حريق او عطل بالطائرة منذ اقلاعها حتى اصطدامها بالارض. لذا قرر المجلس التحقيقي:ـ

أ ـ اعتبار الحادث قضاء وقدرا وبدون تقصير من احد.

ب ـ اعتبار استشهاد كل من الضباط والمراتب المدونة اسماؤهم ادناه اثناء الخدمة ومن جرائها:

١ ـ المشير الركن عبدالسلام محمد عارف
٢ ـ اللواء عبداللطيف الدراجي
٣ ـ العميد زاهد محمد صالح
٤ ـ العميد جهاد احمد فخري
٥ ـ العميد عبدالهادي الحافظ
٦ ـ الرائد عبدالله مجيد
٧ ـ النقيب الطيار خالد محمد نوري
٨ ـ ن.ض براد كريم حميد
٩ ـ العريف محمد عبدالكريم
١٠ ـ السيد مصطفى عبدالله

١١ - السيد محمد الحياني

العضو
المقدم الطيار الركن
خالد حسين ناصر

الرئيس
العقيد الركن
زيدان احمد زيدان

العضو
الملازم المهندس
عبدالله صيام

العضو
الملازم الاول الحقوقي
سامي عزاره المعجون

العضو
الرائد الطيار الركن
علي عواد

ويروي لنا الحاكم «القاضي» سالم محمد عزت - رئيس استئناف منطقة البصرة انذاك - بوصفه رئيسا للهيئة التحقيقية في حادث سقوط الطائرة ومصرع رئيس الجمهورية ومرافقيه قائلا:

«اتصل بي هاتفيا صباح يوم الخميس الرابع عشر من نيسان ١٩٦٦ كاظم الرواف - وزير العدل في وزارة عبدالرحمن البزاز الاولى - وطلب مني تشكيل هيئة تحقيقية برئاستي وعضوية: عبدالرزاق العضب - نائب رئيس استئناف منطقة البصرة، وعبدالوهاب الفضلي حاكم (قاضي) تحقيق البصرة والرئيس (النقيب) عبدالستار المعيني من القيادة العسكرية وكامل عبد علي مدير آمن البصرة - واجراء التحقيق فوراً.

وكنت قد ذهبت مساء الاربعاء - ليلة الحادث - الى فندق شط العرب مدعوا لوليمة العشاء الكبرى المقامة فيه على شرف رئيس الجمهورية وصحبه. وهناك لمحت مدير شرطة الموانئ، سليمان بكر وهو صديق لي، والارتباك يبدو عليه. وكنت اظن في البداية ان هذا الاصفرار هو اثر من اثار التسمم الذي اصيب به قبل ليلة. وعندما بادرته بالسؤال عن صحته، وعن سر ارتباكه، اسر لي بما حدث. وهنا تذكرت ماحدث في بيتي قبل ساعة، اذ طلبْن مني بناتي ان اشتري لهن باقات ورد لان رئيس الجمهورية سوف يمر على مدرستهن في صباح اليوم التالي، وهنّ يرُمن تقديم الورود كهدية له نيابة عن المدرسة كلها..».

ويمضي سالم محمد عزت في حكايته قائلاً: «سهرنا الليل كله. وفي الصباح حينما علمت بالحادث الاليم اتصلت فوراً بوزير العدل واستمزجت رأيه في كيفية العمل الذي سوف نقوم به. فاخبرني الوزير بان مجلس تحقيق عسكري ذهب الى البصرة لاجراء التحقيق.

ثم كلمني بعد ذلك، وطلب مني تشكيل هيئة تحقيقية برئاستي.

وفي ضحى نفس اليوم - الرابع عشر من نيسان - ذهبت واعضاء الهيئة الى مكان سقوط الطائرة وكان دليلنا مدير شرطة الكمارك الجنوبية حسين رشاش، الذي يعرف المنطقة جيداً. وتقع في اراضي (المجداح) ضمن ناحية النشوة، وتبعد عن مركز ناحية القرنة ١٦ ميلاً وعن

مركز مدينة البصرة بحوالي ٣٢ ميلا.

وجدنا هناك في مكان الحادث، المجلس العسكري للتحقيق قد سبقنا. وقمنا على الفور باجراء التحقيق والمعاينة. وحرصنا ان يكون التحقيق شاملاً وموسعاً، بحيث لايترك احد دون سماع اقواله.

وبالنظر للظروف التي احاطت بالحادث، فقد كنا حريصين في التحقيق، ودقيقين في التدقيق.

شاهدنا الرئيس عبدالسلام وقد انكفأ على وجهه، وقد احترق بعض شعر رأسه، وتمزق قسم من سترته، واحترق كعب رجله.. ووجدنا في جيب سترته مصحفاً صغيراً.. ووجدنا عبداللطيف الدراجي على بعد ٥٠ متراً من جسم الطائرة المحترق، وبكامل ملابسه.

خلاف الاخرين، الذين لم نستطع الاستدلال على شخصياتهم، سوى محمد الحياني، الذي عرف من قلم الحبر الذي يحمله.

بقينا يومين في فندق شط العرب نجري التحقيق من هناك. ثم انتقلنا بعد ذلك الى المحكمة.. ولم يبق احد الا واخذنا افادته..

اخذنا افادة امر معسكر الشعيبة، الذي قال بان الطائرات الثلاثة قدمت من بغداد قبل يوم من الحادث، وانه عندما سأل الطيارين عن سلامة الطائرات وامنها، اجابوه بان ذلك من اختصاصهم!

وفي يوم الحادث نقلوا الطائرات الثلاث الى القرنة بعد الظهر ووضعوها في الساحة الكبيرة، ونصبوا حراسة مشددة عليها.

وقد ظهر من سير التحقيق ان الرئيس عبدالسلام محمد عارف قال للطيارين عندما هَمّ الجميع بركوب الطائرات الثلاث، والجو ملبد بالغبار:

- تكدرون تدبروها..؟!

فاجابه النقيب الطيار خالد محمد نوري..

- نعم سيدي.. نكدر..

ويضيف رئيس الهيئة التحقيقية:

انتصل بي هاتفيا رئيس الوزراء عبدالرحمن البزاز قائلا انه يروم عقد مؤتمر صحفي ليرد على الشائعات التي تملأ البلد، وانه قبل عقد المؤتمر الصحفي هذا، يريد مني تقريراً عاجلاً عن الحادثة، ومجرى التحقيق فيها، فرفعت له تقريرا اولياً، او مبدئياً عن الحادث. وطلب مني هو ووزير العدل، ان نستمر في التحقيق ايضاً.

وقد جاء في التقرير الاولي للهيئة التحقيقية الذي ارسل الى عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء في يوم ٢٣ نيسان مايلي:

[لم يثبت للهيئة من سير التحقيق والخبراء الفنيين عند الكشف وجود مواد تخريبية كالقنابل الموقوتة وغيرها. وسيتأيد ذلك عند التحليل الكيمياوي للاجزاء التي ارتأى الفنيون اخذها من حطام الطائرة.

وقد تبين للهيئة ان هناك بعض العوامل، مما قد يسمى إهمالاً او تقصيراً يقع على جهات متعددة منها:

١- عدم وجود طيار مساعد في كل طيارة من الطائرات الثلاث، وعلى الاخص طائرة السيد رئيس الجمهورية.

٢- عدم وجود آلة ايجاد الاتجاه (راديو كومبس) الذي يسهل للطيار معرفة طيرانه.

٣- لم يقم طيارو الطائرات الثلاث، او قائد تشكيلها، باستلام تقرير الاحوال الجوية للمنطقة قبل اقلاعها من القرنة، بل اكتفوا باستلام ذلك بعد لحظات من طيرانهم، وهم في الجو، وبما استلمه قائد التشكيل صباح يوم ١٣ نيسان عند اقلاعه من البصرة الى القرنة. وكان في احدى فقرات التقرير للاحوال الجوية الذي اعطي من مطار البصرة لقائد التشكيل مايلي: «احتمال حدوث هبات هوائية تتراوح سرعتها من ٢٠ - ٢٥ عقدة».

٤- لم يقم مطار البصرة المدني بدوره بأعلام المسؤولين في القرنة او الطيارين انفسهم عن الاحوال الجوية المتوقع حدوثها، رغم علم دائرة السيطرة في المطار، بأن طائرات المغفور له رئيس الجمهورية وبقية المدعوين ستصل حوالي الساعة السابعة الى مطار البصرة!

٥- عدم وجود جهاز اعطاء الاتجاه للطيارين الفاقدين اتجاههم في الاجواء العراقية في مطار البصرة!

وختمت الهيئة التحقيقة تقريرها الاولي المرفوع الى رئيس الوزراء قائلة:-

«هذا خلاصة ماتبين للهيئة على الوجه المتقدم. وستقوم الهيئة بعد ورود التقرير النهائي عن نتيجة التحليل الكيمياوي من الخبراء الفنيين برفع اوراق القضية الى الجهات الرسمية المختصة».

وبعد مرور مايقرب من الشهر، كانت الهيئة التحقيقية قد انهت تحقيقها الموسع في حادث الطائرة ومصرع رئيس الجمهورية.

وقد جاء في التقرير الموسع، الذي رفع الى وزير العدل، ان: «الجو في القرنة، في يوم الحادث، كان طبيعيا وصالحا للطيران»... و «بعد عشر دقائق من الاقلاع حصل عارض طبيعي مفاجيء، وهو هبوب رياح شديدة مع عاصفة ترابية صادفت الطائرة - وهذا ماورد في افادة الملازم الطيار منذر سليمان - اعقب ذلك استنجاد طيار طائرة الرئيس عبدالسلام محمد عارف النقيب خالد محمد نوري بالعبارات التالية: «انني قد ضيعت اتجاهي وانا احمل في طائرتي رئيس الجمهورية، اعطني اتجاه»، وكان يخاطب بذلك مطار البصرة. وان مطار البصرة جاوبه: «ليس لدينا اجهزة تمكننا من اعطائك اتجاه».

واتصل خالد بمنذر قائلاً له: «اريد من هذا اتجاه.. تره آني ضيعت، وما دا أشوف كلشي».

وان منذر نادى على مطار البصرة بقوله: «لك اخي انطوه اتجاه، تره المشير معه في الطائرة».

ثم خاطب خالد، منذر ثانية بقوله: «لك عيني منذر الحك لي تره آني رحت».

وان منذر اجاب خالد بقوله: «عيني ابو هاني لاترتبك، ارجع وديور على ١٨٠درجة، لاتباوع على الغيوم».

ثم انقطع الاتصال نهائياً بين الطيار منذر والطيار خالد . . وفي هذه اللحظات يقول منذر انه شاهد طائرة خالد تحاول الاستدارة الى اليسار، ثم عادت الى اتجاهها السابق مع الانحدار، ثم انعدمت الرؤيا بينه وبين خالد نهائياً».

وجاء في التقرير ايضا: «ولم يتأيد للهيئة حصول عاصفة ترابية او زوبعة بصورة قاطعة، ولكن اجمع غالبية ركاب الطائرة التي يقودها منذر، وكذلك ركاب الطائرة الثالثة التي يقودها عثمان، ان طيران الطائرتين، كانا غير اعتيادية ومصحوباً بهزات وتأرجح نحو اليمين والى اليسار، وارتفاع الى الاعلى وهبوط الى الاسفل، ولم يتمكن احد من الركاب في الطائرتين من تأييد حصول عاصفة او زوبعة، بل بالعكس ان بعض ركاب طائرة منذر ومنهم السيد عبدالعزيز بركات ومتصرف الناصرية ذكر بشهادتيهما ان مدى الرؤيا خلال فترة طيرانهم كانت واضحة بالنسبة اليهما شخصياً. كما ان الطيار خالد لم يذكر خلال محادثته مع زميله منذر مصادفته لعاصفة او زوبعة، بل ذكر انه لايرى شيئاً».

كما ضم التقرير الموسع افادات الشهود الذين استمعت اليهم الهيئة التحقيقية، والذي بلغ عددها (٤٠) شاهداً. . وهم:
الطيار منذر سليمان. الطيار عثمان نوري علي. العريف الفني نور كاظم. قائمقام القرنة عبداللطيف عبدالوهاب الجبوري. مدير ناحية السيب فاروق صبيح. معاون شرطة القرنة عبدالودود عبدالجبار. افراد الشرطة المكلفين بحراسة الطائرات في القرنة: (موحي العيبي. مؤنس خليفة. ريحان منشد. جياري لفته). الملازم الثاني رشيد عبدالعزيز الحياني ضابط خفر القاعدة الجوية في الشعيبة. انيس حنا مارينا مراقب جوي في مطار البصرة. والمراقب الجوي عبدالامير هرمز. والمراقب الجوي فريد عبدالاحد. وعبدالكريم الوافي ملاك من قرية السويب. كاظم حسون العطار مهني جوي في مطار البصرة. والمهني الجوي حميد خليفة. صالح محمد البكر مدير شرطة الاقضية. المقدم قاسم حمودي وكيل آمر موقع البصرة. المقدم الركن زكي سعيد الصائغ، احد ركاب طائرة منذر. النقيب الطيار فاروق فرج، خبير فني للكشف على ركام الطائرة. رئيس عرفاء لاسلكي كاظم زمام في محطة لاسلكي شرطة النشوة. جاسم محمد دهام من مرتبات شرطة النشوة. المقدم الركن فاضل مصطفى احمد من الحرس الجمهوري. ابراهيم الولي نائب رئيس التشريفات في القصر الجمهوري. احمد عبدالله الحسو رئيس المكتب الصحفي القصر الجمهوري. عبدالعزيز بركات رئيس تحرير جريدة المنار. فيصل حسون نقيب الصحفيين. بايز عزيز متصرف الناصرية. شاكر الحاج عبدالامير الغرباوي رئيس بلدية الناصرية. محمد وجيه فليح مدير في مديرية الامن العامة. عبداللطيف صالح مصور في مصلحة السينما والمسرح. وجيه احمد طه رئيس قسم التصوير في التلفزيون. فؤاد الخليل مراسل وكالة الانباء العراقية. عباس خلف مصور سينمائي رفعت عبدالحميد مساعد مصور. لطيف حسين العاني مصور وكالة الانباء العراقية. ومن موظفي الاذاعة والتلفزيون: (سليم عبدالكريم المعروف. عبدالرزاق فنجان. داود عبدالرزاق. نعيم محمد الزيدي). خلف عبدالكريم ملاك في منطقة النشوة. المقدم الركن الطيار خالد حسين امر قاعدة الشعيبة].

وقد جاء في افادة الشاهد انيس حنا مارينا، رئيس مراقبي السيطرة في مطار البصرة قوله:
«لقد سمعت حواراً بين الطيارين يقول احدهما للاخر:
- شيريد هذا من سرعة طيراننا.. اتركه.
فأجبته: عيني أحنا نريد سلامتكم.. اذا رأيتم جسر كبير على نهر الفرات وبساتين نخيل وملتقى نهرين فهذه القرنة...»

ويقول المراقب الجوي انيس مارينا في افادته ان الاجراءات التي يجب ان يتخذها الطيار قبل طيرانه: اولاً، يجب ان يذهب الى برج المراقبة او غرفة وسائل الايضاح ليقف على خطة الطيران، وحالة الجو، وعليه ان يملي استمارة «خط الطيران». وهذه الاجراءات يجب ان يتبعها جميع الطيارين المدنيين والعسكريين بلا استثناء».

اما شهادة فريد عبدالاحد - المراقب الجوي في مطار البصرة - فقد افاد فيها انه سمع كلاماً يجري بين الطيارين خالد ومنذر. وان خالد ينادي على منذر، وانه (اي الشاهد) تدخل بينهما وسألهما عما اذا كانت الطيارات تحمل السيد رئيس الجمهورية، فأجيب بالايجاب. وقد اعطى اليهما التقرير الجوي باللغة العربية، كما يلي:
«اتجاه الريح ٣٥٠ درجة. سرعته ٤ عقدة. مدى الرؤية ٤ كيلومتر. في الطقس اتربة معلقة. الغيوم معدومة. الضغط الجوي ١٠٠٨ و ٦ اعشار مليار» فشكراه على ذلك.

وذكر الشاهد كذلك في افادته، انه في حوالي الساعة السابعة و ٦ دقائق سمع الطيار خالد ينادي على منذر ويقول له: «انه لايرى شيئا». وان الطيار منذر اجابه: «آني اراك امامي... استمر».

وذكر الشاهد انه سأل الطيار خالد مستفسرا منه عما اذا كان يرى ناراً مشتعلة في منطقة الزبير او الشعيبة.. فلم يجبه خالد.

وان الطيار منذر طلب منه ان يعطي للطيار خالد اتجاه بالنسبة للمطار..

وانه (اي الشاهد) طلب من الطيار منذر ان يمهله للاتصال بالشعيبة لعدم وجود الآلة في مطار البصرة... وانه اتصل فعلاً بالشعيبة وطلب من مطار الشعيبة ان يعطيه الاتجاه، وان المطار أجاب بعدم وجود الآلة لديه..!!

وذكر الشاهد ايضاً، انه لما سمع قول الطيار خالد «آني ظللت طريقي» اخبر مدير شرطة الموانى سليمان بكر بما سمع.

وان الاتصال بينه وبين خالد انقطع بعد ذلك نهائياً.

ولكن الاتصال بينه وبين منذر وبين مطار الشعيبة، ظل مستمراً واخذوا ينادون على خالد، ويكررون النداء.

ويضيف الشاهد فريد عبدالاحد قائلاً: «زيادة في الاحتياط فقد طلبت من احدى الطائرات المارة في سماء العراق، في المنطقة الجنوبية، المناداة على الطائرة المفقودة، بعد ان اعطيتها اسم الطائرة (O.C) لعلها تستطيع الاتصال بطيارها الذي قد يكون على الارض.. وفي الساعة السابعة و ٥٥ دقيقة سمعت الطيار منذر ينادي على الطيار خالد ثانية. فسألته: «هل حصلت

على شيء» فأجابه منذر بالنفي.. وبقيت على اتصال مع الطيار منذر حتى الساعة الثامنة والربع، حيث انقطع الاتصال به نهائياً!.

اما المراقب الجوي عبدالامير هرمز فقد افاد في شهادته انه سمع من جهاز الالتقاط على موجة ١١٨ وواحد بالعشرة ميكا سايكل، كلام يدور بين الطيارين منذر وخالد، الواحد ينادي على الثاني، بغية فحص اجهزة الالتقاط اللاسلكي في طائرتيهما. وفي الساعة السابعة تدخل زميله فريد عبدالاحد بين الطيارين، وسألهما بقوله: «انتم جايين للبصرة» وان منذر اجاب فريد بقوله: «اي، نحن جايين للبصرة، ونصل مابين ٣٠ ـ ٣٥ دقيقة. وان سيادة رئيس الجمهورية معنا في الطائرة الثانية (O.C) «اوسكار جارلي». وعندئذٍ اخبر زميله فريد المسؤولين في المطار.. وانه (اي الشاهد) اعطى الى الطيار منذر التقرير الجوي للنصف الساعة القادمة».

ثم اضاف الشاهد عبدالامير هرمز قائلاً: «وفي حوالي الساعة السابعة و ٦ دقائق سمعت خالد ينادي منذر ويقول له: «آني لا ارى شيئاً»، وان منذر قال لخالد: «امشي على اتجاه ١٤٨ درجة».. ثم سمعت منذر يخاطب البصرة: «بصرة، من منذر، اعطيه الاتجاه» وقالها بالانكليزية (بيرنك).. فأجابه زميلي فريد قائلاً له: «نحن ليس لدينا جهاز اتجاه، وسأتصل بالشعيبة» وفعلاً سأل الشعيبة.. واثناء ذلك سمعت خالد يخاطب منذر قائلاً له: «آني تيهت» وان زميلي فريد يخاطب خالد: «انا لاارى شيئاً على الاطلاق».. وسمعت منذر يخاطب خالد قائلاً له: «ديور ١٨٠ درجة» فأجابه خالد «ماأكدر» ثم اشار منذر على خالد ان يهبط الى ارتفاع ليتمكن من مشاهدة الارض.. فلم يسمع جواباً لخالد.. واخذنا نكرر الاتصال ونكرر الطلب.. ثم انقطع الاتصال بين الطيار خالد وبين مطار البصرة نهائياً.. وبقى النداء مستمراً على خالد من مطار البصرة ومطار الشعيبة، حتى انقطع في الساعة الثامنة والربع

وختم سالم محمد عزت رئيس الهيئة التحقيقية تقريره النهائي بقوله:

وقد ظهر للهيئة التحقيقية مجددا، وبعد استكمال التحقيق، وبالاضافة الى ماورد في تقريرها المبدأي السابق، ومن تقرير مدير المعهد الكيمياوي المرقم ١٢٤٣ والمؤرخ في ١٩٦٦/٤/٢٥ المعنون الى رئاسة اركان الجيش.. مايلي:

١ ـ ان الطائرة لم تحترق بالجو، انما جرى احتراقها بعد اصطدامها على الارض، وحصول الاحتراق نتيجة تسرب وقود الطائرة الى محركاتها وهي في حالة الاشتغال..

٢ ـ لم يعثر بين حطام الطائرة على أثرٍ مادي، يدل على وجود قنبلة توقيتية او مفرقع يدل على حصول انفجار مدبر].

يختم سالم محمد عزت، رئيس الهيئة التحقيقية كلامه قائلا: لقد اتضح لنا من جراء التحقيق، ان الحادث كانت قضاءً وقدراً. ولم يتسبب عن تخريب واضح او مقصود، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان هناك تقصيراً تسبب عن غير قصد في حدوث هذه المأساة، والتحقيق لايملك تحديد وجوه هذا التقصير. ومهمتنا انتهت عند هذا الحد].

ويروي لنا الملازم اول شهاب احمد حويش، احد مرافقي الرئيس عبدالسلام محمد عارف، وقريبه، انه كان مرافقا للرئيس عبدالسلام في تلك الرحلة ويقول انه انتبه على ان الرئيس عبدالسلام استعمل جملة: «لو تشوفوني، لو متشوفوني بعد» مرتين في خطبه التي القاها في منطقة الاهوار.

ثم يقول الملازم اول شهاب: كنت متشائماً جداً اثناء تلك الرحلة المشؤومة. وقد اصابني صداع شديد، لم استطع ان افتح عيني من شدته قبيل ان يركب الرئيس عبدالسلام الطائرة.

قال لي: اركب معنا في الطائرة..

قلت له: سيدي لااستطيع ان اركب الطائرة من شدة الصداع، وافضل ان اعود الى البصرة في السيارة مع السائق حميد بلاسم.

قال مازحاً: أتخسه.. إنت السبع، أتخاف من الطيارة..؟!

ثم سلمني نظارته الطبية ومسدسه الشخصي الصغير.. والتفت نحو المرافق رشيد المهداوي وقال له: دير بالك على شهاب.. مبين ماله خلگ.. (اي مريض).

وكانت هذه اخر الكلمات التي تفوه بها الرئيس عبدالسلام وهو يصعد الى طائرة الهليوكوبتر.

كان الجو مغبراً.. وسرنا حوالي ثلاثة كيلومترات بالسيارة المكشوفة، التي كان يستعملها الرئيس عبدالسلام في جولاته، مما اضطررنا بعدئذ الى احكام غطاء السيارة (التنتة) من شدة الغبار!

ويصف الملازم اول شهاب احمد حويش ـ كيف شاهد جثة الرئيس عبدالسلام بعد اكتشافها صبيحة اليوم التالي (الخميس) قائلا:

ـ لقد كان معي في السيارة ونحن نفتش عن موقع سقوط الطيارة الملازم اول عبدالرحمن سلمان من (الحماية). فكنا اول من وصل الى منطقة الكارثة.

شاهدنا الرئيس عبدالسلام منبطحاً على الارض، وقد وضع يديه تحت رأسه، وشعر رأسه قد احترق بعضه (تشعوط) وعكف احد رجليه الى اليسار. واحترق كعب رجله المعكوفة. وكان يرتدي بدلة صيفية لونها زيتوني فاتح، وقد تمزق قسم من الجاكتة عند الظهر.

كما شاهدنا نقط من الدماء على انفه».

ويعتقد الملازم اول شهاب ويتصور ان الرئيس عبدالسلام عندما فوجيء بسقوط الطائرة رمى نفسه، او قذف من الباب من شدة الصدمة، فأصبح بعيداً عن موضع النار وجسم الطائرة المحترق.

ويقول انه بعد ما شاهد جثة رئيسه: «نزعت قمصلتي العسكرية وغطيت بها الجثة.. وسقطت مغشياً عليَّ»!

وفي الساعة السادسة من مساء يوم الخميس ١٤ نيسان ١٩٦٦ وصلت الى بغداد طائرة عسكرية تحمل جثمان المشير الركن عبدالسلام محمد عارف، ونعوش الذين استشهدوا معه في حادث الطائرة التي كانت تقلهم من القرنة الى البصرة.

ويروي لنا الملازم اول شهاب احمد حويش، احد مرافقي الرئيس عبدالسلام محمد عارف، وقريبه، انه كان مرافقا للرئيس عبدالسلام في تلك الرحلة ويقول انه انتبه على ان الرئيس عبدالسلام استعمل جملة: «لو تشوفوني، لو متشوفوني بعد» مرتين في خطبه التي القاها في منطقة الاهوار.

ثم يقول الملازم اول شهاب: كنت متشائماً جداً اثناء تلك الرحلة المشؤومة. وقد اصابني صداع شديد، لم استطع ان افتح عيني من شدته قبيل ان يركب الرئيس عبدالسلام الطائرة.

قال لي: اركب معنا في الطائرة..

قلت له: سيدي لااستطيع ان اركب الطائرة من شدة الصداع، وافضل ان اعود الى البصرة في السيارة مع السائق حميد بلاسم.

قال مازحاً: أتخسه.. انت السبع، أتخاف من الطيارة..؟!

ثم سلمني نظارته الطبية ومسدسه الشخصي الصغير.. والتفت نحو المرافق رشيد المهداوي وقال له: دير بالك على شهاب.. مبين ماله خلگ.. (اي مريض).

وكانت هذه اخر الكلمات التي تفوه بها الرئيس عبدالسلام وهو يصعد الى طائرة الهليوكوبتر.

كان الجو مغبراً.. وسرنا حوالي ثلاثة كيلومترات بالسيارة المكشوفة، التي كان يستعملها الرئيس عبدالسلام في جولاته، مما اضطررنا بعدئذ الى احكام غطاء السيارة (التنتة) من شدة الغبار!

ويصف الملازم اول شهاب احمد حويش ـ كيف شاهد جثة الرئيس عبدالسلام بعد اكتشافها صبيحة اليوم التالي (الخميس) قائلا:

ـ لقد كان معي في السيارة ونحن نفتش عن موقع سقوط الطيارة الملازم اول عبدالرحمن سلمان من (الحماية). فكنا اول من وصل الى منطقة الكارثة.

شاهدنا الرئيس عبدالسلام منبطحاً على الارض، وقد وضع يديه تحت رأسه، وشعر رأسه قد احترق بعضه (تشعوط) وعكف احد رجليه الى اليسار. واحترق كعب رجله المعكوفة. وكان يرتدي بدلة صيفية لونها زيتوني فاتح، وقد تمزق قسم من الجاكتة عند الظهر.

كما شاهدنا نقط من الدماء على انفه».

ويعتقد الملازم اول شهاب ويتصور ان الرئيس عبدالسلام عندما فوجيء بسقوط الطائرة رمى نفسه، او قذف من الباب من شدة الصدمة، فأصبح بعيداً عن موضع النار وجسم الطائرة المحترق.

ويقول انه بعد ما شاهد جثة رئيسه: «نزعت قمصلتي العسكرية وغطيت بها الجثة.. وسقطت مغشياً عليَّ»!

وفي الساعة السادسة من مساء يوم الخميس ١٤ نيسان ١٩٦٦ وصلت الى بغداد طائرة عسكرية تحمل جثمان المشير الركن عبدالسلام محمد عارف، ونعوش الذين استشهدوا معه في حادث الطائرة التي كانت تقلهم من القرنة الى البصرة.

وقد حضر الى مطار الرشيد العسكري، الذي حطت فيه الطائرة، رئيس الوزراء عبدالرحمن البزاز والمشير عبدالحكيم عامر النائب الاول لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ونائب القائد الاعلى للقوات المسلحة، واعضاء الوفد المرافق له، والوزراء وعدد من افراد عوائل الشهداء، وكبار الموظفين من عسكريين ومدنيين.

وعند نزول الطائرة الى ارض المطار، تقدم رئيس الوزراء والمشير عامر الى البوابة الخلفية للطائرة، فشاركا في حمل نعش الرئيس الراحل، الذي نقل الى سيارة اسعاف عسكرية، ثم جرى انزال نعوش بقية الشهداء ملفوفة بالاعلام العراقية وموضوعة عليها اكاليل من الزهور.

وقد جرى ايداع جثة الرئيس عبدالسلام محمد عارف وبقية الشهداء في مستشفى الرشيد العسكري.

وكان قد جرى في الساعة الخامسة من عصر نفس اليوم في البصرة تشييع جثمان الرئيس الراحل وصحبه شارك فيه اعضاء الهيئة الموفدة من بغداد للمشاركة في تشييع الجثمان برئاسة الدكتور عبدالحميد الهلالي وزير الاقتصاد، ووكيل متصرف لواء البصرة، ومدير الموانيء العام، وممثل عن امرية موقع البصرة، ورئيس المحاكم، ورؤساء الدوائر في اللواء (المحافظة) وعدد كبير من ضباط الجيش وجمهور من المواطنين.

وحمل نعش الرئيس الراحل عدد من ضباط الجيش، وسارت خلف النعش جموع من المواطنين في البصرة.

وفي مطار البصرة عزفت موسيقى الجيش السلام الجمهوري، واطلقت المدفعية ٢١ اطلاقة تحية للرئيس الراحل قبل وضعه في الطائرة التي اقلته الى بغداد.

وفي الساعة الثامنة والربع من صباح يوم السبت ١٦ نيسان ١٩٦٦ نقل جثمان الرئيس الراحل عبدالسلام محمد عارف من مستشفى الرشيد العسكري الى داره، حيث بقي الجثمان بين اسرته لمدة نصف ساعة.

ونقل الجثمان بعد ذلك الى القصر الجمهوري، حيث سجي في القاعة الكبرى في القصر، ووضعت عليه اكاليل عديدة من الزهور.

وقام على حراسته ضباط الحرس الجمهوري. وكان قد حضر الى القصر الجمهوري افراد عائلته، يتقدمهم اخوته: عبدالسميع، وعبدالرحمن، وصباح، وكذلك نجله الاكبر احمد عبدالسلام.

ثم قام ضباط القوات المسلحة بالقاء النظرة الاخيرة والوداعية على الجثمان قبل ان يوارى مثواه الاخير.

كما شارك في القاء النظرة الوداعية وفد القيادة العربية الموحدة وسماحة مفتي الديار العراقية الحاج نجم الدين الواعظ، وعائلة الرئيس الراحل.

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم السبت، دخلت ثلة من الحرس الجمهوري الى حيث سجي النعش في قاعة من قاعات القصر الجمهوري، وحملت النعش الى خارج المبنى، حيث كانت تقف عربة مدفع تجرها ستة خيول بيض مجللة بالسواد. ووضع النعش على العربة، ثم خرجت من القصر الجمهوري لتسير في موكب التشييع بين القصر الجمهوري وساحة الشواف، مخترقة شارع المنصور.

وقد وضعت امام النعش صورة كبيرة للرئيس الراحل بملابسه العسكرية، مكللة بالزهور، ووضعت اكاليل اخرى من الزهور حول النعش، بينما ارتفعت الاعلام العراقية على جانبيه.

كان النعش ملفوفا بعلم عراقي كبير، وكتبت على احد جانبي النعش عبارة تقول: «الفقيد الراحل عاش من اجل وطنه ومات وهو يتفقد شعبه». اما الجانب الثاني فقد كتبت عليه العبارة الاخيرة التي تضمنها خطابه الاخير في القرنة وهي: «لقد نذرت نفسي لخدمة الشعب، وكل ماأريده هو ان ترفرف السعادة في كل بقعة من هذا الوطن».

وبعد النعش سار المرافقون وهم يحملون اوسمة الرئيس الراحل، ثم عدداً من طلاب الكلية العسكرية وهم يحملون اكاليل الزهور من رؤساء وملوك الدول الشقيقة والصديقة.

وفي ساحة الشواف جرت مراسيم انزال النعش من عجلة المدفع ليحمل على سيارة مكشوفة. وبعد ذلك سار الموكب بالسيارات حتى جامع الشيخ ضاري في (ابو غريب)، حيث دفن الى جانب قبر والده.

وفي نحو الساعة السادسة والنصف عزفت موسيقى الجيش لحناً حزيناً هو بوق النوم، ثم اطلق الجنود اطلاقات من بنادقهم وداعاً للرئيس الراحل.

وهكذا انتهت حياة عبدالسلام محمد عارف - في مأساة من ابشع مآسي الطيران الداخلي...

وظلت مأساة سقوط الطائرة، ومصرع الرئيس عبدالسلام محمد عارف وصحبه، لغزاً طيلة ربع قرن من الزمن، حيّر المراقبين السياسيين والمهتمين بتاريخ العراق الحديث.

فلم تعلن - لو كانت هناك مؤامرة مبيتة لاسقاط الطائرة العمودية - اية جهة او جماعة مسئوليتها عن مصرع عبدالسلام محمد عارف طيلة هذه المدة الطويلة في عداد الزمن.

انني من خلال تحرياتي العميقة والكثيفة، واستنطاقي العديد ممن شاهدوا ذلك الحادث المفجع، واطلاعي على اضبارتي التحقيق القضائية والفنية، اميل الى ان القضاء والقدر هو الذي احكم تدبير ذلك الحدث، واودى بحياة رئيس الجمهورية. وان العاصفة الترابية هي (السبب) وهي (الفاعل). في سقوط طائرة الهليوكوبتر، التي تحطمت على الارض واحترقت. وان الامر لم يكن من تدبير اي انسان، انما هو من تدبير جبار قهار، لاسلطان لاحد على رد ارادته!

وعندما وسِّد عبدالسلام محمد عارف في قبره، في تلك الزاوية المتواضعة من حديقة جامع الشيخ ضاري في (ابو غريب)، كنت واقفا عن كثب اراقب مراسيم دفن هذا (الرجل) الذي دخل التاريخ، مسطرا في سجلاته، انه «اول رئيس للجمهورية في العراق». وانه وضع بصماته بعمق في تاريخ العراق الحديث، بخيرها وشرها!

وعندما اهيل عليه التراب في مرقده الاخير، ترددت في اذني كلماته، بعد ان نقلت اليه تحذير العالم الفلكي الشهير الحاج محمد يوسف **المنياوي** بعدم ركوب الطائرات:

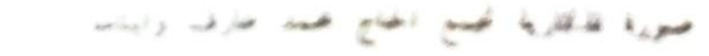
- «وماتدري نفس ماذا تكسب غدا، وماتدري نفس بأي ارض تموت»....

صدق الله العظيم.

* * *

وثائق وصور

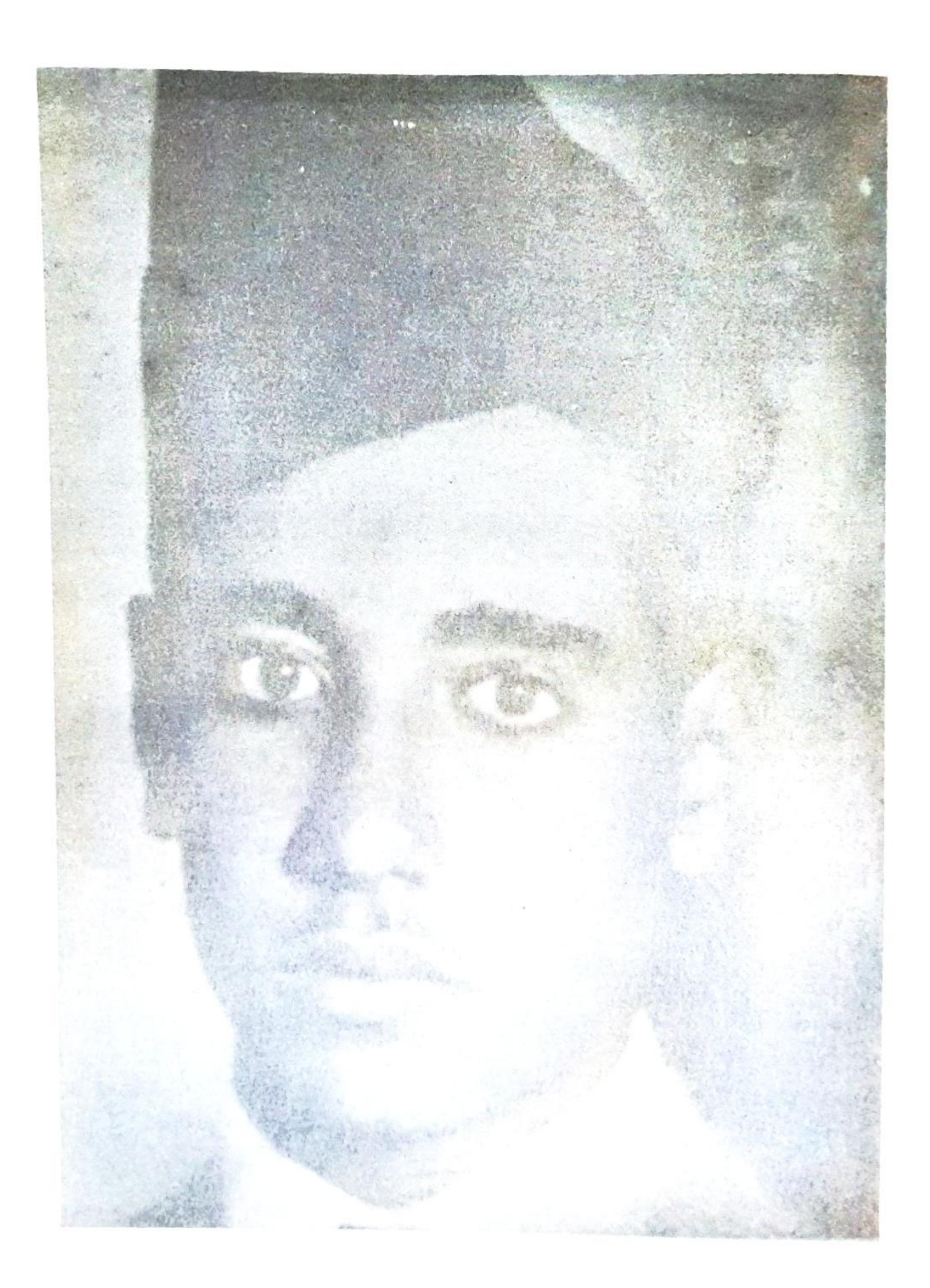




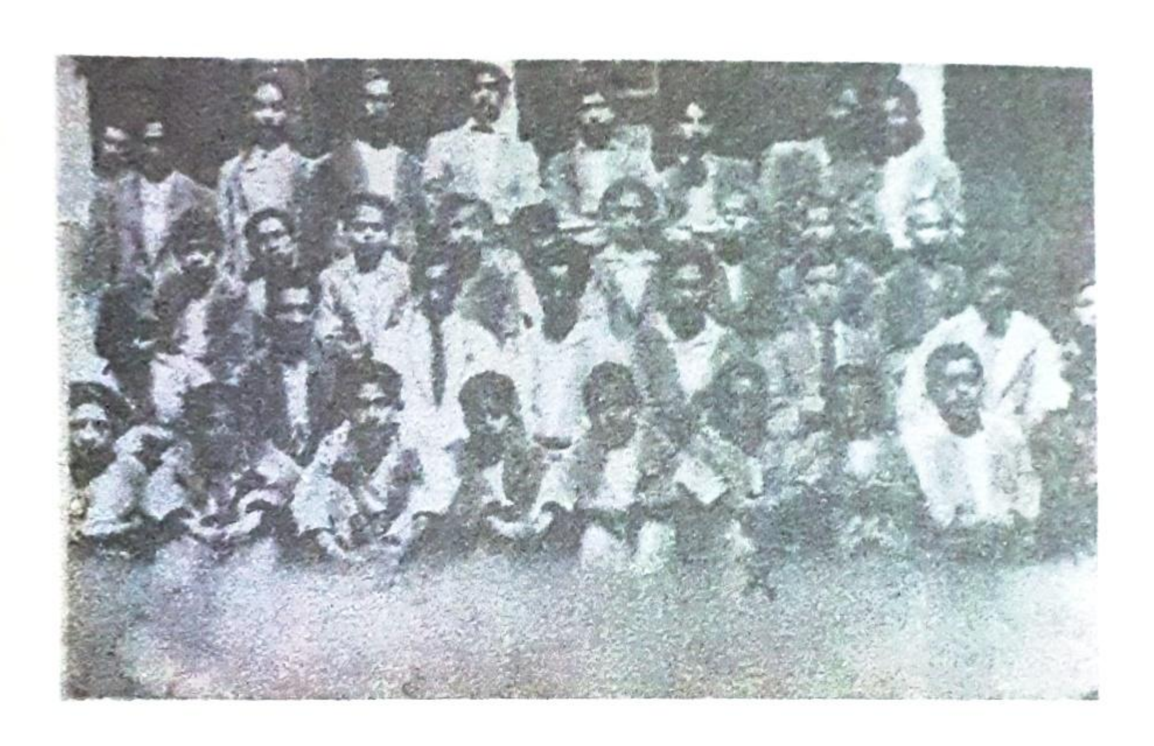
صورة تذكارية للشيخ الحاج محمد عارف وأبنائه



عبد السلام محمد عارف في طفولته



عبدالسلام محمدعارف يرتدي(السدارة) العراقية في مطلع شبابه



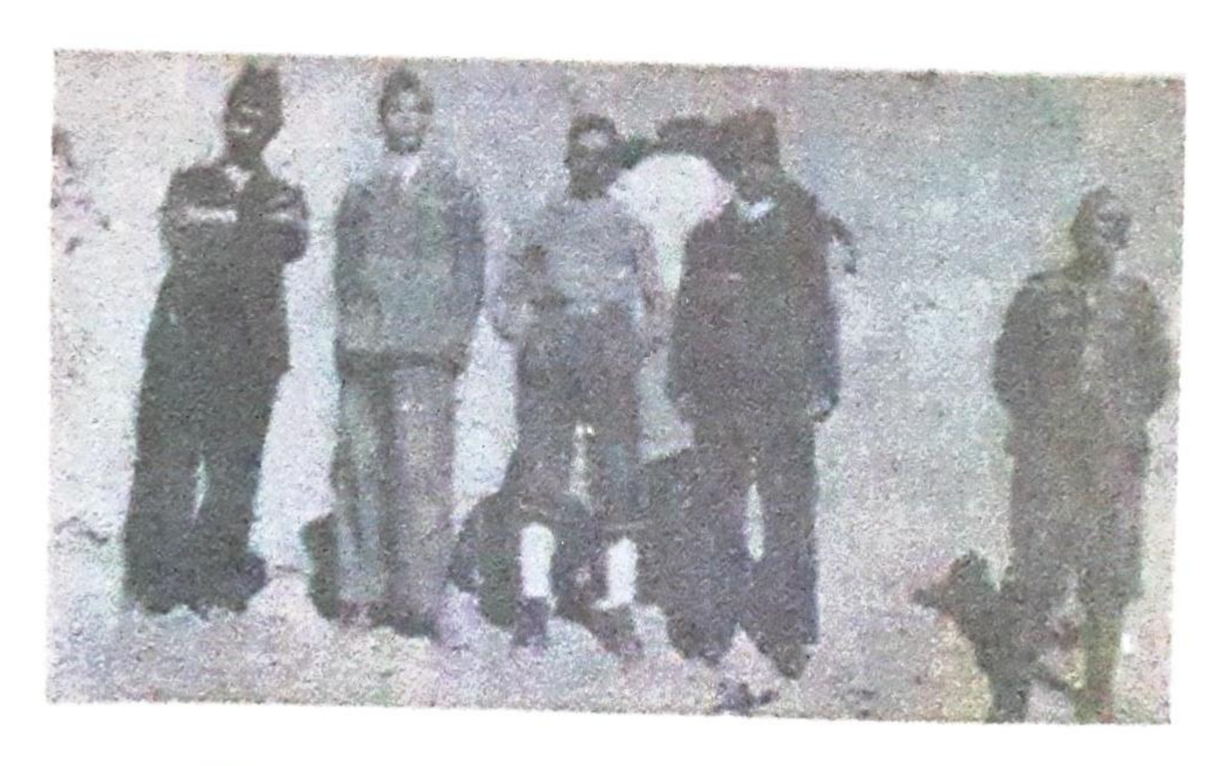
طلاب مدرسة دار السلام الابتدائية التي انتقل اليها الطالب عبدالسلام محمد عارف عام ١٩٣٢



للطالب عبدالسلام محمد عارف وبعض الاصدقاء بمقهى بالقرب من نهر خريسان عام ١٩٣٦



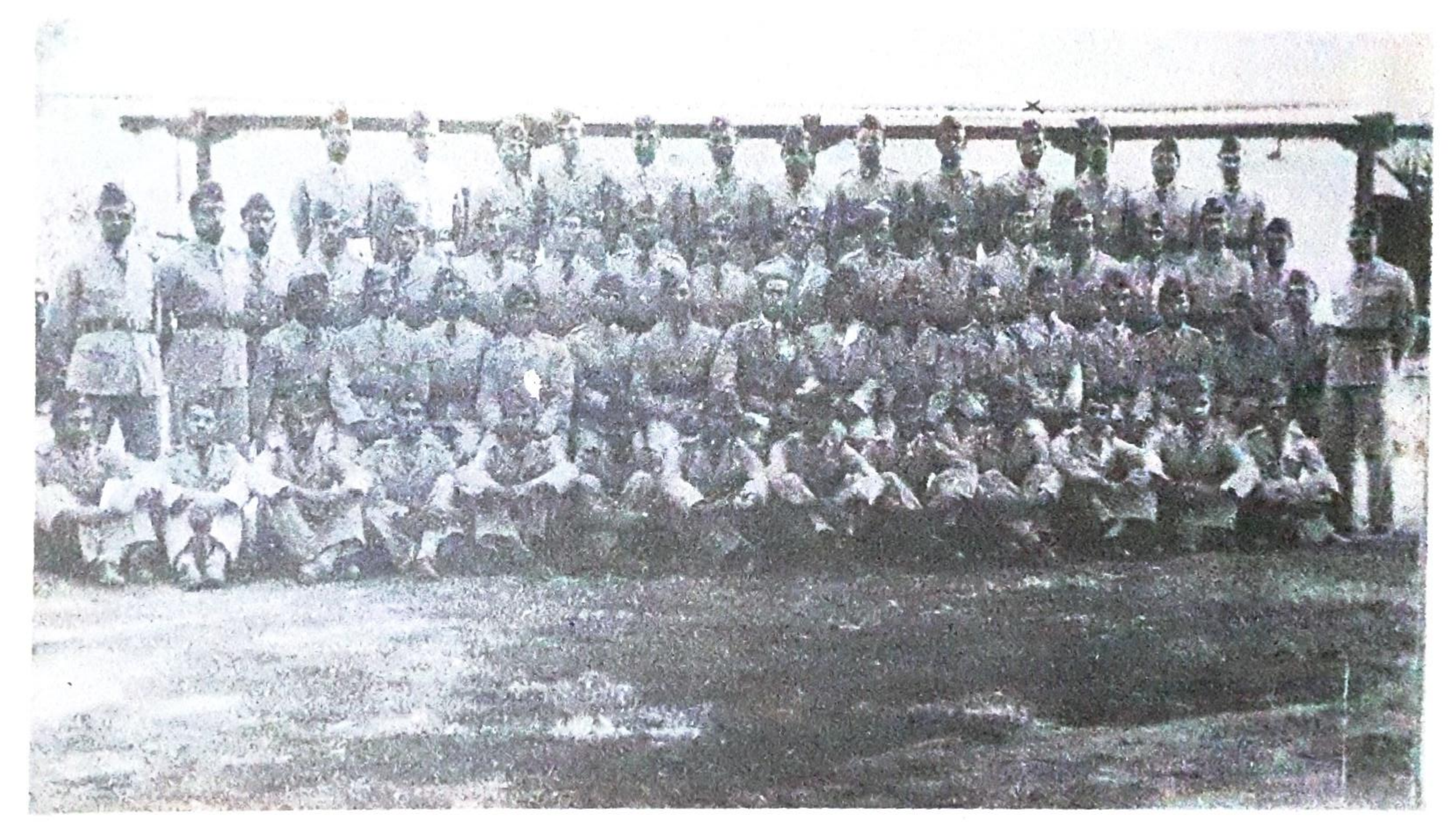
كتب عبدالسلام محمد عارف تحت هذه الصورة من ذكريات الفتوة ٢١ نيسان ١٩٣٦



وكتب عبدالسلام محمد عارف تحت هذه الصورة: في بعقوبة والتاريخ ٥ مايس ١٩٣٦ والصورة بالقرب من مخفر الجسر



عبدالسلام محمد عارف يعتمر (البهلوية) في رأسه مع زملاء له في سفرة الى خارج بغداد



يظهر الطالب في الكلية العسكرية عبدالسلام محمد عارف في هذه الصورة الرابع من اليمين في الصف الاعلى.



عبدالسلام محمد عارف من هواة التنس في شبابه.



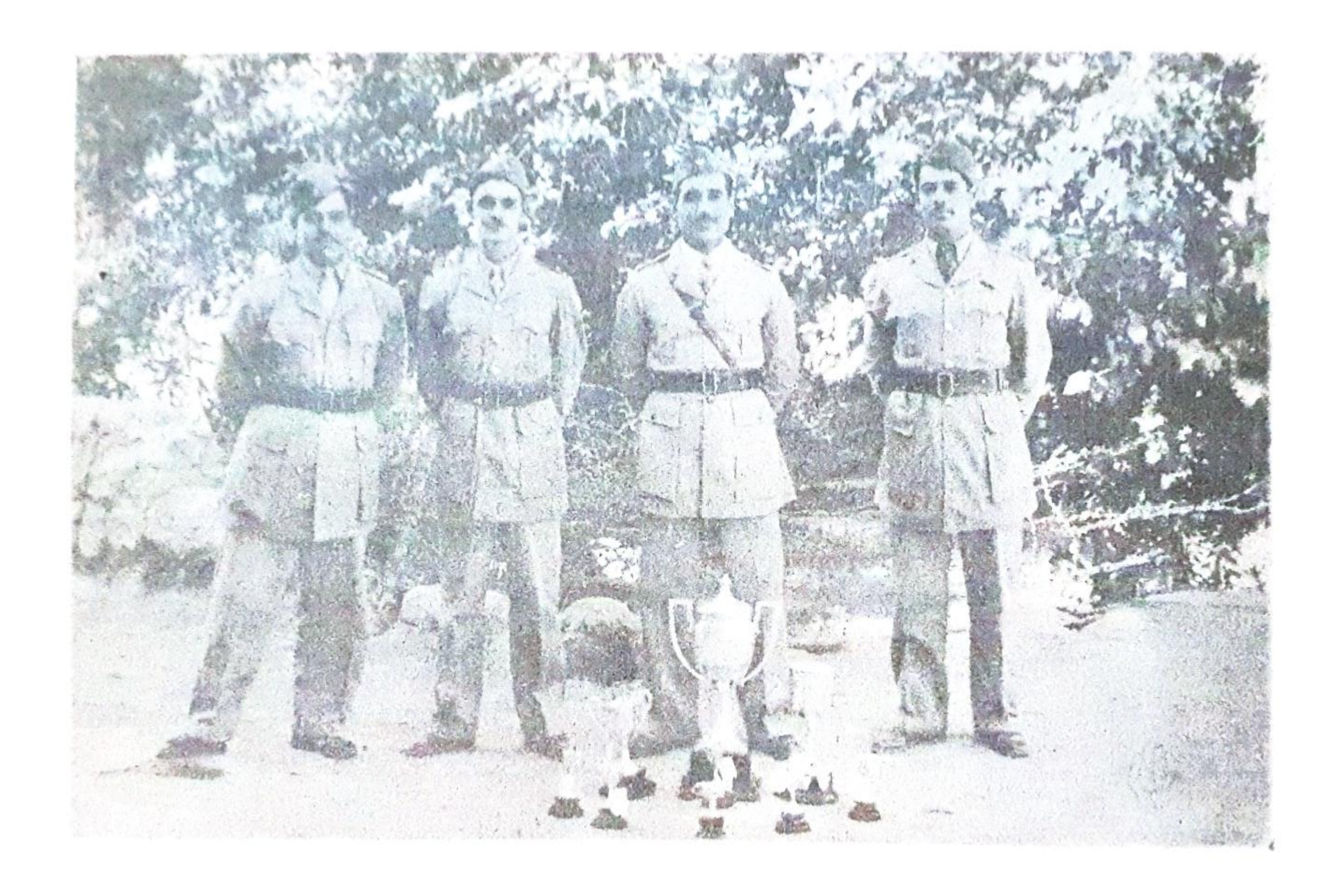
الملازم عبدالسلام محمد عارف التقطت له هذه الصورة بعد ان اصبح ضابطا في الجيش في ٧ مايس ١٩٣٩



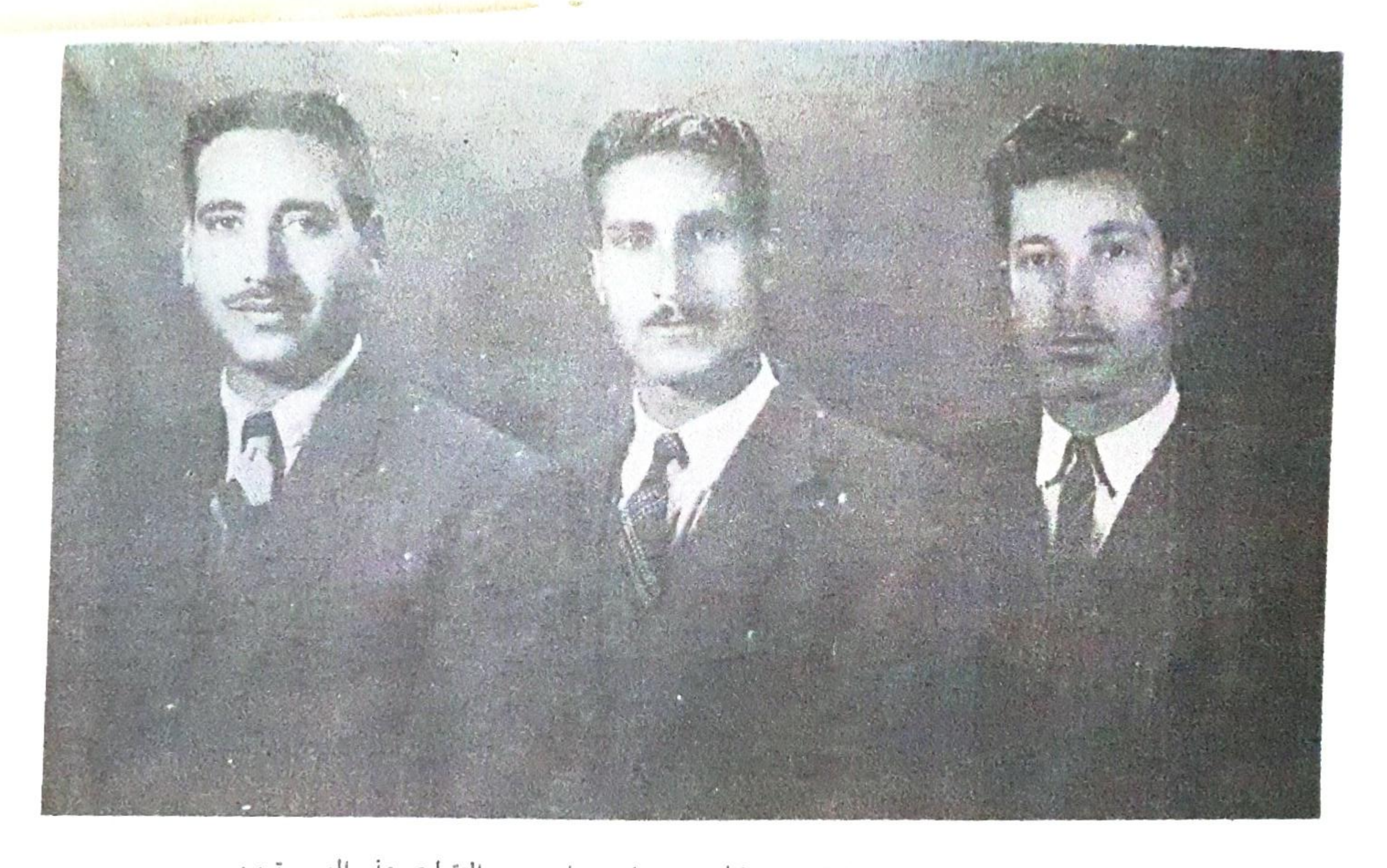
الملازم الاول عبدالسلام محمد عارف في البصرة عام ١٩٤٣



صورة جماعية للفصيل الثالث المستجد بالكلية العسكرية ١٩٤٦ - دورة ٢٤ وقد ظهر عبدالسلام محمد عارف واقفا في وسط الصورة (الخامس من اليمين - الصف الثالث من الاعلى)



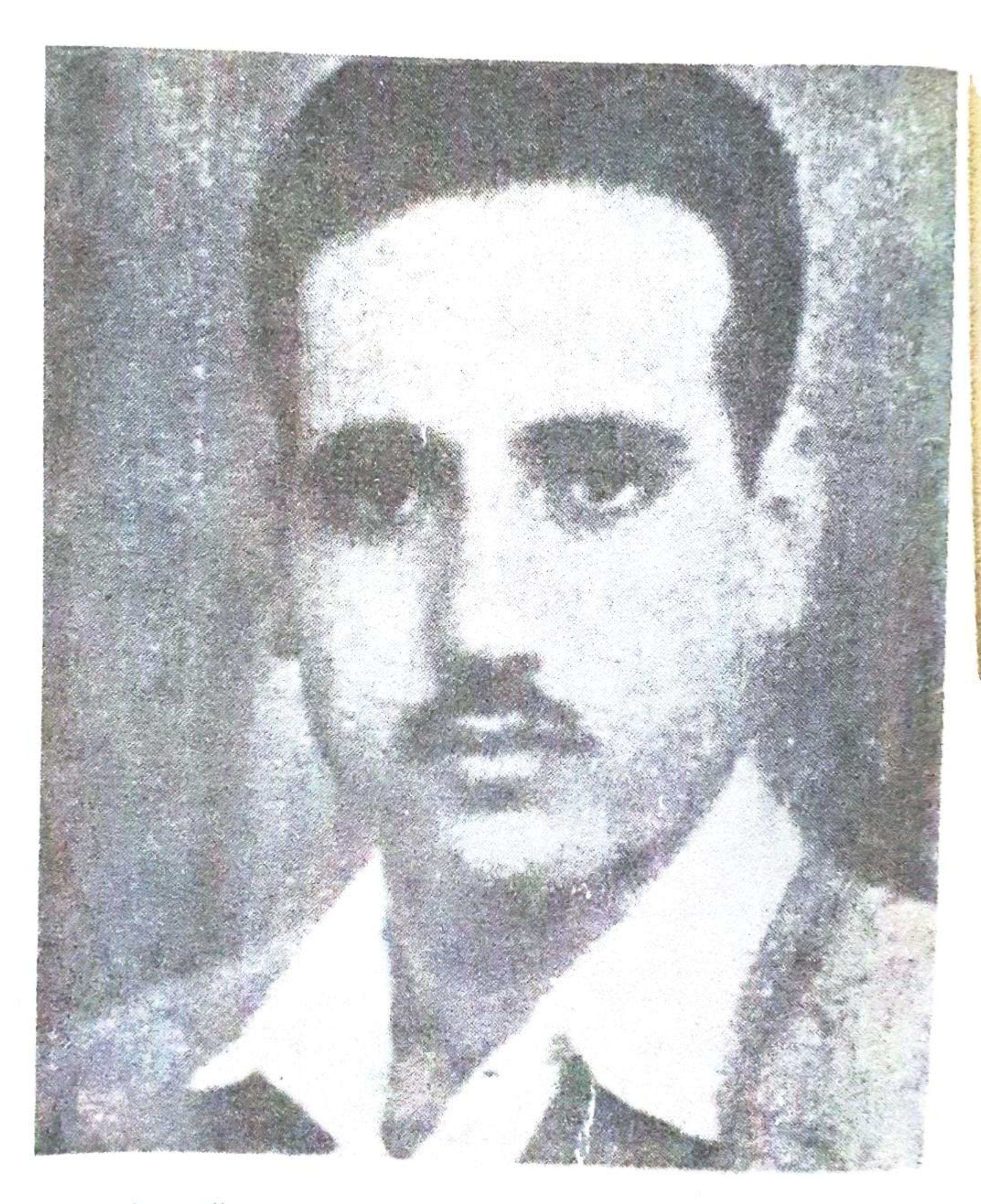
الفصيل الثالث في الكلية العسكرية عام ١٩٤٦



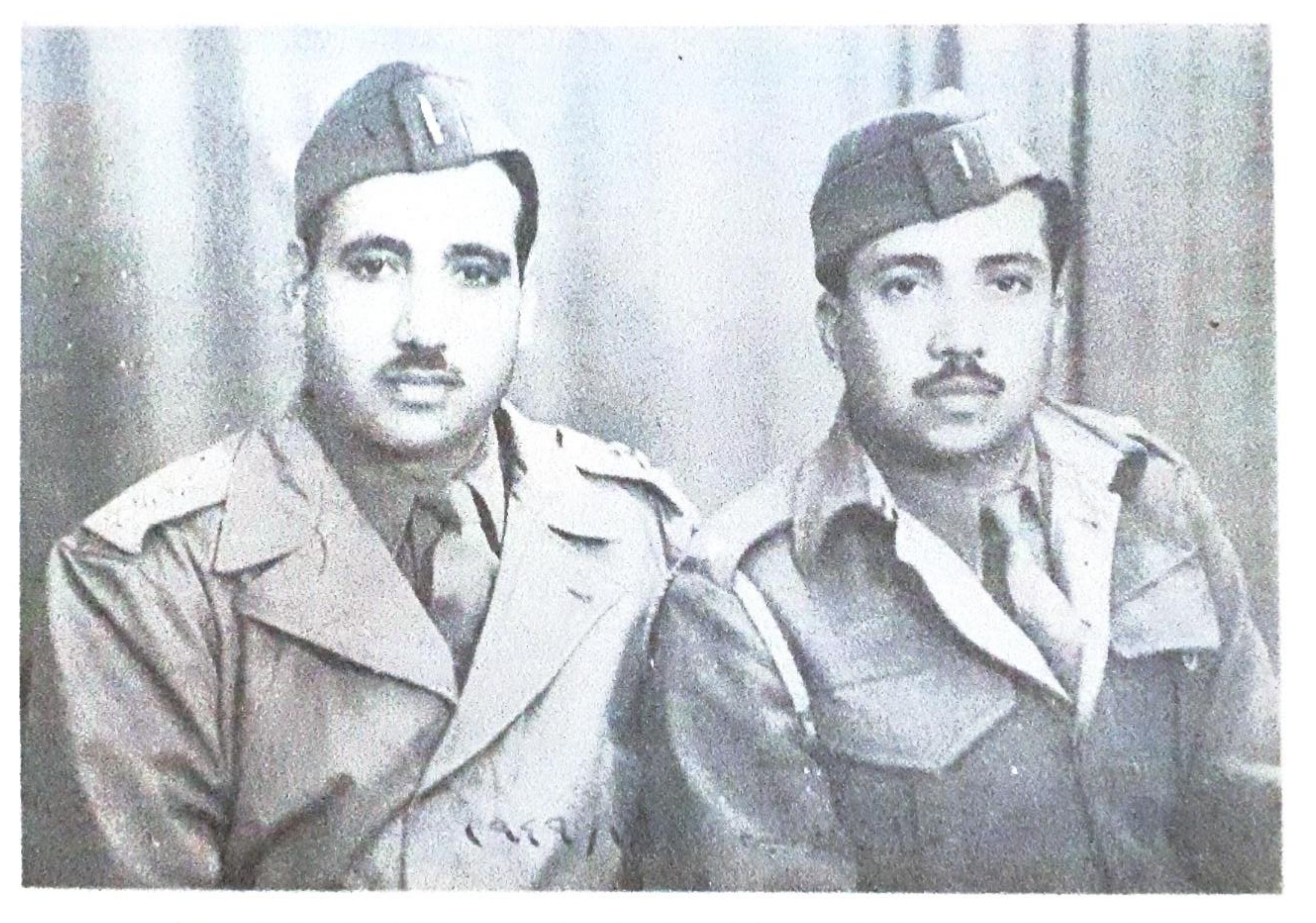
من اليسار: عبدالسلام محمد عارف. عبدالحسين جعفر. علي عريم التقطت هذه الصورة من قبل المصور محمد نورسي في كركوك في الساعة الحادية عشر وخمسة دقائق صباح يوم ١٩ كانون الاول ١٩٤٧ ـ كما قد كتب خلفها!!



الملازم الاول عبدالسلام محمد عارف في نابلس بفلسطين عام ١٩٤٨ مع زملاء له من الضباط بالطرابيش النابلسية - في اقصى اليسار



التقطت هذه الصورة لعبدالسلام وهو يرتدي الملابس المدنية في استوديو للتصوير في فلسطين عام ١٩٤٨.



الرئيس (النقيب) عبدالسلام محمد عارف مع احد اصدقائه الضباط التقطت لهما هذه الصورة في نابلس بفلسطين في ٥ كانون الثاني ١٩٤٩



يقف الرئيس (النقيب) الركن عبدالسلام محمد عارف الى اقصى اليسار امام مدخل كلية الاركان



عبدالسلام محمد عارف يحتضن ولده احمد قبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بقليل



صورة كتب في اسفلها: ذكرى تفتيش الزعيم الركن رفيق عارف قائد الفرقة الثانية لمفرزة انضباط الموصل والفصيل الثاني / هندسة في ٢٥ كانون الاول ١٩٥١ ويقف الرئيس الاول الركن عبدالسلام محمد عارف خلفه (اشارة X)



المقدم الركن عبدالسلام محمد عارف



عبدالسلام محمد عارف بالملابس المدنية يجلس مع بعض اصدقائه امام دكان في محلته بالكرخ قبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ باشهر قليلة.

مبولاء
٢٥/ذي الحجة/١٣٧٧
١٢/تموز/١٩٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الوالد الكريم الحاج محمد عارف البزاز المحترم

بعد تقبيل اياديكم الكريمة

فقد توكلت على الله مع اخواني وعلى رأسهم الصديق الوفي الزعيم الركن عبدالكريم قاسم لانقاذ الوطن الغالي من الاستعمار واذنابه وهذا كل ما تمكن طلبه وانا متحمل النتائج بصدر مرتاح

التمس اليكم الصفح والعفو والمغفرة والدعاء

والله خير حافظاً وهو ارحم الراحمين.

كنت للاخ عبدالرحيم وانت بيدك كل شيء واسأل الله تعالى ان يحفظك

سلامي اليكم جميعاً فانا ملاقيكم وانا مرفوع الرأس في خدمة الوطن او ملاقي ربي الذي وسعت رحمته كل شيء ولي الفخر بان اكون مع الشهداء والصديقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون

والسلام عليكم

ولدكم المطيع

الوصية التي كتبها العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف الى والده الحاج محمد عارف البزاز قبيل القيام بثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨



الزعيم الركن عبد الكريم قاسم والعقيد الركن عبدالسلام محمد عارف في اول ايام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨



العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف يقبل اولاده بعد نجاح ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨



عبد السلام محمد عارف... لقطة من الخمسينات



العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف مع الرئيس جمال عبد الناصر في دمشق ١٨ تموز ١٩٥٨



العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف في قفص الاتهام في المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة المهداوي) ووقف الاستاذ عبد الرحمن البزاز يدلي بشهادته في الجلسة السرية المنعقدة في ٢٨ كانون الاول ١٩٥٨



الحاج عبدالسلام محمد عارف بعد عودته من الديار المقدسة عام ١٩٦٢ في مطار بغداد، وقد ظهر الى اليسار شقيقه عبد السميع محمد عارف



عبدالسلام محمد عارف وعائلته.. بناته واولاده عام ١٩٦٢



الرئيس عبدالسلام محمد عارف باللباس المدني في دمشق يتحدث مع الفريق امين الحافظ رئيس مجلس قيادة الثورة السوري في الثاني من ايلول ١٩٦٣.



الرئيس عبدالسلام محمد عارف وقد وقف الى يساره الرئيس احمد حسن البكر والى يمينه الفريق طاهر يحيى مع بقية الوزراء



عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية في مكتبه بالقصر الجمهوري - عام ١٩٦٣.



المشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية مع والده الحاج محمد عارف كانون الاول ١٩٦٣ - اي قبل وفاة والده باشهر قليلة.



صورة للمشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية التقطها الفنان جان صاحب استديو (بابل) للتصوير في كانون الثاني ١٩٦٤.



الشيخ عبد الله الصباح امير الكويت فالرئيس عبد السلام محمد عارف فالرئيس جمال عبد الناصر فالملك فيصل السعود من مؤتمر القمة العربي الاول المنعقد في القاهرة في ١٣ كانون الثاني ١٩٦٤



الرؤساء والملوك العرب في مؤتمر القمة العربي في القاهرة ١٣ كانون الثاني ١٩٦٤



الرؤساء والملوك العرب ـ وبينهم عبدالسلام محمد عارف في لقاء لهم في مؤتمر القمة العربي الاول في القاهرة ١٩٦٤



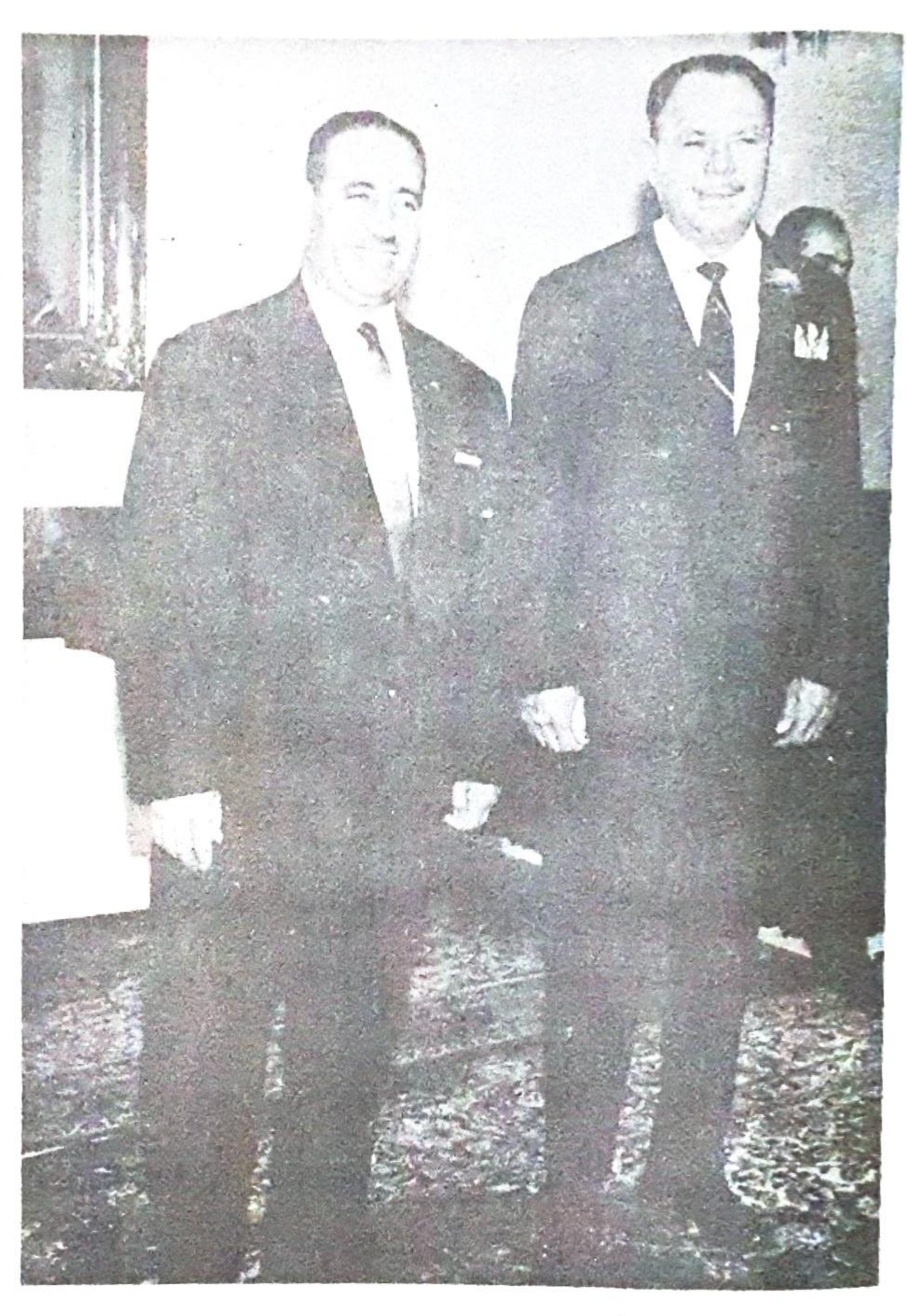
الرؤساء والملوك العرب - وبينهم عبد السلام محمد عارف - يؤدون صلاة الجمعة في جامع الأزهر ١٩٦٤



في اليسار: الرئيس الجزائري ابن بيللا فالملك السعودي فيصل فالرئيس عبدالسلام محمد عارف فالرئيس جمال عبد الناصر فالمشير عبد الحكيم عامر فالسيد انور السادات ـ في لقاء لهم في مؤتمر القمة العربي الاول في القاهرة ١٩٦٤



الملك فيصل السعود والرئيس جمال عبد الناصر ونائبه المشير عبد الحكيم يزورون الرئيس عبدالسلام محمد عارف في شقته في فندق هيلتون في القاهرة، ايام انعقاد مؤتمر القمة العربي الاول عام ١٩٦٤



الرئيس عبدالسلام محمد عارف مع الرئيس الباكستاني ايوب خان في ٢ اذار ١٩٦٤ في كراجي



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يلقي كلمته في حفل جامعة بنجاب (لاهور) بمناسبة منحه درجة دكتوراه فخرية في القانون



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يُقبّل القرآن الكريم المهدى اليه من الاكاديمية الاسلامية في دكا (باكستان) يوم ٢٤ اذار ١٩٦٤ وقد ظهر جالساً الى جانبه السيد ابو الهاشم مدير الاكاديمية الاسلامية فاللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب وزير المواصلات العراقي



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يصافح الرئيس الهندي رادها كرشنان اثناء احد الحفلات في نيودلهي في ٢٦ اذار ١٩٦٤



الرئيس عبدالسلام محمد عارف عند اجتماعه بالبانديت جواهر لال نهرو في منزل رئيس وزراء الهند ـ اذار ١٩٦٤



الرئيس عبدالسلام محمد عارف عند استقباله من جانب المسلمين الهنود اثناء زيارته لحضرة نظام الدين - اذار ١٩٦٤



في الاحتفال الشعبي الكبير في اسوان بمناسبة افتتاح المرحلة الاولى للسد العالي في ١٤ مايس ١٩٦٤ الرئيس عبدالسلام محمد عارف مبتسماً والى جواره الزعيم السوفيتي نيكيتا خروشوف فالرئيس جمال عبد الناصر



الجولة البحرية في مياه البحر الاحمر يوم ١٥ مايس ١٩٦٤ يظهر في الصورة الرئيس جمال عبدالناصر فالرئيس عبدالسلام محمد عارف فصبحي عبد الحميد وزير الخارجية العراقي يقابلهم خروشوف الزعيم السوفيتي. وقد ظهر في الصورة الرئيس عبد السلام عابساً!



الرئيس جمال عبدالناصر يودع عبدالسلام محمد عارف في مطار القاهرة يوم ٢٦ مايس ١٩٦٤



السيد بيراسته سفير ايران في العراق يلقي كلمته قبل تقديم اوراق اعتماده الى الرئيس عبدالسلام محمد عارف ووقف الى جانبه الاستاذ صبحي عبد الحميد وزير الخارجية. ضحى يوم الاثنين ٢٢ حزيران ١٩٦٤



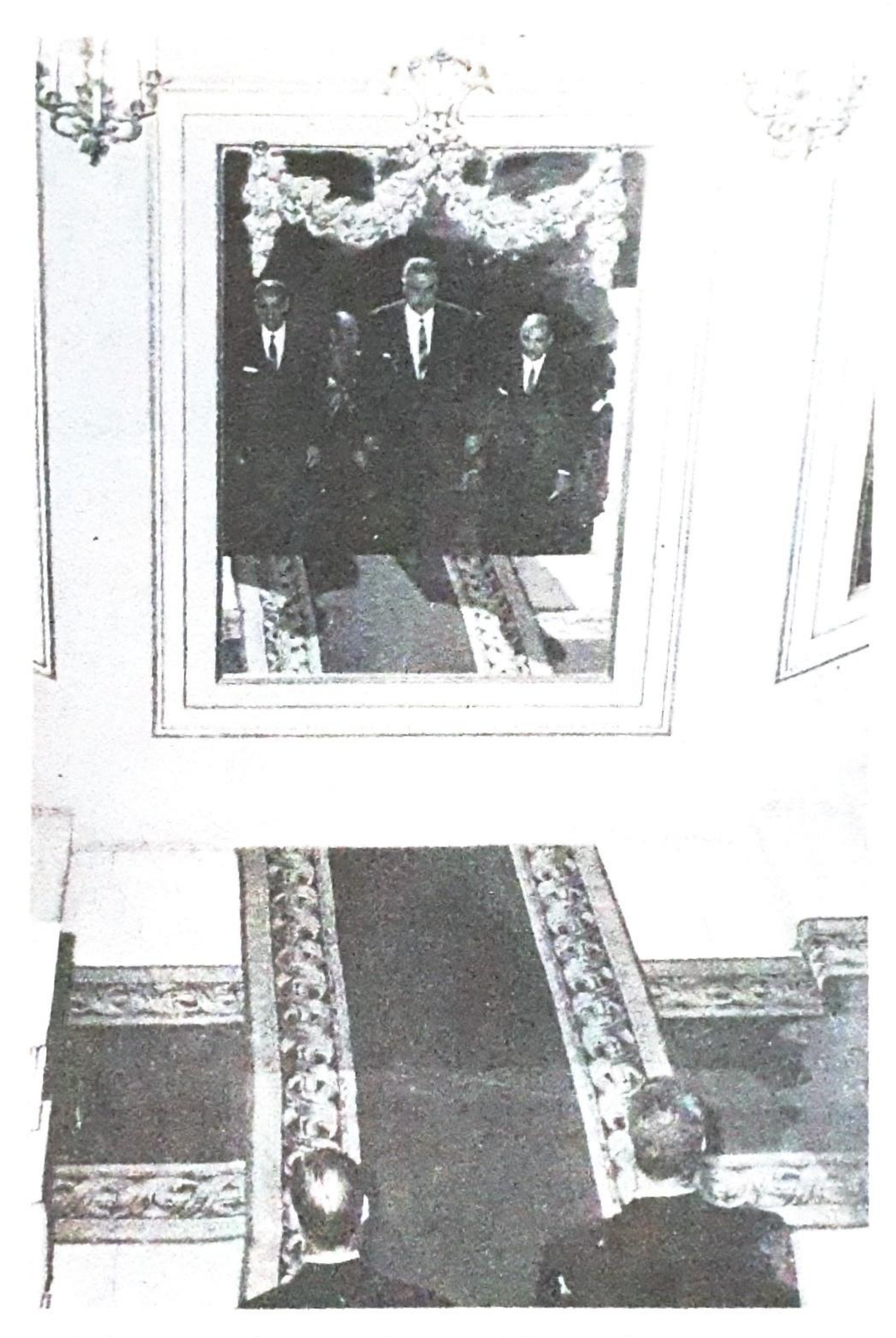
الرئيس عبدالسلام محمد عارف يتعانق مع الرئيس جمال عبدالناصر في مطار القاهرة، عند حضوره مؤتمر القمة العربي الثاني المنعقد في الاسكندرية بتاريخ ٥ ايلول ١٩٦٤، و حضوره بعد انتهائه اجتماعاً لمجلس الرئاسة المشترك بين الجمهورتين العربية المتحدة والعراق في ١٤ ايلول ١٩٦٤.



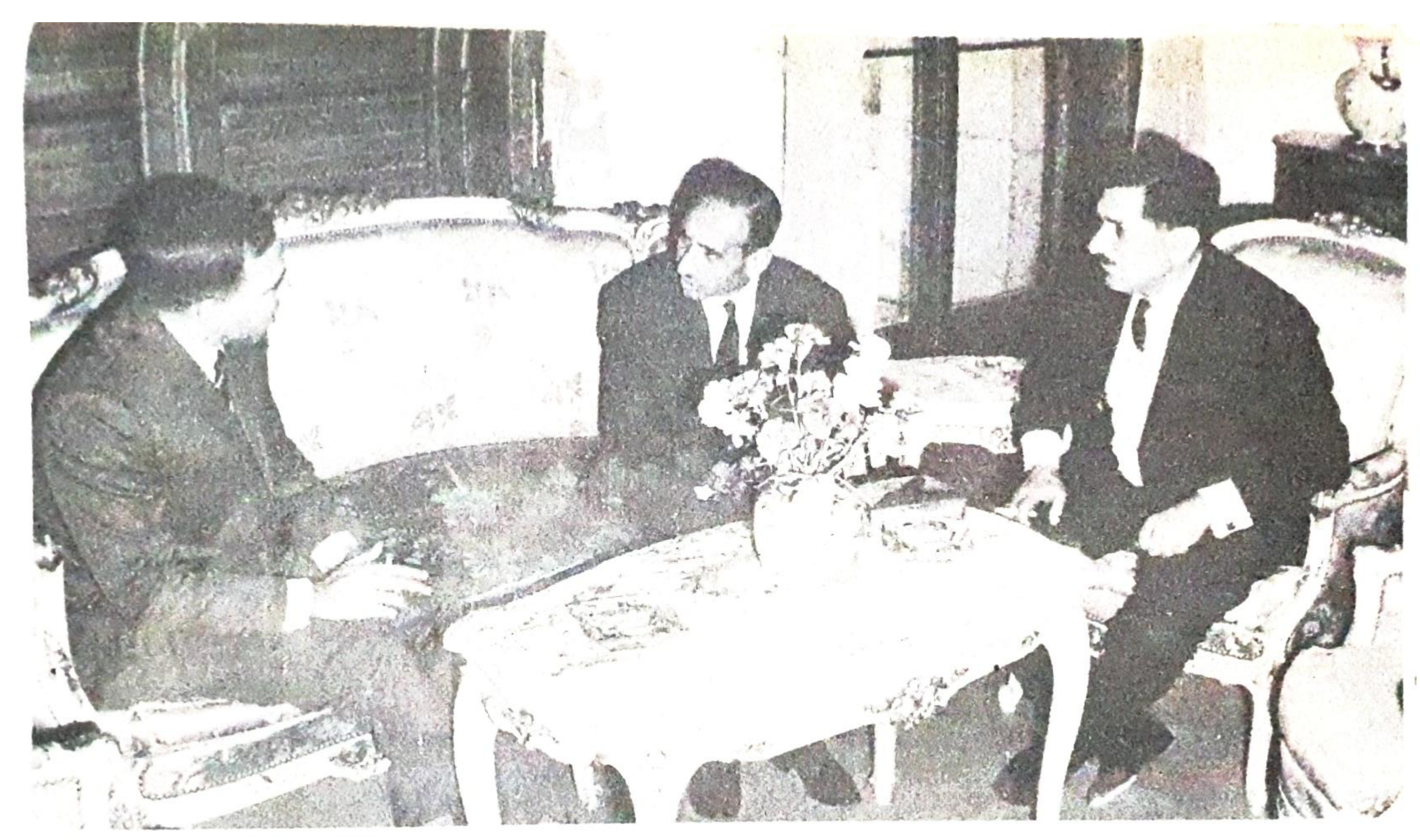
الرئيس عبدالسلام محمد عارف في مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد في القاهرة في ٤ تشرين الاول ١٩٦٤ .



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يفتتح مؤتمر المهندسين العرب التاسع في ١٣ كانون الاول ١٩٦٤.



الرئيس جمال عبدالناصر والرئيس عبدالسلام محمد عارف يصعدان سلم قصر عابدين في القاهرة الى الطابق الاول لحضور حفلة العشاء المقامة على شرف الرئيس العراقي.



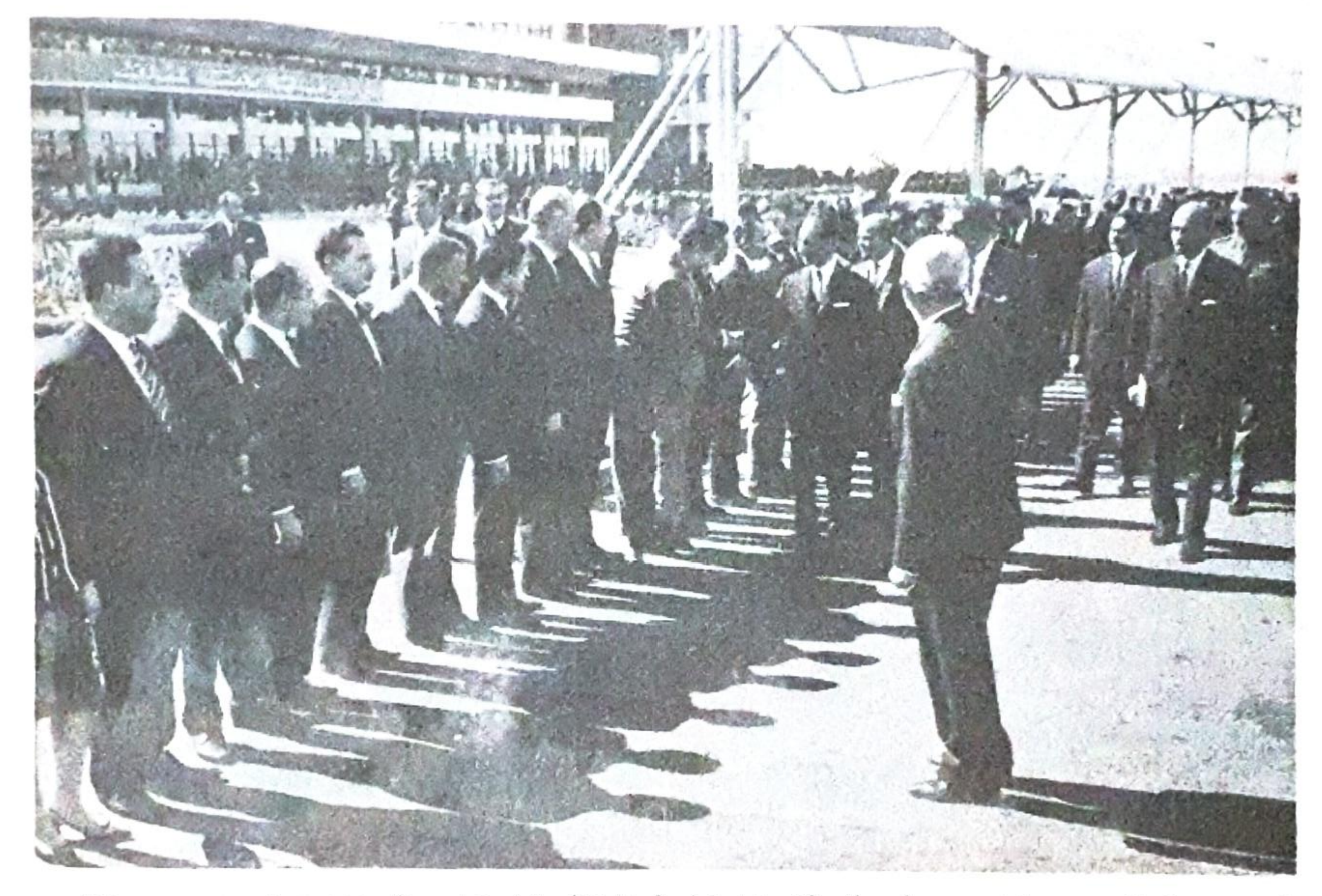
الرئيس عبدالسلام محمد عارف يتحدث مع عبدالحميد السراج، الزعيم السوري المعروف، المقيم في القاهرة والى جانبه الاستاذ رجب عبدالمجيد - في صالون السفارة العراقية في القاهرة في ١٦ مايس ١٩٦٥



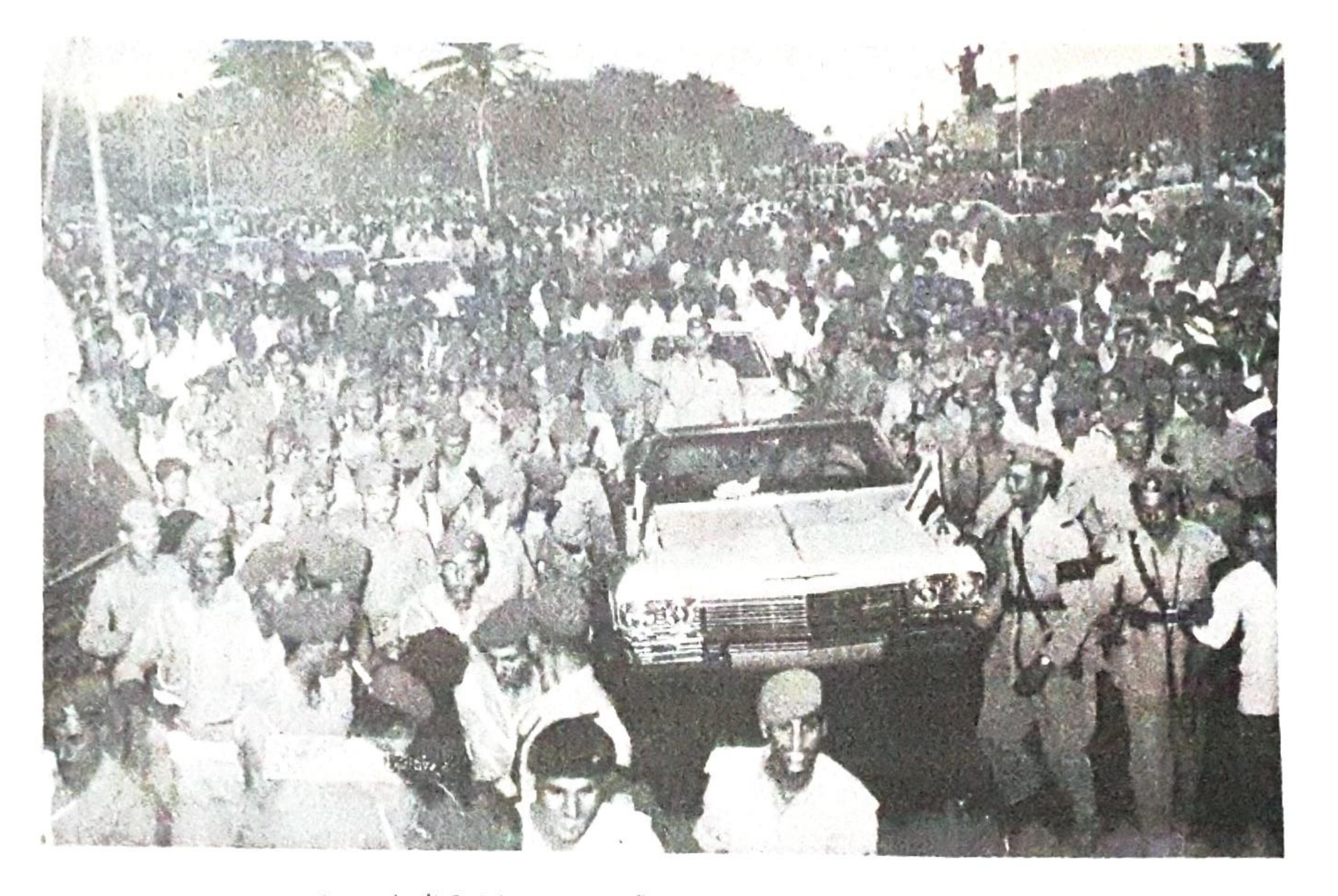
الرئيس عبدالسلام محمد عارف مع النساء العراقيات المقيمات في القاهرة. الصورة التقطت في صالون السفارة العراقية في القاهرة في ١٦ مايس ١٩٦٥



اعضاء السفارة العراقية في القاهرة وموظفو الجامعة العربية يسلمون على الرئيس عبدالسلام محمد عارف في حديقة السفارة العراقية في الزمالك، ويظهر في الصورة الاستاذ صاحب ذهب يسلم عليه - في ١٦ مايس ١٩٦٥



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يودع في مطار القاهرة اعضاء السفارة العراقية وكبار موظفي الجامعة العربية وبعض الطلبة العراقيين عائداً الى بغداد. وقد ظهر الى جانبه الرئيس جمال عبدالناصر. وفي الصورة يسلم على الدكتور خالد العزي - مايس ١٩٦٥.



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يغادر بسيارته المكشوفة، بعد ازاحة الستار عن نصب جندي ١٤ تموز، في الساحة المؤدية الى القصر الجمهوري والجسر المعلق، عصر يوم ١٦ تموز ١٩٦٥



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يصافح العميد سعيد صليبي، وهو في طريقه الى الدار البيضاء لحضور مؤتمر القمة العربي الثالث المنعقد في ١٢ ايلول ١٩٦٥. لقد كان صليبي وراء افشال انقلاب عارف عبدالرزاق



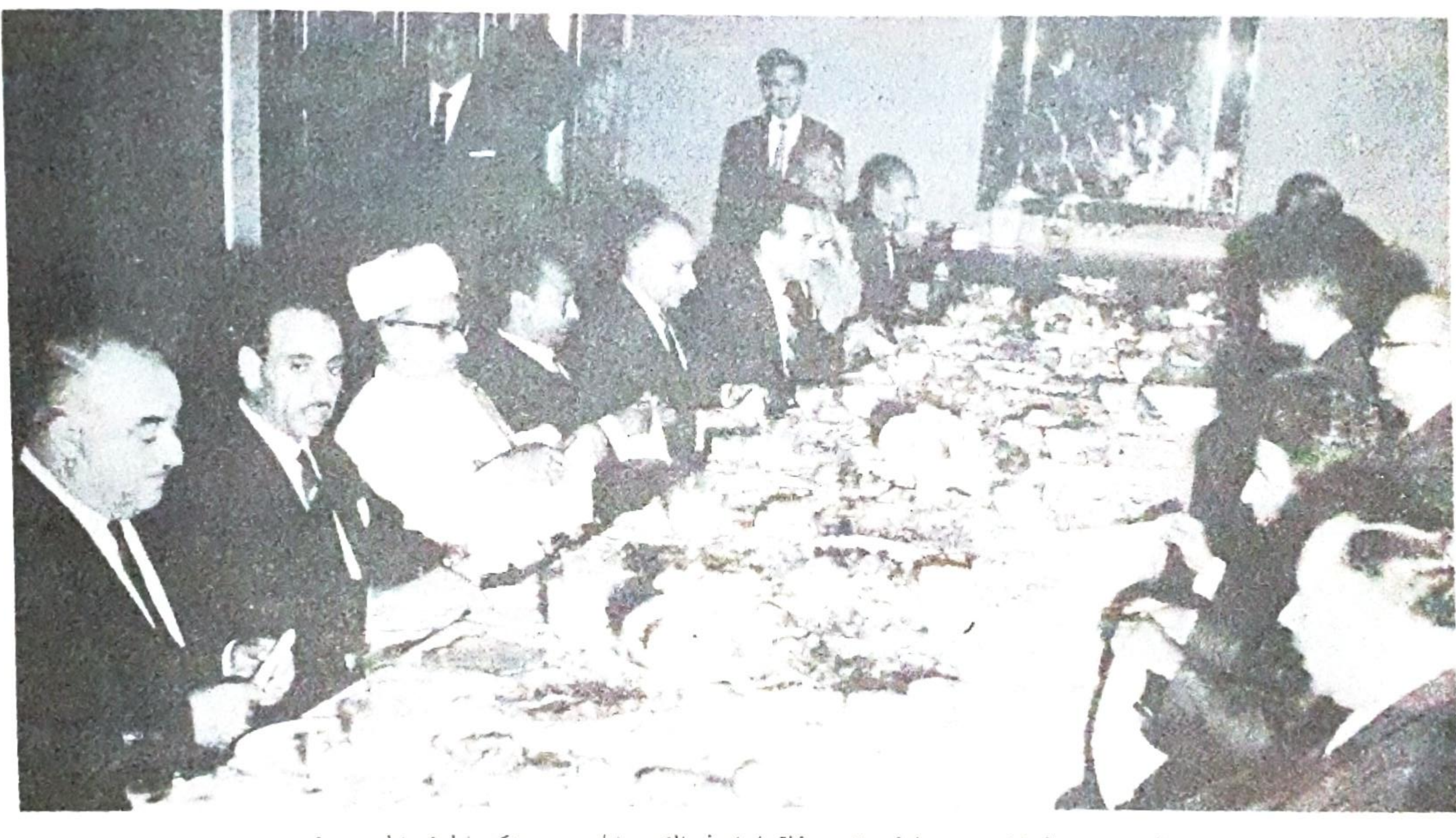
المشير عبدالحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة في ج.ع.م يعانق الرئيس عبدالسلام محمد عارف عند مروره بالقاهرة عائدا من الدار البيضاء بعد فشل انقلاب عارف عبدالرزاق في أيلول ١٩٦٥



الرئيس عبدالسلام محمد عارف عند عودته من الدار البيضاء بعد فشل انقلاب عارف عبدالرزاق، في ايلول ١٩٦٥ ويرى في الصورة شقيقه اللواء عبدالرحمن محمد عارف رئيس اركان الجيش يستقبله عند سلم الطائرة لوحده!



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يستقبل في مكتبه بالقصر الجمهوري الزعيم السوري، جاسم علوان عام ١٩٦٥.



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يقيم حفلة غداء في القصر الجمهوري تكريما لوفد الجمهورية اليمنية في ١٠ تشرين الاول ١٩٦٥ وقد ظهر الى يمينه عبداللطيف الدراجي



استقبل الرئيس عبدالسلام محمد عارف في عهده الكثير من الوفود الافريقية.



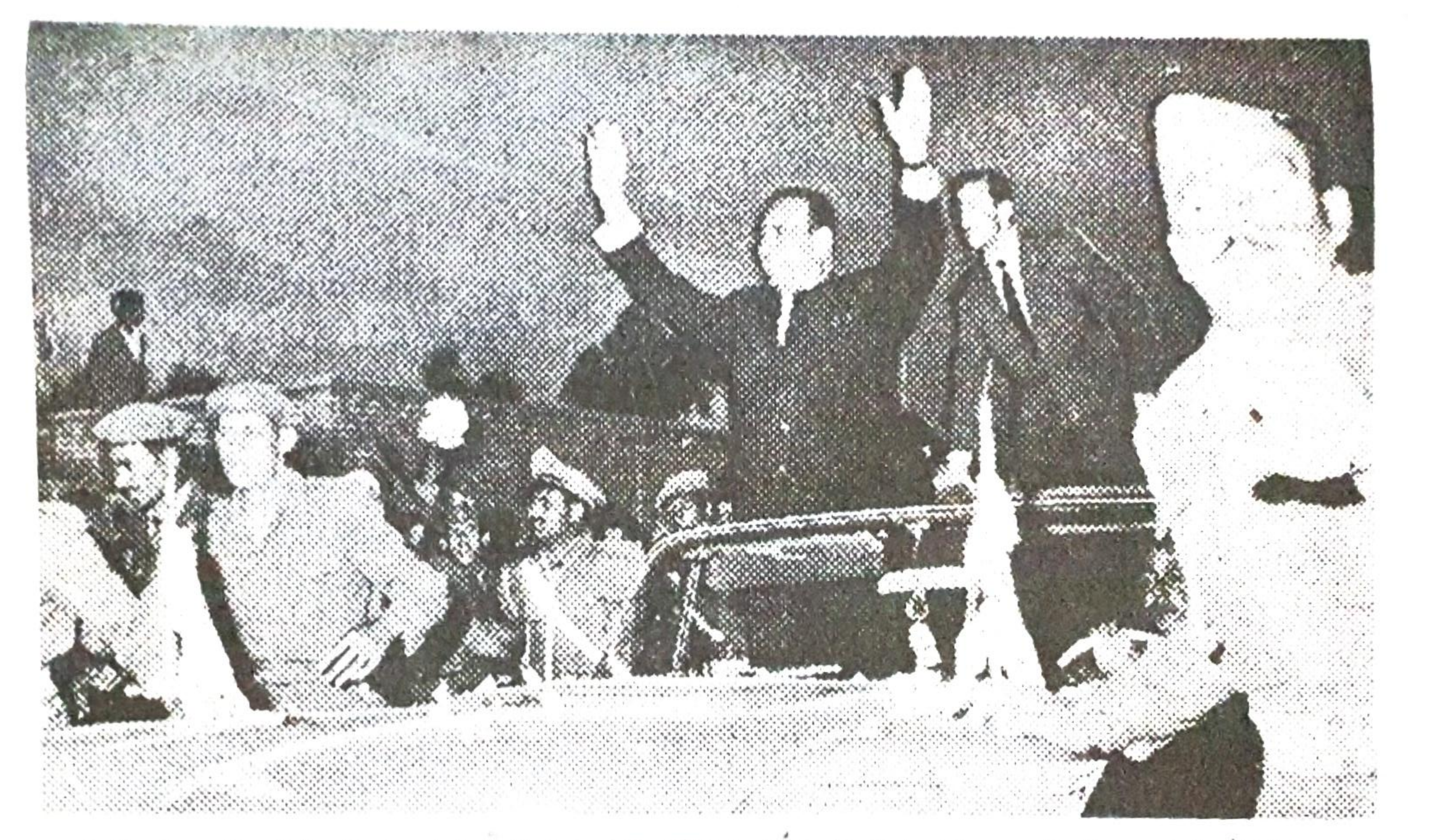
اخر كلمة وجهها المشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الى القوات المسلحة بمناسبة يوم الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني ١٩٦٦



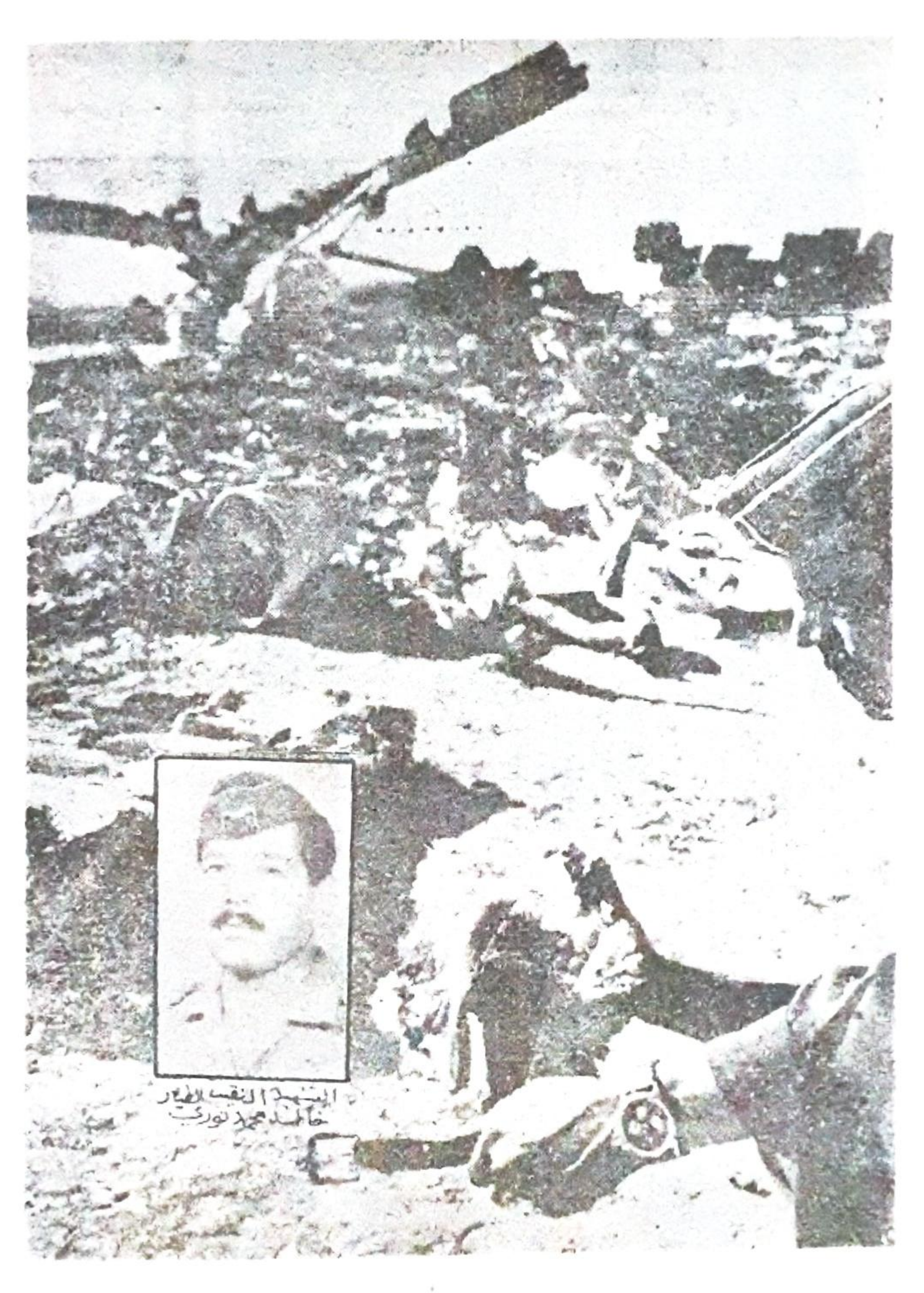
الرئيس عبدالسلام محمد عارف يصافح محمد الحياني متصرف (محافظ البصرة) عند نزوله من الطائرة (الرف الجمهوري) التي اقلته الى البصرة يوم ١٢ نيسان ١٩٦٦ وقد نزل خلفه عبداللطيف الدراجي وزير الداخلية فمصطفى عبدالله وزير الصناعة الصورة التقطت في مطار البصرة قبل يوم من مصرعه، وقد ظهر (الرائد) الرئيس الاول الطيار طاهر التكريتي يؤدي التحية.



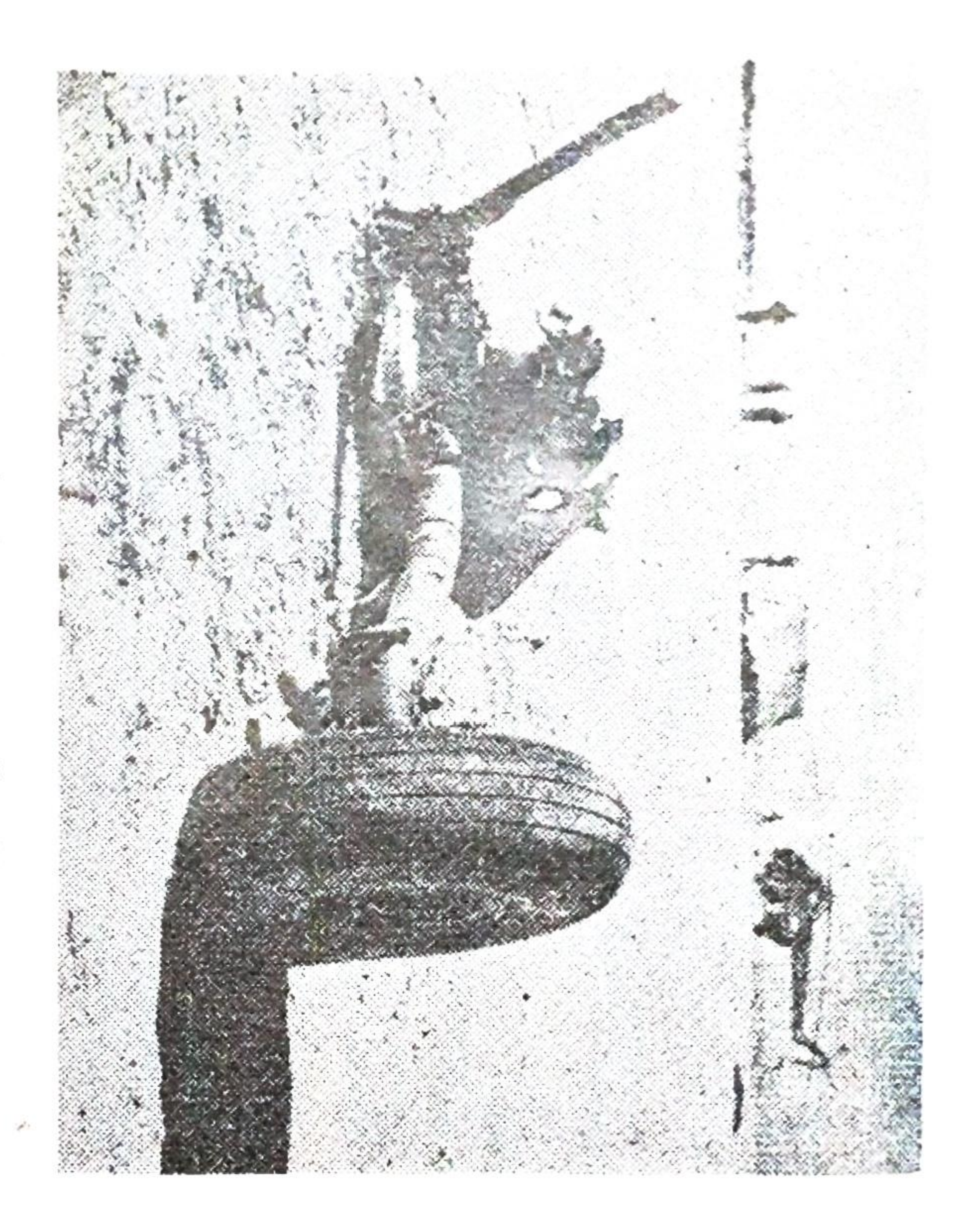
الرئيس عبدالسلام محمد عارف يضع حجر الاساس لمعمل الاسمدة الكيمياوية في ابي الخصيب بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٢ نيسان ١٩٦٦ - قبل يوم من مصرعه، وقد ظهر خلفه القاضي سالم محمد عزت رئيس محكمة استئناف البصرة، ورئيس الهيئة التحقيقية في حادث سقوط الطائرة!



اخر صورة التقطت للرئيس عبدالسلام محمد عارف في القرنة راكباً السيارة المكشوفة في طريقه الى الساحة حيث تقف الطائرة المروحية (الهليوكوبتر) التي ستقله وصحبه الى البصرة وقد وقف خلفه مرافقه وامين سره الرائد عبدالله مجيد..



طائرة الهليوكوبتر التي كانت تقل الرئيس عبدالسلام محمد عارف وصحبه بعد تحطمها على ارض (النشوة) بالقرب من القرنة مساء يوم الاربعاء ١٣ نيسان ١٩٦٦ ومصرع ركابها.



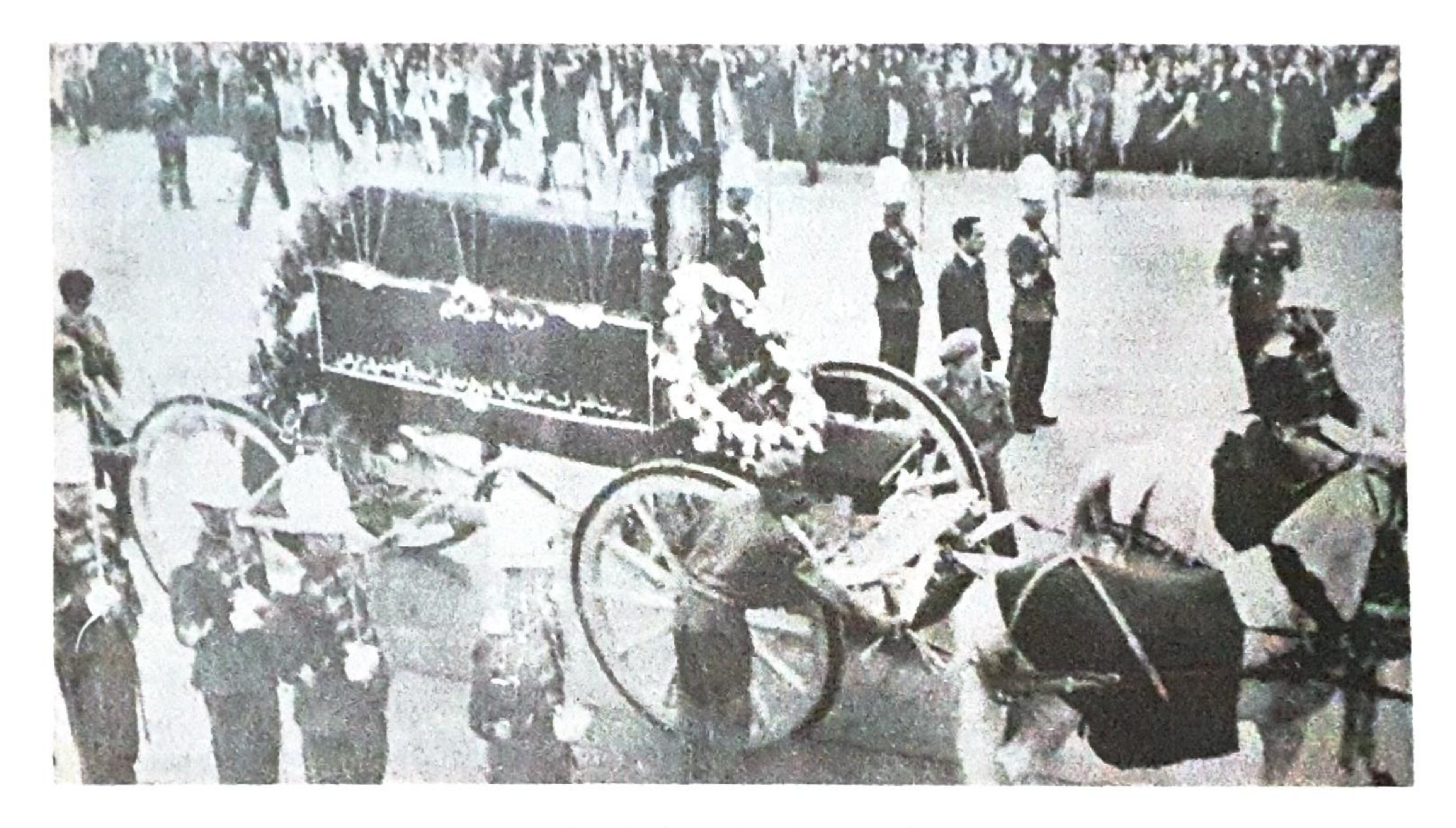
عجلة الطائرة المنكوبة بعيدة عن حطامها في ارض الشرق.



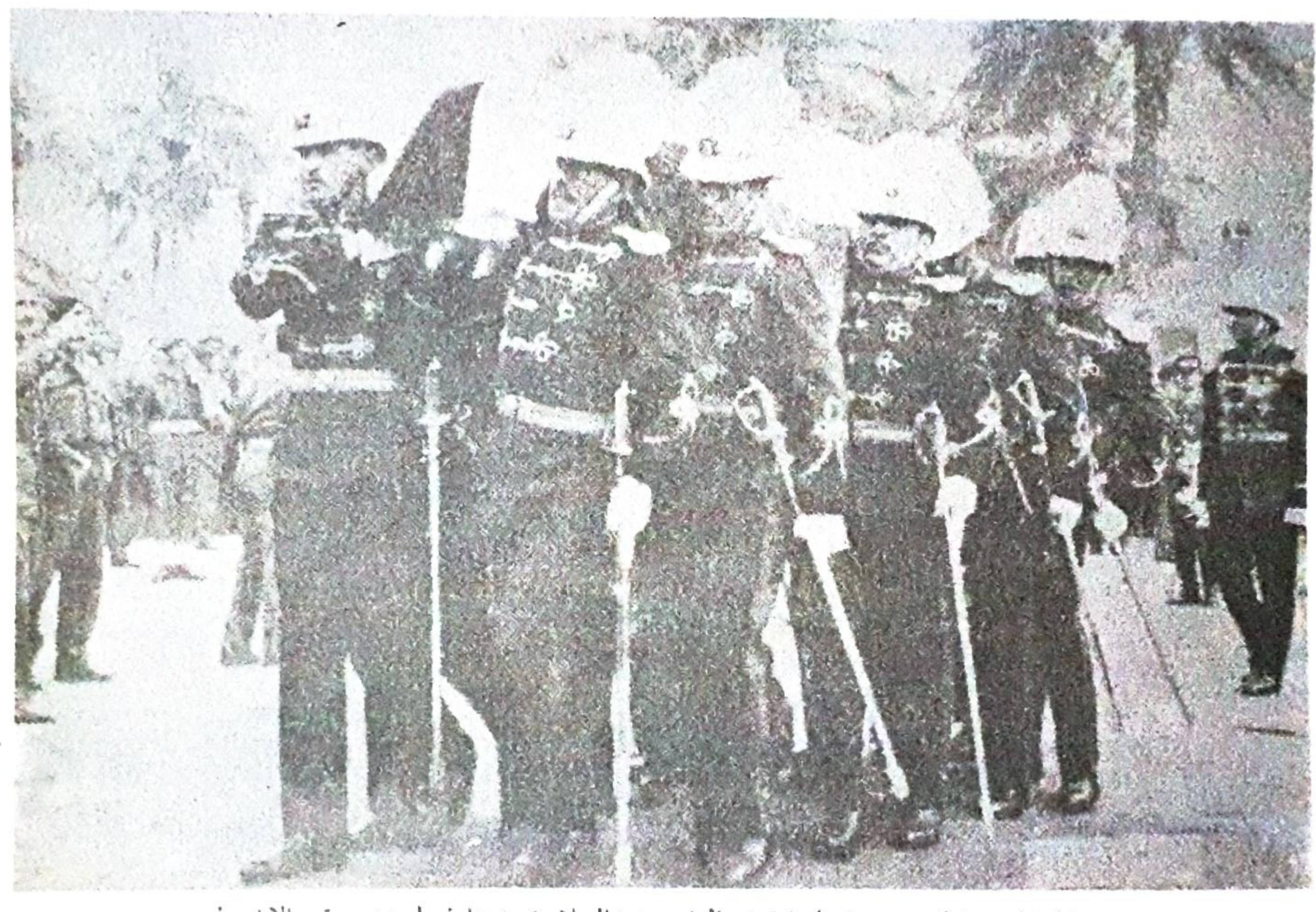
جثمان الرئيس عبدالسلام محمد عارف ينزله كبار ضباط القوات المسلحة من الطائرة التي اقلته الى بغداد من البصرة في الساعة السادسة من مساء ١٤ نيسان ١٩٦٦.



جثمان الرئيس عبدالسلام محمد عارف مسجى في صالون القصر الجمهوري واكاليل الورود عليه
ويظهر ابنه احمد وشقيقه عبدالسميع يسلمان عليه ويودعانه الوداع الاخير



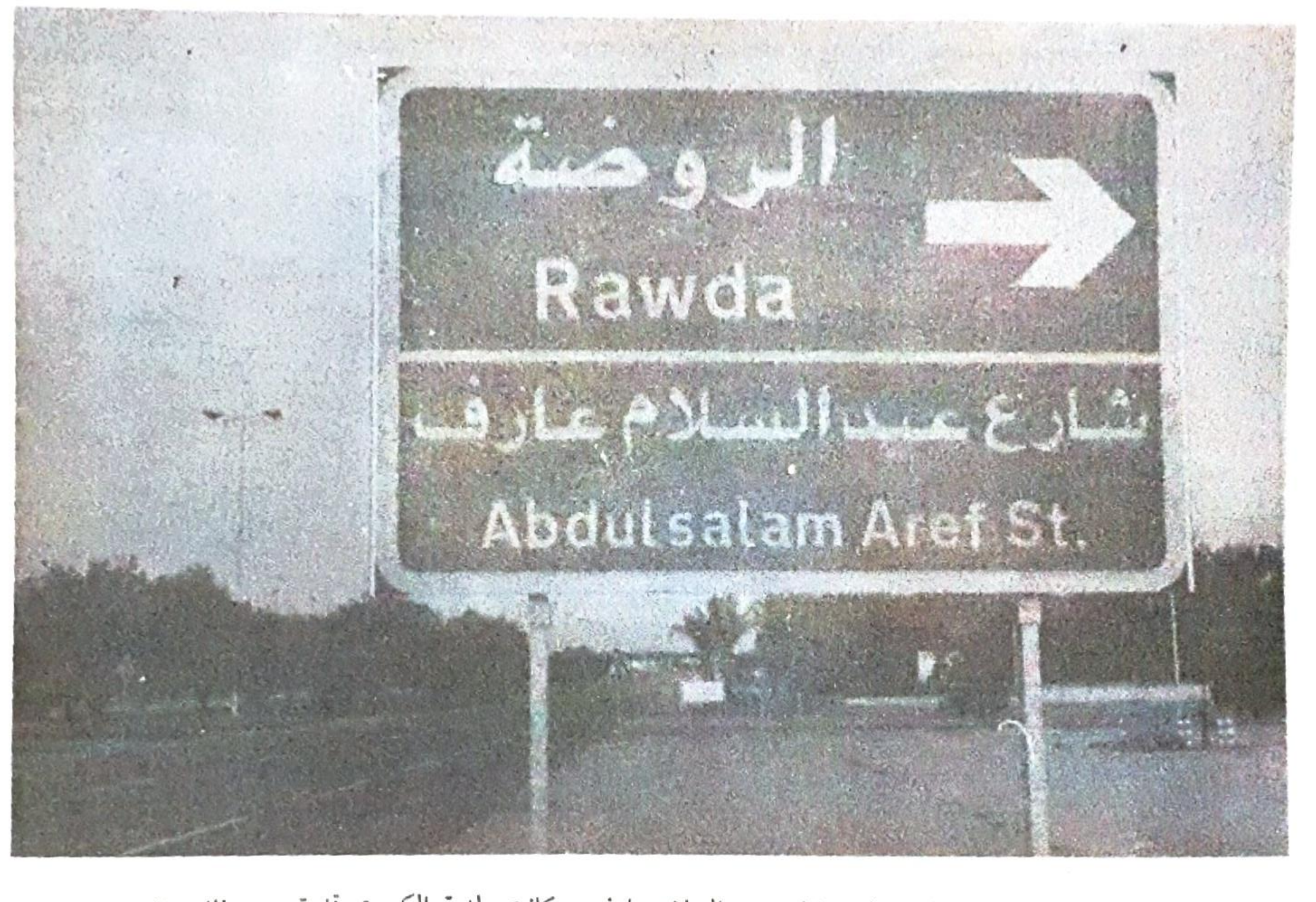
جثمان المشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية فوق عربة مدفع في طريقه الى مقره الاخير يحيط به ضباط الحرس الجمهوري.



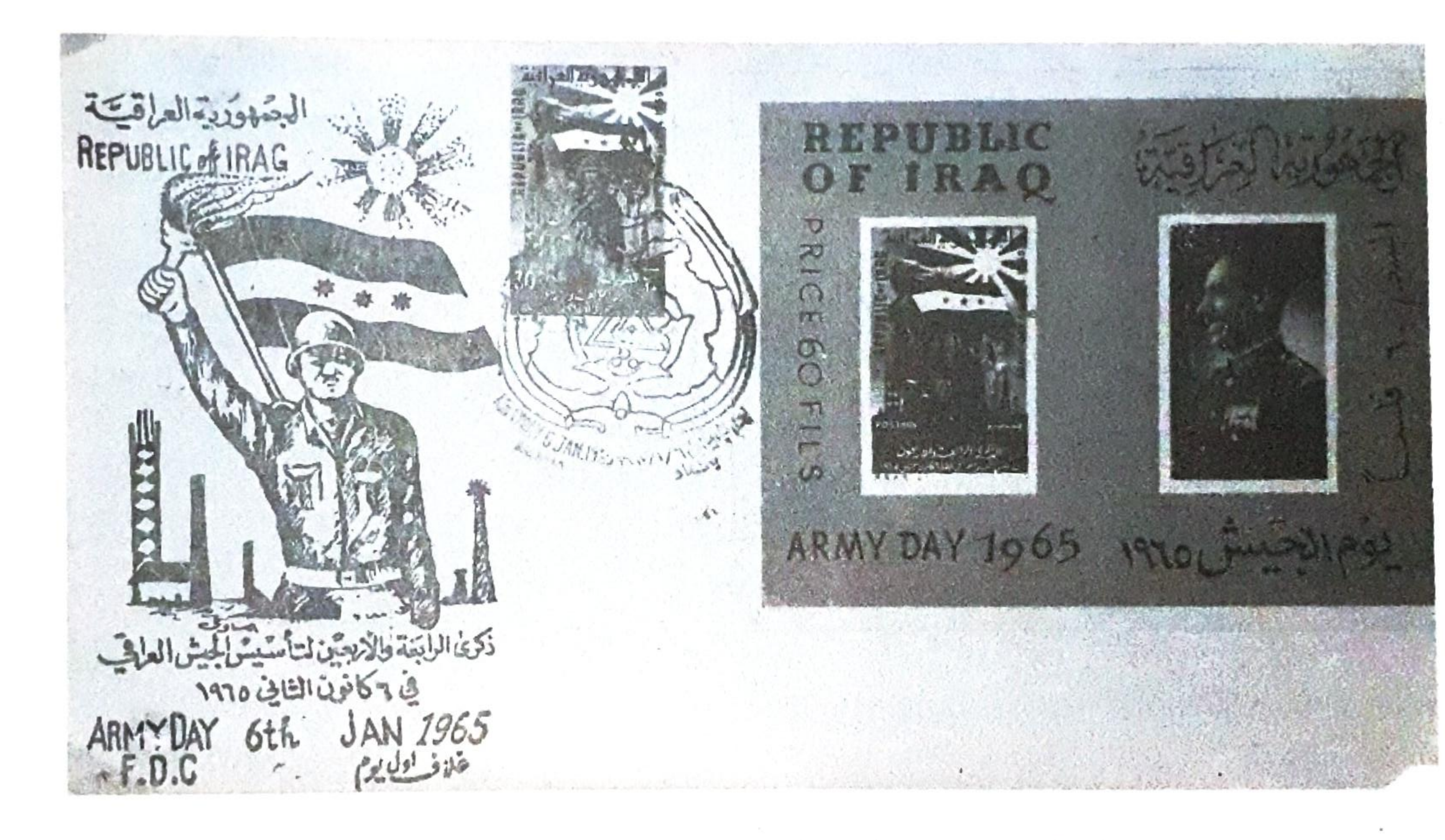
ضباط الحرس الجمهوري يحملون نعش الرئيس عبدالسلام محمد عارف ليودعوه مقره الاخير في جامع الشيخ ضاري بـ (ابو غريب) عصر يوم السبت ١٦ نيسان ١٩٦٦.



جثمان الرئيس عبدالسلام محمد عارف ينزل الى مرقده الاخير في جامع الشيخ ضاري عصر يوم ١٦ نيسان ١٩٦٦



احد الشوارع في الكويت اطلق عليه «شارع عبدالسلام عارف» وكانت بلدية الكويت قد قررت ذلك اثر وفاته.



اصدرت مصلحة البريد طوابع عديدة في عهد الرئيس عبدالسلام محمد عارف، وكان اهمها هذا الطابع.



الفاتحة

هو الحي الباقي

استشهد في سبيل الله والوطن

المغفور له المشير الركن

عبدالسلام محمد عارف

مؤسس الجمهورية العراقية

واول رئيس لها

في اليوم الثالث عشر من نيسان ١٩٦٦

الموافق الثالث والعشرين من

شهر ذي الحجة ١٣٨٥

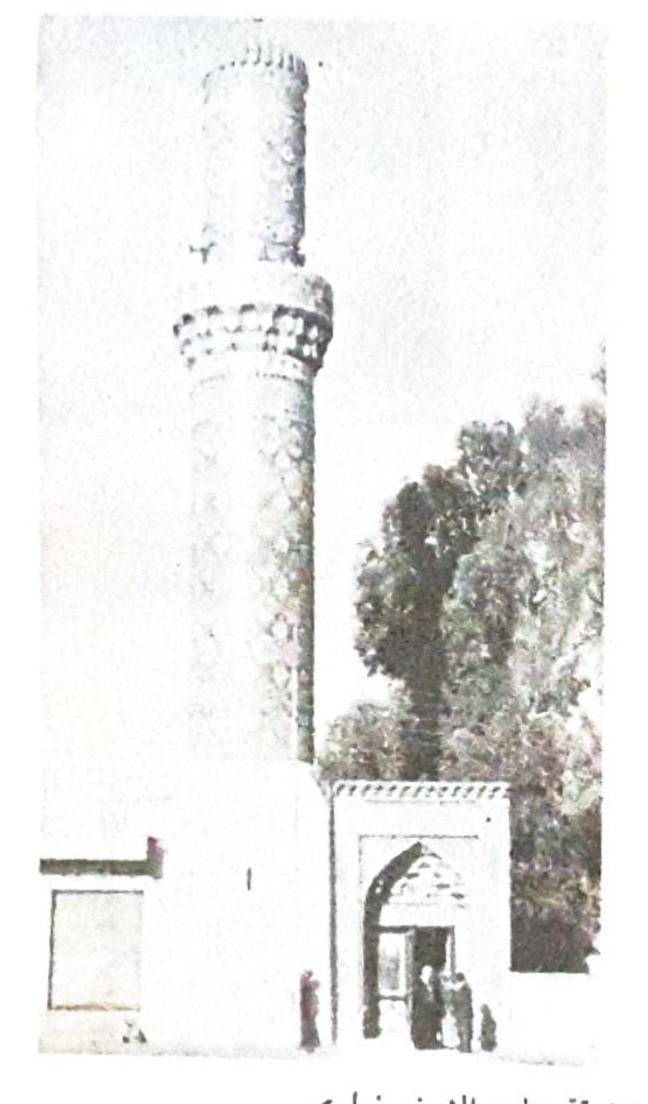
اسكنه الله فسيح جناته

وجعله من الصديقين والشهداء

الكلمات التي حفرت على

المرمرة المثبتة على قبر المرحوم

عبدالسلام محمد عارف



المؤلف احمد فوزي يقف الى جانب قبر المرحوم عبدالسلام محمد عارف في حديقة جامع الشيخ ضاري

التقط هذه الصورة الاستاذ صلاح عبدالله الصف



المؤلف في سطور:

احمد فوزي عبد الجبار

- ولد ببغداد في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩٢٧
- تخرج في كلية الحقوق عام ١٩٥٣
- اصدر مع فائق السامرائي جريدة «الجريدة» عام ١٩٥٣
- انتخب مديراً مسؤولاً لجريدة «لواء الاستقلال» الناطقة بلسان حزب الاستقلال عام ١٩٥٤
- مثل الصحافة العراقية في العيد الاول للثورة العربية في مصر عام ١٩٥٣
- عُهد اليه في الايام الاولى لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بمسؤولية ومرافقة الوفود الصحفية.
- عُين مديراً مفوضاً لشركة الصحافة والطباعة المحدودة في مطلع عام ١٩٥٩.
- عُين مديراً عاماً لوكالة الانباء العراقية عام ١٩٦٥
- انتخب رئيساً لجمعية الحقوقيين العراقيين عام ١٩٦٥. وكان اول رئيس لها ولمدة خمس سنوات، وترأس تحرير «مجلة الحقوقي»
- عُين مديراً عاماً للاعلام في وزارة الثقافة والاعلام عام ١٩٦٧
- ترأس تحرير جريدة «الجمهورية» منذ صدورها بعد عملية تأميم الصحافة في ١٩٦٧/١٢/٤
- نُسبَ بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ ملحقاً صحفياً في ديوان وزارة الاعلام. فمديراً للصحافة ثم مديراً لمركز حفظ الوثائق
- نقل الى وزارة العدل. وعُين مفتشاً عدلياً. ومديراً لمجلة «العدالة».
- احال نفسه على التقاعد في نهاية عام ١٩٧٩. وعاد ليمارس المحاماة
- عُين محامياً في امانة العاصمة. ونُسب «مشرفاً عاماً» على جريدة «بغداد» عام ١٩٨٠
- ساهم في تحرير بعض صحف القاهرة. ايام لجوئه السياسي في مطلع الستينات.
- القى احاديث صحفية وقومية من دار الاذاعة العراقية. وصوت العرب. والقاهرة. وشارك في ندوات تلفزيونية في بغداد والقاهرة والجزائر والسودان والكويت.
- قام بزيارات صحفية واستطلاعية لمعظم الدول العربية. وبعض الدول الافريقية والاسيوية. ومعظم الدول الاوربية الغربية والشرقية والاسكندنافية و ٢٥ ولاية امريكية و٥ ولايات كندية.
- عضو في: نقابة المحامين. نقابة الصحفيين. الاتحاد العام للادباء والكتاب. اتحاد المؤرخين العرب.

صدرت له الكتب التالية: -

١ - غرب ام غروب «قصة عبدالكريم قاسم».
٢ - المهداوي.
٣ - بترول ودخان «قاسم والكويت».
٤ - لهو في لهب «قاسم والنفط».
٥ - خناجر وجبال «قاسم والاكراد».
٦ - قصة عبدالكريم قاسم كاملة.
٧ - ثورة ١٤ رمضان.
٨ - لقاء في طريق الوحدة.
٩ - القدس عربية.
١٠ - لقاء عند بوابة مندلبوم.
١١ - حكايات سياسية وصحفية عن ١٢ رئيس وزراء.
١٢ - اشهر المحاكمات الصحفية في العراق.
١٣ - سيرة وحكايات عن ٦ رجال فكر وقانون.
١٤ - الجريدة.. وصراعها مع السلطة!
١٥ - اشهر الاغتيالات السياسية في العراق.
١٦ - الملك فيصل الثاني: عائلته. حياته. مؤلفاته. (طبعتان).
١٧ - المثير من احداث العراق السياسية.
١٨ - عبدالكريم قاسم وساعاته الاخيرة. (طبعتان)
١٩ - رؤى سياسية!

وله كتب جاهزة للطبع... تصدر قريبا:

١ - اليوم الاخير.. (١٣ تموز ١٩٥٨).. وليلة سقوط الملكية في العراق.
٢ - صراع الجواسيس في العراق.
٣ - شخصيات.. وتواقيع..
٤ - ملوك العراق: فيصل الاول، غازي، فيصل الثاني

وله كتب ستنجز قريبا:

١ - الانقلاب الخائب.. قصة عارف عبدالرزاق.
٢ - سنوات لاتنسى.. عراقيون في القاهرة.
٣ - ٣ رؤساء وزارات.. في العهد الجمهوري: طاهر يحيى. عبدالرحمن البزاز. ناجي طالب.
٤ - جمال عبدالناصر والعراق.

معد للطبع

اليوم الاخير!!

١٣ تموز ١٩٥٨

و

ليلة سقوط الملكية في العراق

كتاب فريد من نوعه. يسرد الاحداث التي وقعت في ذلك اليوم. وتلك الليلة الحاسمة في تاريخ العراق.. ويحكي التفاصيل الدقيقة للساعات الاخيرة التي قضاها الاقطاب الاربعة الكبار: الملك فيصل الثاني، الامير عبدالاله، نوري السعيد، احمد مختار بابان.. ومصرع العائلة المالكة في قصر الرحاب صبيحة يوم ١٤ تموز. والساعات التي اعقبت مصرعهم، وموضع دفنهم.

كما يضم خارطة مفصلة للمقبرة الملكية في الاعظمية. وقبور من دفن فيها بدقة وامانة.

ويسرد هذا الكتاب كذلك، تفاصيل الساعات التي قضاها الضباط الثائرون تلك الليلة القدرية قبيل دخولهم بغداد، ليسقطوا النظام الملكي، وليقيموا (الجمهورية)، بكل دقائقها.

كتاب ـ هو الاول من نوعه ـ يضم صوراً نادرة، بعضها لم ينشر من قبل للاسرة المالكة في العراق. لابد للجيل الجديد الصاعد ان يطلع عليه ليعرف الشيء الكثير عن تلك الليلة الاخيرة الفاصلة بين الملكية والجمهورية.

• • • • • • • • • • • •

فهرست الكتاب

رقم الايداع في دار الوثائق (٩٦٩) لسنة ١٩٨٩

هذا الكتاب

يسرد سيرة عبدالسلام محمد عارف، اول رئيس جمهورية في العراق، منذ ولادته حتى ساعة مصرعه، بعد سقوط الطائرة به وبصحبه، وانفجارها على ارض (النشوة) في جنوب العراق.

ويسجل تفاصيل محاكمته السرية، عندما وقف في قفص الاتهام في (محكمة المهداوي) يدافع عن نفسه!

ويروي ساعات حياته الاخيرة بدقة متناهية، ويعدد (الراغبين) في غيابه عن المسرح السياسي.. ويورد التحقيقات القضائية والفنية التي قامت بها الهيئات واللجان، للوصول الى الحقيقة، ومعرفة كنه الحادث!

وتضم صفحاته الاخيرة وثائق وصورا فريدة لمراحل حياة عبدالسلام محمد عارف ومسيرة حكمه..

كتاب، لابد للجيل المخضرم - الذي عايش تلك الاحداث، ان يطلع عليه ليعرف الحقائق التي لفها التعتيم طيلة ربع قرن.. ولابد للجيل الجديد الصاعد ان يلم بتفاصيل حياة (رجل) حكم بلاده مدة من الزمن، وترك بصمات عميقة - بخيرها وشرها، وحلوها ومرها - في صفحات تاريخ امتنا المجيدة.

يطلب من مكتبة التراث والمعاصرة

عمارة الالوسي - شارع الربيع - مقابل جامع حي الجامعة

هاتف ٥٥٦٩٩٤٠

السعر ٥٠٠ر٤ دينار

مطبعة الديواني - بغداد
هاتف : ٨٨٧٦١٩٧